

خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الخامسة
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

المركز الإسلامي للدراسات

خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷

الجزء الرابع

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقصد الخامس

التشيع..

القسم الأول

التشيع والإمامة..

بداية:

إن الأمور التي تشير إلى - أو تدل على - ما يرمي إليه البعض في حديثه عن الإمام والإمامة، وعن الشيعة والتشيع، كثيرة ومتنوعة، والمكتوب منها كثير وخطير، فكيف بالمسموع في النوادي، والمدارس، والسهرات، والمجالس..

ونحن نقتصر هنا على ذكر مجموعة من كلماته - وهي كثيرة ليست قليلة - عسى أن نبلغ بها غايتنا في إعطاء الصورة الوافية عن الإتجاه الفكري العام، وعما تحتله هذه الشؤون الحساسة فيما يراد له أن يأخذ موقعه في عقل وفكر الناس، وتكون له آثاره على مواقفهم، وحتى على مواقعهم..

فإلى ما يلي من صفحات، ومن الله نستمد القوة والحول، ومنه نطلب السداد والرشاد.

٧٨٤ - الشيعة في قفص الإتهام.

ثم إن ذلك البعض يشير بطريقته الخاصة إلى أن الشيعة هم الذين اعتبروا أنفسهم مجتمعا يختلف عن غيرهم.. وكأن الآخرين هم الأساس، الذي فصل الشيعة أنفسهم عنه، وبالتالي، فإنهم قد نأوا

بأنفسهم عن معونة أهل السنة ونصحهم، على عكس ما كان من عليّ أمير المؤمنين «عليه السلام» تجاه الخلفاء - مع أنه هو صاحب القضية معهم، فصاحب القضية يتعاون، ويقدم النصح والمشورة، والشيعية لا يفعلون ذلك، مما يوضح: أنهم أقل وعياً، وأقل إسلامية من المتقدمين، فهو يقول:

«المسلمون في عصر الخلافة الراشدة (!!) كانوا أقرب إلى المواجهة الواقعية لمثل هذه المشكلة، بعدها، عاش المسلمون أوضاعاً حادة تحولت إلى حروب بين السنة والشيعية، ثم إلى حالة انفصال اعتبرت الشيعة نفسها مجتمعا يختلف عن مجتمع السنة، بينما كان الإمام علي - وهو صاحب القضية - يتعاون مع الخلفاء، ويعطيهم المشورة والنصح، بالرغم من رفضه للمسألة، مما يعني: أن المتقدمين كانوا أكثر وعياً، وأكثر إسلامية»^(١).

٧٨٥ - الشيعة إرهابيون في المجال الفكري!

٧٨٦ - دعوة السنة والشيعة إلى التنازل عما ورثوه.

(٢) ٧٨٧ - الشيعة مصداق للآية: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) .

٧٨٨ - لا يوجد نقد علمي عند الشيعة والسنة.

(١) أسئلة وردود من القلب (الطبعة الثانية) ص ٨٣ ومجلة المرشد العددان ٣ و ٤ ص ٤٧.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الزخرف.

٧٨٩ - لا حرية إلا لمناقشة القضايا السنية.

ثم هو يتهم الشيعة بالإرهاب الفكري، وأنه ليست هناك أية حرية في داخل المذهب الشيعي، ويظهر رغبته في تنازل الشيعة والسنة عما ورثوه.

فهو يقول:

«المشكلة هي أن السنة لا يريدون أن يتنازلوا عن أي شيء مما ورثوه، وأن الشيعة لا يريدون أن يتنازلوا عن أي شيء مما ورثوه، بقطع النظر عما إذا كان ما ورثوه يخضع للبرهان أو للدليل أو لا يخضع، لأن القضية في بعض أوضاعها: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) (١).

لذلك لا نجد أية حرية في داخل المذهب السني لمناقشة القضايا السنية، وليست هناك أية حرية في داخل المذهب الشيعي لمناقشة القضايا الشيعية.. الحرية المطروحة هنا وهناك هي مناقشة الآخر.. أما أن نناقش فكرنا في عملية نقد علمي فهذا ليس واردا، بل قد تجد هناك إرهابا فكريا هنا، وإرهابا فكريا هناك» (٢).

٧٩٠ - التشيع وجهة نظر في فهم الإسلام.

٧٩١ - إتهام الشيعة بأنهم إنفصاليون، لا يتعاونون مع إخوانهم

(١) الآية ٢٣ من سورة الزخرف.

(٢) للإنسان (الطبعة الثانية) والحياة ص ١٩٥.

ولا ينصحونهم.

وهو يعتبر التشيع مجرد وجهة نظر، في مقابل وجهة نظر أخرى هي التسنن، ووجهة النظر عموماً: قد تكون خطأ، وقد تكون صواباً.. كما أن وجهة النظر الأخرى كذلك. مع أن التشيع هو حقيقة الإسلام، وصريح هذا الدين، فهو يقول:

«وقد تكون القضية المطروحة هي أن لا يكون خط التشيع - فيما هو التشيع - وجهة نظر في فهم الإسلام - حالة معزولة عن الواقع العام للمسلمين» .

٧٩٢ - الفكر الإلهي! والفكر البشري.

٧٩٣ - الإمامة فكر بشري!!

٧٩٤ - كل التراث الفقهي والكلامي فكر بشري.

٧٩٥ - الحقيقة نسبية..

٧٩٦ - بديهيات الإسلام فقط فكر إلهي.

وهو يعتبر أن كل التراث الفكري والعقدي والفلسفي، فكر بشري، باستثناء البديهيات، فإنها: فكر إلهي.

ولا ندري كيف نفسر عبارة «فكر إلهي»، وما تحمله من جرأة على الذات الإلهية، فهل الله يجلس ليوازن ويفكر، ويقدم ويؤخر، ثم

(١) تأملات في آفاق الإمام الكاظم «عليه السلام» (الطبعة الأولى - دار التعارف) ص ٩٤.

يخرج بهذه النتيجة أو تلك؟!

ولنتوقف قليلاً أيضاً عند اعتبار ذلك كله فكراً بشرياً!!

أما عباراته التي تضمنت ذلك فهي التالية:

«..ونحن نعتقد من خلال ذلك: أن كل ما جاءنا من تراث فقهي، وكلامي، وفلسفي، هو نتاج المجتهدين والفقهاء والفلاسفة والمفكرين، من خلال معطياتهم الفكرية، ولا يمثل الحقيقة، إلا بمقدار ما نفتتح به من تجسيده للحقيقة على أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة.

وبهذا، فإننا نعتبر: أن كل الفكر الإسلامي، ما عدا الحقائق الإسلامية البديهية هو فكر بشري، وليس فكراً إلهياً، قد يخطئ فيه البشر فيما يفهمونه من كلام الله، وكلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد يصيبون.

وعلى هذا الأساس، فإننا نعتقد: أن من الضروري جداً أن ننظر إلى التراث المنطلق من اجتهادات المفكرين، أينما كانت مواقع تفكيرهم، نظرة بعيدة عن القداسة في حياتهم ومؤهلاتهم الروحية والعملية في حياة الناس الآخرين، فيمن يكون (١) على مستوى المراجع أو الأولياء في تقواهم لله سبحانه وتعالى الخ..» .

وقفمة قصيرة:

إن هذا البعض قد اعتبر كل التراث الفقهي والكلامي «أي

(١) حوارات في الفكر والسياسة والإجماع ص ٤٨٠.

العقائدي» والفلسفي هو نتاج أفكار المجتهدين، وهو كله ليس إلهياً، وإنما هو فكر بشري، حتى الإمامة فإنها عنده من المتحول، لأن النص لم يكن عنده صريح الدلالة بحيث لا مجال لإحتمال الخلاف فيه، ولا موثوق السند إلى درجة لا يمكن الشك فيه^(١)، فالإمامة إذن فكر بشري أيضاً، لأنها بحاجة إلى الاجتهاد، وليست من البديهيات عند جميع المسلمين.

هذا كله عدا عن أن كلامه الأنف الذكر صريح في أنه يعتبر الحقيقة نسبية، فلا يستطيع أحد أن يدعي أنه يملك الحقيقة كلها، بل هو يملك منها بحسب ما يقتنع به من مقاييس الحقيقة..

فقد يكون أمر ما يمثل الحقيقة عند شخص، - بحسب تلك المقاييس - ويمثل الباطل عند آخر بحسب المقاييس التي يملكها ذلك الآخر أيضاً.

ونحن قد ناقشنا هذه المقولات في كتابنا: «لماذا كتاب مأساة الزهراء»، ونؤكد على القاريء الكريم أن يراجع ما كتبناه هناك..

غير أننا نذكر هنا: بأن ما هو فكر إلهي عند هذا البعض، هو أمور يسيرة وعناوين محدودة جداً، عبّر عنها في بعض كتاباته بالثابت، ويقابلها المتحول. فقال:

«إن من الثابت: التوحيد، والنبوة، والمعاد، ومسلمات الشريعة،

(١) مجلة المنهاج العدد الثاني مقالة الأصالة والتجديد ص ٦٠.

مثل: وجوب الصلاة، والصوم، والجهاد، والحج، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريم الزنا والسرقة، والخمر، والميسر، والنميمة، واللواط، والغيبة، وقتل النفس المحترمة، ونحوها مما لا يخرج عن دائرة العناوين العامة جداً، دون تفاصيلها، فإن التفاصيل^(١) تدخل في نطاق الاجتهادات الشخصية البشرية، غير الإلهية».

وهو ما عبّر عنه هذا البعض بالمتحول.

ويقول:

المراد من الضروري الشيء البديهي الثابت بشكل طبيعي جداً، وعفوي جداً، من دون حاجة إلى الإستدلال بين المسلمين، مثل وجوب الصلاة، ووجوب الصوم، ووجوب الحج، ووجوب الزكاة، كما ذكرنا. أما تفاصيل الصلاة، وتفاصيل الصوم، أو الحج، أو الزكاة، فهذه أمور يختلف فيها المسلمون، ويحتاج فيها إلى أن يستدل بعضهم على بعض، ليثبت قناعاته من خلال ذلك، وكل شيء يحتاج إلى الإستدلال بحسب طبيعته، أو بحسب طبيعة الواقع العام، باعتبار أن الناس يختلفون فيه فهو أمر نظري^(٢).

٧٩٧ - سند حديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه» موضع

(١) مجلة المنهاج العدد الثاني مقالة الأصالة والتجديد ص ٦٠.

(٢) فقه الحياة ص ٢٧٦.

نقد.

أجاب البعض عن سؤال حول حديث النبي «صلى الله عليه وآله»:

«س: .. قال الرسول: من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية؟!»

(١)

ج: الواقع أن سند هذا الحديث ليس فوق مستوى النقد» .

ومن الواضح: أن أبرز تجليات هذا الحديث قد كانت في موقف فاطمة الزهراء «عليها السلام» من أبي بكر، حيث ماتت وهي مهاجرة له، كما دلت عليه النصوص القاطعة، ولم تكن تعتبره إمام زمانها، ولا يمكن بحال أن يقال: إنها ماتت ميتة جاهلية، وهي التي يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها.

وهو من الأحاديث الثابتة المروية لدى أهل السنة والشيعة، وتجدهم به يستدلون، وعليه يعتمدون، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

ولا ندري ما هو الداعي لإثارة الشبهة حول سند هذا الحديث؟! مع أن الأفرقاء قد تلقوه بالقبول كما ألمحنا إليه؟! وذكرنا ذلك في كتابنا «مأساة الزهراء «عليها السلام»».

(١) كلام هذا البعض، ورد في شريط مسجل بصوته، وهو موجود لدى المؤلف

٧٩٨ - الخلاف بعد النبي لم يضر بالإسلام.

٧٩٩ - المسيرة الإسلامية لم تنحرف بعد النبي «صلى الله عليه وآله».

ويتحدث عن خلافت الصحابة بعد النبي «صلى الله عليه وآله» فيقول:

«علينا أن نمارس خلافتنا في الرأي كما مارسه الأولون، فقد مارسوه فيما لم يكن الاختلاف مضرًا للإسلام، حتى سارت المسيرة الإسلامية في طريقها المستقيم»^(١).

ظاهر الكلام: أن الصحابة لم يمارسوا خلافتهم بصورة مضرّة للإسلام، فلم يكن اغتصاب بعضهم للإمامة مثلاً ضرراً على الدين، ولا انحرافاً بل سارت المسيرة الإسلامية في طريقها المستقيم!!

٨٠٠ - إبعاد علي «عليه السلام» كان نتيجة فهم الكلام بطريقة معينة.

٨٠١ - المسلمون (!!) فهموا ذلك.

٨٠٢ - الخطأ في اجتهد أهل السقيفة.

٨٠٣ - مشكلتنا: أن حديث الغدير مروي بشكل مكثف.

٨٠٤ - ينبغي لأهل السنة أن يناقشوا سند حديث الغدير.

(١) الندوة ج ١ ص ٤٣٩.

٨٠٥ - كلمات النبي «صلى الله عليه وآله» في الغدير، تجعل الشك في أذهان الناس.

٨٠٦ - النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكتب كتاباً للأمة لأنه أراد للتجربة أن تتحرك.

ويقول البعض:

«ألف: إنطلق رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليؤكد مسألة القيادة من بعده، حتى لا تكون حركة المسلمين في فراغ، بعد أن ينتقل «صلى الله عليه وآله» إلى الرفيق الأعلى.

ولكن المسلمين فهموا القضية بطريقة معينة، فرضت الأوضاع الجديدة نفسها، والتي أوجدوها خارج دائرة توجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فأبعد علي «عليه السلام»...» (١).

فالفهم الخاطيء لكلام النبي «صلى الله عليه وآله» كان هو السبب في إبعاد علي «عليه السلام»..

ب: ولكنه يذكر في مورد آخر: أن سبب فهم المسلمين لهذا الأمر بطريقة معينة هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تكلم بطريقة تلقى بأذهان الناس الشك، فهو يقول:

«بيعة الغدير مما يذكره السنة والشيعه، لكن دخل بعض الناس على الخط، كما يقرأ في كلمة «مولى»: من كنت مولاه فعلي مولاه،

(١) للإنسان والحياة ص ٢٥٧.

يعني ناصره، فالقضية ربما كانت من خلال طبيعة الكلمات مجالا لأن النبي «صلى الله عليه وآله» مثلاً، بأذهان الناس يصير شك.

أما لماذا لم يكتب النبي «صلى الله عليه وآله» كتاباً؟! كان النبي ذاك الوقت يريد للتجربة أن تتحرك» .

ج: وإذا ضمنا إلى ما تقدم حديث البعض عن سند حديث الغدير، ودعوته أهل السنة للبحث فيه أيضاً، فهو يقول في نطاق سؤال وجواب:

سؤال: يقول تاريخ الشيعة بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نصب علياً (كرم الله وجهه) على مشهد من (١٢٠) ألف مسلم ما بقي منهم إلا أربعة أو خمسة، فهل هذا مقبول منطقياً؟!

«جواب: - عندما ندرس كيف تتبدل الأوضاع، وكيف تتغير الأفكار وكيف تختلط الأوراق، فإننا نجد بالتجربة الكثير من واقعا، والسبب في ذلك هو أن المؤثرات التي يمكن أن تتحرك في الواقع الاجتماعي أمام أية قضية لا تتحرك في المجرى الاجتماعي الذي يرضاه الناس أو يحبونه.

فلا بد أن تتحرك الكثير من الأساليب والوسائل من أجل إبعاد القضية عن خطها المستقيم ولو بالقول.

لقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي

مولاه» فهل إن معناه: من كنت أحبه فعلي يحبه، ومن كنت ناصره فعلي ناصره؟! أو إن معناه: من كنت أولى به من نفسه - وهو معنى الحاكمية - فعلي أولى به من نفسه، فبعض الناس يقول هذا تصريح وليس تأكيداً. إنّ مشكلتنا هي أن (حديث الغدير) هو من الأحاديث المروية بشكل مكثف من السنة والشيعية، ولذلك فإن الكثير من إخواننا المسلمين السنة يناقشون الدلالة ولا يناقشون السند، في الوقت الذي لا بد أن ندرس القضية من خلال ذلك أيضاً، فعندما ندرس قصة الحسن والحسين «عليهما السلام» نجد أن النبي «صلى الله عليه وآله» ربّى لهم حباً في نفوس المسلمين وقد استطاعوا أن يعمقوا هذا الحب من خلال سلوكهم وسيرتهم. وكدليل على ذلك عندما انطلق الإمام الحسين «عليه السلام» وقد بايعه أهل الكوفة التقى (الفرزدق) في الطريق فقال له: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك» ونحن عشنا أيها الأحبة، الكثير من هذا في (العراق) وعشناه في (لبنان) ونعيشه في أكثر من موقع في العالم، لأن مسألة الجماهير هي أنها تتطلق بانفعال وتتحرك بانفعال أيضاً. هذه هي المسألة التي تجعل هذا الواقع واقعا قريباً من المنطق»^(١).

فمشكلة هذا البعض إذن، هي: أن حديث الغدير مروي بشكل مكثف عند السنة والشيعية.. ورغم أن أهل السنة يناقشون في دلالة

(١) الندوة ج ١ ص ٤٢٢.

حديث الغدير فقط، فإنه يتمنى عليهم أن يناقشوا السند بالإضافة إلى المتن..

د: ومهما يكن من أمر، فإن ذلك البعض نفسه هو الذي اعتبر قضية الإمامة من المتحول الذي لا صراحة فيه من حيث الدلالة إلى درجة عدم احتمال الخلاف فيه، ولا موثوقاً سنداً إلى درجة عدم إمكان الشك فيه، فهو يقول وهو يتحدث عن الثابت والمتحول داخل الثقافة الإسلامية:

هناك المتحول الذي يتحرك في عالم النصوص الخاضعة في توثيقها ومدلولها للاجتهد، ما لم يكن صريحاً بالمستوى الذي لا مجال لاحتمال الخلاف فيه، ولم يكن موثقاً بالدرجة التي لا يمكن الشك فيه، وهذا هو الذي عاش المسلمون الجدل فيه، كالخلافة والإمامة، والحسن والقبح العقليين .

فالإمامة إذن تعاني من مشكلة، إما في السند أو في الدلالة، ولأجل ذلك اختلف المسلمون؛ فهم مأجورون فيما توصلت إليه اجتهاداتهم، ولو أخطأوا في تلك الاجتهادات.

وقفة قصيرة:

ونحن قبل أن نتابع حديثنا نلفت النظر إلى النقاط التالية:

١ - أمّا بالنسبة لأسانيد أحاديث الإمامة.. فنقول: إنها متواترة في

موارد عديدة منها.. عند السنة والشيعة معا، وصحيحة السند في موارد كثيرة أخرى عند السنة والشيعة أيضاً.. وحديث الغدير أيضاً من الأحاديث المتواترة، كما لا يخفى على من لاحظ كتاب الغدير للعلامة الأمينى، وغيره من مؤلفات علماء هذا المذهب، وكذلك مؤلفات سائر المسلمين.

فلا معنى للحديث حول هذا الموضوع، كما لا معنى لاعتبار الإمامة من المتحول استناداً إلى ذلك، ولو جزئياً.

٢ - إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قد أمره الله بتبليغ ما أنزله إليه في قوله تعالى: (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (١).

فإذا كان قد تكلم بكلمات تستوجب الشك في أذهان الناس، فمعنى ذلك: أنه لم يبلغ ما أمره الله بتبليغه.

فإما أنه تعمّد زرع الشكّ والشبهة في عقول الناس، أو أنه لم يحسن التبليغ، ولم يعرف الطريقة المناسبة التي يتحقق بها ذلك، وكلا الأمرين باطل لا يصح نسبته إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

وفي كلا الحالين: كيف يصح أن ينزل الله سبحانه بعد إتمام الحجة في يوم الغدير الآية الشريفة التي تقول:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

فهل يصح - والعياذ بالله - أن يقال: إن الله سبحانه لم يكن عالما بأن رسوله قد أوهم الناس وشكّكهم، ولم يبلغهم ذلك، ولم يمتثل أمره.. أم أن الله - والعياذ بالله - قد أراد أن يمتنّ على الناس بأمر وهمي لا حقيقة له؟! حقيقة له؟!!

٣ - إن فهم المسلمين للنص بطريقة معينة، هل يعني: أن القصة كانت مجرد فهم واجتهاد خاطيء - ولم يكن ثمة تعمد إلى إبعاده عليه الصلاة والسلام؟! - وإذا كان ذلك نتيجة فهم خاطيء فالظاهر: أنهم مأجورون على هذا الخطأ في الاجتهاد؟!!

٤ - إن هذا الفهم المعين للنص هل كان عامّا للمسلمين كلهم - كما هو ظاهر عبارته - وهل شمل هذا الفهم المعين سلمان، وأبا ذر، والهاشميين وغيرهم.. أم اقتصر على فريق دون فريق؟!!

وماذا نصنع بقول القائل بعدما بايعوا علياً «عليه السلام» يوم الغدير: بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟!!

٥ - وإذا كانت الإمامة لا بد فيها من ثبوت النص، ثم وضوحه، فهل يعني ذلك: أن تصبح الإمامة فاقدة لكلا هذين الشرطين، ويكون عدّها من المتحول قد وقع من أهله في محله؟! وذلك لأنها ليست من

البديهيّات عند بعض المسلمين، منذ وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله» على حدّ زعم البعض، فهي إذن فكر بشري قابل للاجتهد وليس إلهيّا على حدّ تعبير ذلك البعض أيضاً، كما تقدّم في مطلع هذا الفصل؟!

ولسنا ندري هل إن وجود شبهة في أمر بديهي لدى البعض يجعل هذا البديهي من المتحول، ومجرد وجهة نظر؟! وبالتالي يجعله فكراً بشرياً؟! وهل إذا كانت هناك شبهة في مقابل البديهة تسقط البديهة عن بدايتها؟!!

نعم.. قد دل الدليل على أن من لم يقل بالإمامة- مع بدايتها لشبهة طرأت عليه، لا لجحود وإنكار، يحكم بإسلامه.

٨٠٧ - الإمامة من المتحول لا من الثابت.

٨٠٨ - الإمامة تتحرك في النصوص الخاضعة للاجتهد.

٨٠٩ - نصوص الإمامة ليست صريحة بحيث لا يحتمل الخلاف فيها.

٨١٠ - نصوص الإمامة ليست بدرجة عدم إمكان الشك فيها.

٨١١ - مسألة الحسن والقبح العقليين من المتحول.

٨١٢ - مسألة الحسن والقبح العقليين ليست موثوقة بدرجة لا شك فيها..

٨١٣ - نصوص الحسن والقبح العقليين ليست موثوقة لا يحتمل الخلاف فيها.

ويقول البعض، وهو يتحدث عن الثابت، والمتحول:

«..في داخل الثقافة الإسلامية ثابت يمثل الحقيقة القطعية، مما ثبت بالمصادر الموثوقة، من حيث السند والدلالة، بحيث لا مجال للاجتهاد فيه، لأنه يكون من قبيل الاجتهاد في مقابل النص.

وهذا هو المتمثل ببيدهيات العقيدة كالإيمان بالتوحيد، والنبوة، واليوم الآخر، ومسلمات الشريعة، كوجوب الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرمة الخمر، والميسر، والزنا.. واللواط، والسرقه، والغيبه، والنميمة، وقتل النفس المحرمة ونحو ذلك..

هذا بالإضافة إلى الوضوح في الموقف السلبي أو الإيجابي من المفاهيم المتقابلة، من الظلم، والعدل، والكذب، والصدق، والخيانة، والأمانة، ونحو ذلك.

فلا مجال لتحريكها في مستوى رفض المبدأ، بل قد يثور الجدل فيها على مستوى التفاصيل في المفردات الصغيرة المتناثرة في نطاق الظروف والطوارئ.

وهناك المتحول الذي يتحرك في عالم النصوص الخاضعة في توثيقها، ومدلولها للاجتهاد، مما لم يكن صريحا بالمستوى الذي لا مجال لاحتمال الخلاف فيه، ولم يكن موثوقا بالدرجة التي لا يمكن الشك فيه.

وهذا الذي عاش المسلمون الجدل فيه كالخلافه والإمامه

والحسن، والقبح^(١) العقلين، والذي ثار الخلاف فيه بين العدلية وغيرهم.. الخ» .

وقفه قصيرة:

١ - إنني أعتقد أن القارئ الكريم في غنى عن التذكير بأن الإمامة هي من الثوابت القطعية التي لم يزل النبي «صلى الله عليه وآله» يؤكدتها قولاً وعملاً بالإشارة والتلميح، وبالكناية والتصريح، وبالقول والفعل.

والنصوص الدالة على ذلك تعد بالمئات، بالإضافة إلى الكثير من الآيات القرآنية التي أوضحت هذا الأمر بجلاء تام..

وإذا لم يكن ذلك كله مما يوجب القطع واليقين، وهو عبارة عن تواترات عديدة، وصريحة فأى شيء بعد هذا يمكن أن يوجب ذلك؟!!

٢ - إن مجرد حصول الشبهة في الأمر البديهي لا يخرج عن دائرة البداهة، ولا يجعله نظرياً، اجتهدياً، لدخوله في دائرة المشكوك في سنده وفي دلالاته.. حسبما ورد في مقولة هذا البعض..

٣ - ولو صح ذلك.. للزم اعتبار وجوب الصلاة، والصوم، وغير ذلك من العبادات، من المشكوك، فإنه يدخل في دائرة المتحول الاجتهادي المشكوك في سنده وفي دلالاته، لوجود فرقٍ يعتبرها نفس هذا الشخص فرقاً إسلامية - كالدروز مثلاً -، لا تجد ضرورة

(١) مجلة المنهاج: العدد الثاني، ص ٦١ سنة ١٤١٧ هـ.

لممارسة هذه الشعائر، ولا تعتبرها من الأحكام الثابتة والملزمة.
وقد كتب هذا البعض نفسه مقدمات لكتب صدرت عن اتباع تلك
الفرق أيد فيها إسلاميتها، ومدحها بما تيسر له.. ولا نريد أن نقول
أكثر من ذلك..

وأعتقد أن إلقاء نظرة سريعة على مقولات الفرق المعدودة في
فرق المسلمين.. يثير العجب، والدهشة مما أثارتها تلك الفرق
والمذاهب من مقولات، وشبهات حول أبده البديهيّات.. فهل تخرجها
تلك الشبهات عن دائرة البداهة، وتجعلها من المتحول في عالم
النصوص التي لا يقين بسندها، ولا بدالاتها؟!..

٤ - والأغرب من ذلك كله.. أنه جعل مسألة الحسن والقبح
العقليين من المتحول الذي يتحرك في عالم النصوص التي لم تكن
صريحة بالمستوى الذي لا مجال لاحتمال الخلاف فيه، ولا موثوقا
بالدرجة الذي لا يمكن الشك فيه، مع أن المسألة عقلية كما هو صريح
عنوانها.. فأين هذه المسألة من عالم النصوص المتيقنة أو المشكوك.

القسم الثاني

عقائد الإمامية وشعائريهم..

الفصل الأول

وهايية، أم ماذا!؟!

بداية:

إننا نذكر في هذا الفصل بعض الشعائر والعقائد التي يناقش البعض في جدواها، أو في صحتها، أو يرى فيها نوعاً من التخلف، ويعتبرها من الموروث، الذي لا يتردد في توجيه النقد القاسي واللاذع له، إلى درجة يمكن أن يقال: إنها تتجاوز حدّ التشهير المهيّن، ولا نريد أن نمعن في إفساح المجال هنا أمام الظنون في أن يكون الهدف هو استبعاد تلك الشعائر، أو إسقاط أو زعزعة ثبات تلك العقائد بهذا الأسلوب.. بل نريد هنا - فقط - عرض نماذج من تلك الأقاويل..

ويبقى للقارئ أن يختار متابعة سائر ما سجّله ذلك البعض في هذا السياق، ليصدر حكمه بعد ذلك على تلك المقولات، وفق الضوابط والموازن المرضيّة والموثوقة، والمعتمدة والمقبولة، عقلاً وشرعاً وعرفاً.

أمّا البحث المشبع حول تلك الأقاويل، فنتركه إلى فرصة أخرى، لأن ذلك قد يثقل على القارئ، الذي حصل ممّا على وعد مسبق بأن لا يتعرض هذا الكتاب إلى البحث والإستدلال، وإن كان يتوخى بعض التوضيح والتصحيح، كلما يتبلور لدينا شعور بضرورة المبادرة إلى

إلفات نظر القارئ الكريم إلى ذلك، لسبب أو لآخر..

فإلى ما يلي من مطالب:

٨١٤ - البركة لا تتجمد في المسجد ليتبرك الناس بأرضه وجدرانه.

٨١٥ - المبارك ليس هو من يضع يده على الرؤوس ليمنحهم بركته.

٨١٦ - المبارك ليس هو الحامل للأسرار الخفية التي تدفع الناس للمس ثوبه أو جسده.

بداية توضيحية تغني عن الوقفة القصيرة:

ونقول:

لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يتبرك بعرق علي. وكان يبرك على الأطفال، ويحنكهم بريقه، ويستجيب لطلب البركة منه، فيضع يده في أواني الماء التي كانوا يأتون بها إليه بعد الصلاة.

وكانت أم سليم تجمع عرقه «صلى الله عليه وآله» في قارورة لأجل التبرك به.

وكان الصحابة يقتسمون شعره حين يحلق رأسه، بل هو كان يوزعه عليهم.

وكان المسلمون وما زالوا يقبلون الكعبة، والحجر الأسود، ويتبركون بمقامات الأئمة، وبمقام إبراهيم، وبماء زمزم، ولا يرون

ذلك عملاً عبثياً أو غير عقلائي أو غير مشروع، هم يجلونها ويتبركون بها، بهذا التقبيل.

ولكن البعض يرى أن البركة لا تتجسد في المسجد، مستندا إلى قوله تعالى: (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) مع أن التبرك بالكعبة، وبالحجر الأسود، وبرسول الله على النحو الذي ذكرناه قد كان موجوداً وشائعاً، وقد قَبَّلَ النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه الحجر الأسود، كما هو معلوم وغير ذلك .

فلنقرأ ما يقوله البعض بهذا الصدد لنجد إن كان يتوافق مع هذه الحقيقة الإسلامية والإيمانية، إنه يقول:

«... (الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) ، فيما كانت البركة تمثله من امتداد وحركة على كل الساحات المحيطة به.. لأن البركة ليست مجرد حالة غيبية روحية تثير المشاعر القدسية في أجواء ضبابية حالمية، بل هي - إلى جانب ذلك - قوة حركية روحية تندفع بالكلمة الطيبة التي تملكها، وبالطاقة الحية التي تحركها، وبالأفق الرحب، الذي تفتحه وبالشعور الحميم الذي تثيره وبالخطوات الثابتة التي تقودها.. لتكون - في جميع ذلك - مشروع حياة نافعة مليئة بكل ما يحقق للإنسان سعادته وللكون

(١) الآية ١ من سورة الإسراء.

(٢) راجع التبرك، تبرك الصحابة والتابعين، للعلامة الشيخ علي الأحمد الميانجي.

(٣) الآية ١ من سورة الإسراء.

نظامه..».

ومن خلال ذلك فإننا نفهم معنى الشخص المبارك، فهو ليس الإنسان الحامل للأسرار الخفية التي تدفع الناس أن يلمسوا ثيابه وجسده، ليأخذوا منه البركة أو يطلبوا منه أن يضع يده على رؤوسهم ليمنحهم بذلك بركته، بل هو الإنسان الذي يعيش الطاقة الروحية التي تحرك فيه كل طاقاته ليوصلها إلى الناس والحياة من حوله لتنتقل خيرا ورحمة ومحبة وسلاما في نفع شامل غير محدود كما ورد (١) تفسير قوله تعالى في حديث عيسى عن نفسه (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا) ، فقد جاء في التفسير أن معناه: وجعلني نفاعاً للناس فيما توحى به البركة من امتداد للطاقة في حياة الناس.

وهكذا نفهم معنى الأرض المباركة فيما تعطيه من خيرات على مستوى الثمرات المادية، مما تنتجه أو على مستوى الثمرات الروحية، مما توحىه وتتحرك به على خط الرسائل و الرسل فيما تحتويه منها ومنهم في كل زمان وبذلك نفهم سر التعبير في قوله: (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) بدلاً من (باركناه)، فقد يكون السر في ذلك هو الإيحاء: بأن البركة لا تتجمد في المسجد لتبقى فيه ليأتي الناس إليه ليحصلوا على البركة من أرضه وجدرانه. بل تنطلق منه في ما تمثله

(١) الآية ٣١ من سورة مريم.

(٢) الآية ١ من سورة الإسراء.

رسالته من روحية للذات ومن منهج للحياة في انفتاح الإنسان على الله من خلال وحي رسالاته التي تثير فيه المسؤولية النابضة بالروح، والمتحركة مع الواقع: لتمتد إلى كل مكان فتتحول البركة من نبع يتحرك في داخل الأرض إلى نهر جار ينساب في كل عقل وفي كل روح، ويصل إلى كل ارض للإنسان فيها وجود ليملاها بالخير والمحبة والحياة.. ومن الطبيعي لهذه البركة المحيطة بالمسجد فيما حوله أن تكون منطلقة منه مما يعني ذلك أن التعبير يختزن في داخله معنى البركة في المسجد فيما يوحيه من معنى البركة فيما حوله والله العالم^(١).

٨١٧ - تقاليد العوام في زيارة القبور قد تتخذ منحى خطيراً في خط الإنحراف.

٨١٨ - لا يكفي في استقامة العقيدة عدم الدليل على المنع من بعض الأعمال.

٨١٩ - الخلط بين مظاهر احترام الخالق والخلق ممنوع.. ولو لم يكن كفراً أو شركاً.

٨٢٠ - ما يدعى به الله لا يدعى به غيره.

٨٢١ - يعقوب سجد ليوسف تحية وتعظيماً.

٨٢٢ - سجود يعقوب ليوسف لأن ذلك كان هو التقليد الشائع في

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١٤ ص ٢٤ و ٢٥ - ٢٦.

احترام السلطان.

يقول البعض:

«إن التقاليد المتبعة لدى العوام من المسلمين في تعظيم الأنبياء والأولياء وفي زيارة قبورهم قد تتخذ إتجاهاً خطيراً في خط الإنحراف في التصور والممارسات، وذلك من خلال الجانب الشعوري الذي يترك تأثيره على الإنفعالات الذاتية في الحالات المتنوعة التي قد تدفع إلى المزيد من الممارسات المنحرفة في غياب الضوابط الفكرية التربوية، في ما ينطلق به التوجيه الإسلامي للحدود التي يجب الوقوف عندها من خلال طبيعة الحقائق الواقعية للعقيدة، لأنه لا يكفي، في استقامة العقيدة، أن لا يكون هناك دليل مانع من عمل معين، أو من كلمات خاصة، أو من طقوس متنوعة، بل لا بد من الإنفتاح على العناصر القرآنية لفكرة العقيدة، والأجواء المحيطة بها، والروحية المميزة المتحركة في طبيعتها، حتى لا تختلط مظاهر الاحترام بين ما يقدم للخالق وما يقدم للمخلوق، بقطع النظر عما إذا كان ذلك شركاً أو كفراً، أو لم يكن. ولا سيما إذا عرفنا أن الشعوب قد يقلد بعضها بعضاً في الكثير من الطقوس والعادات في مظاهر الاحترام والتعظيم، مما قد يؤدي إلى التأثير الشعبي ببعض التقاليد الموجودة لدى بعض الشعوب غير الإسلامية التي قد تشتمل على العناصر الفكرية أو الروحية البعيدة عن فكر الإسلام وروحه.

إن هناك نوعاً من التوازن في الحدود النفسية للإرتباط الروحي

بالأشخاص، من حيث الشكل أو المضمون، لا بد للمسلم من مراعاته من أجل الاحتفاظ بالأصالة الفكرية التوحيدية في خط الإنفتاح على الله بما لا يدعو به إلى غيره، لإبقاء الصفاء العقيدي في العمق الشعوري الروحي للإنسان المسلم، لأن ذلك هو السبيل الأمثل للاستقامة على الخط المستقيم، لأننا لا نريد أن نصل في استغراقنا العاطفي إلى لون من ألوان عبادة الشخصية في ما تتحرك به مشاعر العاطفة بعيداً عن رقابة العقل، الأمر الذي يدفعنا إلى أن نتحمل مسؤولياتنا في الساحة الفكرية، لنراقب طبيعة الأساليب الشعبية في ذلك كله؛ لنبقى من خلال المراقبة الدقيقة في مواقع التوازن الفكري والروحي في خط العقيدة» .

وقفه قصيرة:

ونقول:

١ - إن التقاليد المتبعة لدى العوام من المسلمين في تعظيم الأنبياء والأولياء تتمثل في تقبيل ضريح النبي أو الإمام، ووضع الخد عليه، ومسحه باليد أو بالثوب، والدعاء عنده وطلب شفاء مريض، أو قضاء حاجة، والصلاة إلى الله قرب ذلك الضريح، وقراءة القرآن والأدعية المأثورة، والبكاء إلى الله والطلب والابتهاال إليه بأن يغفر ذنوبهم ويرحمهم، وقد يقام مجلس عزاء يذكر فيه ما جرى على أهل بيت

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١ ص ٦٤ و ٦٥.

النبوة «عليهم السلام» في سبيل هذا الدين..

وقد يحدث أن يؤتى بالمريض ليكون إلى جانب ضريح الإمام «عليه السلام» ويتعلق بالضريح أو يعلقه أهله به، في عملية إلحاح شديد على الإمام ليكون واسطتهم إلى الله سبحانه ليشفى هذا المريض. وهو يقصد ذلك كله - فيما يظهر - وذلك لقوله:

«لا يكفي في استقامة العقيدة أن لا يكون هناك دليل مانع من عمل معين أو كلمات خاصة أو من طقوس متنوعة».

وقد اعترف هذا البعض نفسه بأن المسلمين يمارسون التوسل بالأنبياء والأولياء:

«من موقع التوجه إلى الله بأن يجعلهم الشفعاء لهم وأن يقضي حاجاتهم بحق هؤلاء فيما جعله لهم من حق، مع الوعي الدقيق للمسألة الفكرية في ذلك كله» .

واعترف أيضاً بأنه:

«إذا كان الله قادراً على أن يحقق ذلك من خلالهم في حياتهم فهو القادر على أن يحقق ذلك بعد مماتهم باسمهم، لأن القدرة في الحاليين (١) واحدة» .

ويقول:

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١ ص ٦١.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١ ص ٦٣.

«إن الذهنية العقيدية لدى المسلمين لا تحمل أي لون من ألوان (١) الشرك بالمعنى العبادي» .

فما يعني أن يدّعي هذا البعض هنا:

«أن التقاليد المتبعة لدى العوام من المسلمين في تعظيم الأنبياء والأولياء، وفي زيارة قبورهم، قد تتخذ اتجاهاً خطيراً في خط الانحراف في التصور والممارسات».

٢ - وقد يتذرع هذا البعض بأن هناك قلة جداً قد لا يصلون إلى الواحد بالألوف الكثيرة حينما يصلون إلى مقام النبي أو الإمام فإنهم يسجدون على الأعتاب.. وهذا سجود لغير الله سبحانه، وهو اتجاه خطير في التصور والممارسات.

ونقول له:

أولاً: إن كلامه لم يشر إلى هذه الحالة النادرة بل جاء ليتحدث عن تلك الأمور المتعارفة والشائعة التي أصبحت تقاليد متبعة لدى العوام من المسلمين، على حدّ تعبيره. والشيء الذي لا يحصل إلا نادراً، ومن قبل قلة من الناس، لا يقال له: تقاليد متبعة.

ثانياً: إن هؤلاء الذين يسجدون على الأعتاب إنما يسجدون لله شكراً له على ما وفقهم إليه من زيارة قبر وليه، ولا يسجدون لا للنبي ولا للولي، فما هو المحذور في ذلك؟!

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١ ص ٦٣.

ثالثاً: إن هذا البعض نفسه يقرّ بأن الملائكة قد سجدوا لآدم وهم العباد المكرمون. واللافت: أن هذا الأمر جاء امتثالاً لأمر مباشر صادر من الله سبحانه ولم يكن بمبادرة منهم. واعتبر ذلك تحية وإكراماً له.. فلماذا لا يجد في هذا السجود أيضاً معنى التحية والإكرام؟!

بل إن هذا البعض قد أقرّ بأن يعقوب وهو نبي مرسل - وزوجته وأولاده قد سجدوا ليوסף، وقد رضي يوسف وهو نبي، بسجود إخوته وحتى بسجود أبويه له، رغم أنه مأمور بإكرامهما وبإعزازهما والبرّ بهما.

ويزيد الأمر حساسية أن هذا الأب الذي سجد لولده لم يزل يعيش ويعاني من الآلام والأحزان حتى ابيضت عيناه من الحزن على نفس هذا الولد، الذي وجده بعد أن فقده.. وإذا به يجد أن هذا الولد النبي ليس فقط لا يعترض على سجود إخوته له، بل هو لا يعترض حتى على سجوده هو له أيضاً.

ومن الواضح: أن الأنبياء لا يقومون بأي عمل خصوصاً إذا كان من هذا القبيل إلا إذا عرفوا رضا الله سبحانه وتعالى به. علماً بأن بعض العلماء يقولون: إن السجود عبادة بذاته.

نعم.. وقد أقر هذا البعض واعترف بأن السجود في قصة يعقوب ويوسف كان ليوسف مباشرة. وقد برّر ذلك بأنه من:

«التقليد المتبع في احترام صاحب العرش الذي يملك السلطة..».

فليكن إذن هذا السجود لله على عتبة المقام سجوداً له، وقد أصبح تقليداً متبعاً.

فهو يقول:

«ربما نلاحظ أن الصورة الشكلية، في ما تعارف عليه الناس من طقوس في مظاهر العبادة، لا تمثل - بمجردَها - معنى العبادة، بل لا بد من أن ينضم إليها الإستغراق في الذات التي يوجّه إليها الفعل المعين، في ما يشبه حالة الذوبان الذي يفقد الإنسان معه الإحساس بإرادته أمامها، أو في الالتفات إلى وجوده معها. ولذلك لا بد من وجود حالة نفسية في مستوى الإنسحاق في انطباق مفهوم العبادة عليه.

وهذا ما نستوحيه في مسألة أمر الله للملائكة ولإبليس بالسجود لآدم «عليه السلام»، باعتبار ما يمثله ذلك من معنى الاحترام الناشئ من الإحياء بعظمة خلقه - كما هو أحد الاحتمالات في ذلك - فإن من الطبيعي أن الله لم يأمر بذلك بمعنى العبادة لآدم «عليه السلام» حتى على مستوى المظهر؛ لأن الله لا يرضى بعبادة غيره وإن كان من أقرب خلقه إليه. ولذلك، لم يكن ردّ فعل إبليس على المسألة اعتراضاً على منافاة ذلك للإخلاص لله وللإيمان بوحدانيته، بل اعتراضاً على أن يكون عنصر التراب أفضل من عنصر النار، بحيث لا يتناسب ذلك مع سجود المخلوق من النار، التي هي أقوى من التراب، للمخلوق من التراب، لأن السجود يمثل التعبير عن التعظيم، باعتبار

أنه صاحب القيمة الفضلى والمستوى الأرفع.

وهكذا، فإننا لم نجد من الملائكة استغراباً للأمر، في ما يمكن أن يحمله، حسب هذا الفرض، من المنافاة للتوحيد في العبادة.

وهذا ما نستوحيه من سجود يعقوب «عليه السلام» وزوجته وأولاده ليوسف «عليه السلام»، وذلك قوله تعالى: (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)، فإن الظاهر: أن المراد منها هو سجود أبويه وإخوته له، لأنه قال - بعد ذلك - (يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) ، وكان في ما قصّه على أبيه من رؤياه في بداية القصة، ما ذكره الله سبحانه: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) ، فهل يمكن أن يكون في سجود يعقوب «عليه السلام» وزوجته وأولاده لون من ألوان العبادة ليوسف «عليه السلام» الذي يعيش العبودية لله في أعلى مواقعها، كما عاشها أبوه «عليه السلام» في هذا المستوى؟!

إن المسألة هي - في ما يبدو - مسألة التقليد المتبع في احترام صاحب العرش، الذي يملك السلطة، في السجود له، تعبيراً عن الشعور بعظمته وعن التقدير لمقامه الرفيع.

(١) الآية ١٠٠ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٤ من سورة يوسف.

وفي ضوء ذلك، لا بدّ من التدقيق في طبيعة الأشكال المتعارفة لدى الناس، التي تلقت - بشكل أو بآخر - بالشكليات الطقوسية للعبادة، ودراسة خلفياتها الفكرية والروحية في شخصية من يمارسها، ومعرفة التقاليد الاجتماعية في مسألة الاحترام والتقدير، في ما تعتاده المجتمعات من طرق تعبير مختلفة، لنميّز بين ما يسيء إلى التوحيد في العبادة، عندما تكون الخلفيات مرتبطة بالإستغراق بالشخص أو الجهة، بحيث يفقد الإنسان الإحساس بوجوده معه، أو بحضور الله في علوّ موقعه في المعنى الإلهي التوحيدي فيه، وبين ما يسيء إلى التوحيد، لأنه ينطلق من حالة عُرْفية تقليدية في ما هو الإحترام والحب والتعظيم، لكنها لا تغفل عن الإحساس بعظمة الله في مقام وحدانيته، في ما تمارسه من أعمالٍ وأقوالٍ» .

إنتهى كلام هذا البعض.

وقفة قصيرة:

واللافت للنظر هنا:

أن عدداً من الروايات عن أهل بيت العصمة «عليهم السلام» تصرّح بأن سجود يعقوب «عليه السلام» إنما كان إعظماً وشكراً لله سبحانه (٢) .

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١ ص ٥٨ و ٥٩.

(٢) تفسير البرهان ج ٢ ص ٢٧٢ وراجع ص ٢٧١.

وفي نص آخر: عبادة الله .

وفي نص رابع: «إنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة الله وتحية ليوسف، كما كان السجود من الملائكة لآدم، ولم يكن لآدم، وإنما كان ذلك منهم طاعة الله وتحية لآدم، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم (٢) شكراً لله لاجتماع شملهم» .

وبعدما تقدم نقول:

إن هذا البعض لم يلتفت إلى هذه الروايات، بل تجاهلها وحكم بأنهم إنما سجدوا ليوسف «عليه السلام» استجابة إلى تقاليد كانت شائعة عند الناس آنئذٍ.. رغم أن الروايات تؤكد أن السجود إنما هو لله سبحانه عبادة أو شكراً له، أو إعظاماً، أو طاعة لله، وتحية لآدم.. بل إن الرواية الأخيرة قد صرّحت بأن يوسف «عليه السلام» قد سجد معهم أيضاً..

فهل السجود على أعتاب مقامات الأنبياء والأئمة والأولياء إعظاماً أو شكراً، أو عبادة أو طاعة لله، أو حتى تحية للنبي أو الولي، بعد أن فعلته الملائكة والأنبياء قد يتخذ اتجاهاً خطيراً في التصور والممارسات؟!!

٣ - ما معنى قوله:

(١) المصدر السابق ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧١.

«لا يكفي في استقامة العقيدة أن لا يكون هناك دليل مانع من عمل معين، أو من كلمات خاصة أو من طقوس متنوعة، بل لا بد من الإنفتاح على العناصر القرآنية الفكرية العقيدية».

ألف: فمن الذي قال لهذا البعض:

«إنه لا يكفي عدم وجود دليل مانع من عمل معين».

وما هو دليله على هذه المقولة، فإنها محض ادعاء يحتاج إلى دليل يوجب اليقين، ولا يكفي مطلق الحجة، كما قرره هذا البعض.

ب: إن الدليل على تلك الطقوس التي تزجج هذا البعض موجود، وهو مفيد لليقين.. فإن الدعاء والصلاة والإستشفاع، وقراءة القرآن، والبكاء إلى الله وطلب غفران الذنوب، وإقامة مجالس العزاء، والتبرك بآثار الأنبياء والأولياء وزيارة قبورهم وتعظيمهم، كل ذلك قد دلت الأدلة القطعية والمفيدة لليقين عليه.. بل وفوق اليقين.

وكذا السجود لله تعظيماً وشكراً، وعبادة له سبحانه في مقاماتهم..

بل وحتى لو كان السجود لهم تحية وتعظيماً وإكراماً فإن هذا البعض نفسه قد اعترف بأنه قد صدر مثله أيضاً عن الأنبياء والملائكة في السجود لآدم وليوسف «عليهما السلام».

فما بالك بما عدا السجود من طقوس ذكرناها أو ذكرنا القسم الأعظم والأهم منها مما يزجج هذا البعض ويثير حفيظته ويجهد للتشكيك بمشروعيته وتزيين عدم فعله للناس بمثل هذه الأساليب.

٤ - ولا ندري ما المانع من أن «تختلط مظاهر الاحترام بين ما

يقدم للخالق، وما يقدم للمخلوق». فإنه هو نفسه قد قرر: أن نبي الله يعقوب «عليه السلام» قد سجد لنبي الله يوسف «عليه السلام». وكان يسجد أيضاً لله سبحانه.. فإذا جاز هذا الاختلاط في السجود الذي هو أجلى مظاهر التعبد، فإن الأمر يصبح بالنسبة لغيره من مظاهر الاحترام أيسر وأسهل. ما دام أنها لا ترقى في عباديتها لمستوى السجود.

ولا ندري أيضاً، ما المانع من أن يخاطب الله ويدعوه به بما يخاطب ويدعوه به غيره.

فهل إذا قال: «يا رب أعطني ويا رب اغفر لي ذنبي واقبل توبتي والخ..؟!»

وإذا قال لإنسان ما: أيها الإنسان الغني أعطني وحين يرتكب جرماً في حق أحد من الناس، فإنه يقول لذلك المجني عليه أو للقاضي اغفر ذنبي واقبل توبتي.

فهل يضرّ تشابه القولين بالصفاء العقيدي وفي العمق الشعوري للمسلم؟!

ويتأكد هذا الأمر حين يتضح: أن المسلمين يلتزمون خط التوحيد وأن ذهنيته لا تحمل أي لون من ألوان الشرك.

٥ - وأما بالنسبة لتقليد الشعوب بعضها بعضاً، فإن الله سبحانه حين رضي من نبيه يعقوب «عليه السلام» أن يمارس السجود ليوسف «عليه السلام» كان يعرف أن الشعوب قد يقلد بعضها بعضاً

في الكثير من الطقوس والعادات.

٦ - إن تقليد الشعوب لبعضها البعض.. واحتمال أن يؤدي ذلك إلى التأثير ببعض التقاليد غير الإسلامية لا يوجب تحريم الحلال، وإلا لزم أن يحكم هذا البعض حتى بتحريم ممارسة الصلاة إذا كان البعض قد يسيء فهمها، ويفسر لها تفسيراً خاطئاً يجعله بعيداً عن خط الإيمان، ويثير فيه حالة العناد والعداء للدين وأهله.

٧ - وأما التوازن الذي يدعي البعض:

«أنه لا بد للمسلم من مراعاته من أجل الاحتفاظ بالأصالة الفكرية التوحيدية..».

فإن الله سبحانه حين أمر الملائكة بالسجود لآدم ورضي بسجود يعقوب ليوسف «عليهما السلام»، كان يعرف هذا التوازن، ورأى أن السجود ليوسف «عليه السلام»، وأن التبرك بآثار الأنبياء والأولياء، والإستشفاع بهم وزيارة قبورهم ووضع الخد على القبر، وإقامة مجالس العزاء وطلب الحاجات من الله سبحانه بحق صاحب القبر، بل وطلبها من النبي والولي نفسه ليكونوا وسيلته إلى الله - مع علمه بأنهم أحياء يرزقون يرون مقامه، ويسمعون كلامه ويرتّون سلامه وغير ذلك - إن ذلك كله يسير في خط التوازن، وهو الذي يرسّخ الأصالة التوحيدية ويحفظها ويرعاها.

٨٢٣ - لا فائدة من مسك حديد قبر النبي «صلى الله عليه وآله».

٨٢٤ - الدعوة إلى تغيير الزيارات المرسومة.

ومع أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان إذا قصَّ شعره، وزَّع ذلك الشعر على أصحابه، وكان «صلى الله عليه وآله» يؤتى بالأواني وفيها الماء ليضع يده الشريفة فيها كي يتبركوا بها، وكان عرقه يؤخذ ويجعل في القوارير، وكانت فاطمة تتبرَّك بتراب قبر حمزة «عليه السلام»، فجعلت منه مسبحة لها.. إضافة إلى أن الصحابة كانوا يأخذون تراب قبر النبي «صلى الله عليه وآله» للبركة إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه، وقد جمع حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الأحمدى كتاباً ضخماً أسماه: التبرك «تبرك الصحابة والتابعين بآثار الأنبياء والصالحين»، أورد فيه مئات النصوص الدالة على ذلك..

نعم.. مع ذلك نجد البعض يتحدث عن فائدة التبرك بقبر النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» فيقول:

«ما الفائدة التي نستفيدها من أن نمسك الشباك، أو نمسك الحديد.. فكما قلنا هذا ليس حراماً، كما يقول الآخرون، وليس ضرورياً، فيمكن ترك ذلك»^(١).

ويقول:

«ليس من الضروري أن يذهب إلى قرب الضريح ولا يعني إن لمسك الضريح، أنه لمسك جسد النبي، يكفي الزيارة من المسجد، وأن

(١) مجلة الموسم العددان ٢١ - ٢٢ ص ٢٩٩.

يتصور الإنسان حياته.

وبهذا يمكن أن يحصل على ثواب الزيارة، مع الإبتعاد عن القبر،
(١) وعن الزحام، وربما تكون الزيارة أكثر ثواباً وأجراً» .

ثم هو يدعو إلى تغيير الزيارات المرسومة، فيقول:

«قد ينبغي لنا أن نفكر بالعمل على تجديد الزيارات المرسومة
للنبي محمد «صلى الله عليه وآله»، أو للأئمة من أهل البيت «عليهم
السلام» باعتبار حاجة المرحلة المعاصرة إلى تربية الأمة على
المفاهيم (٢) الإسلامية التي تفرضها حاجة الحركة الإسلامية
العالمية» .

ونقول:

لو سلمنا الحاجة إلى تربية الأمة على المفاهيم التي تفرضها
الحاجة في هذه المرحلة، فما الداعي إلى إلغاء الزيارات المرسومة
التي تمثل ثوابت المذهب وتحدث عنها..

٨٢٥ - التعبد لقبر النبي والولي وتمثال المسيح «عليه السلام».

٨٢٦ - صنمية لا شعورية للشخصيات المقدسة.

٨٢٧ - تعليق صورة علي «عليه السلام» صنمية.

٨٢٨ - قدّمنا للناس أشكالا اعتبرناها طقوسا ومقدسات.

(١) مجلة الموسم العددان ٢١ - ٢٢ ص ٧٤.

(٢) تأملات في آفاق الإمام الكاظم «عليه السلام» ص ١١.

٨٢٩ - لا يخطر في بال أحد «الرحلة» في أجواء صاحب القبر.

٨٣٠ - تجميد الشخصية المقدسة في القبر أو التمثال.

ويقول:

«الإنسان وهو يحدق بالصورة قد ينسى حتى الإحياءات التي يراد للصورة أن تنقلها، أو حتى أنه ينسى كل القيم التي يعبر عنها صاحب الصورة، أو كما هي الحال في تماثيل تمثيل السيد المسيح «عليه السلام»، أو زيارة قبور الأنبياء والأولياء فيما هي التجربة مشتركة بين الإسلام والمسيحية».

«فإنك حين ترصد وعي هؤلاء الناس للصورة، للتمثال، فإنك لا تجد في الغالب أن هناك وعيا للآفاق التي يمثلها صاحب الصورة أو التمثال، فنجد أن الناس تتجه إلى القبر «قبر النبي أو الولي» لتقبل الضريح، لتتمسك به لتخاطب صاحب القبر بطريقة مادية لتصوره وجودا ماديا تخاطبه، من دون أن يخطر في بال أحد البدء برحلة في أجواء صاحب التمثال أو صاحب القبر.

إن هذا يمثل نوعا من تجميد الشخصية المقدسة أو الشخصية المعظمة في هذا التمثال أو في القبر بحيث يتعبد الناس لا شعوريا للتمثال، فحين يجلسون أمام تمثال السيدة مريم «عليها السلام» أو تمثال السيد المسيح «عليه السلام» أو حين يجلسون أمام قبر نبي أو ولي أو إمام، فإننا نجد العنصر المادي هو الطاعني، تماما كما لو أنهم يتعبدون.

لذلك أنا أتصور أن هناك نوعاً من الصنمية اللاشعورية الموجودة لدى المؤمنين من مسلمين ومسيحيين للشخصيات التي يقدسونها من خلال هذه الأشكال التي قدمناها إليهم، واعتبرناها طقوساً ومقدسات، بحيث ينتقل الإنسان عن القيمة الدينية أمام الصورة المادية.

وحتى مسألة تعليق الإنسان في صدره أيقونة، حتى أن بعضهم يعلق صورة السيد المسيح، أو العذراء، ونجد عندنا من يعلق صورة الإمام علي،^(١) أو صورة الإمام الخميني، أو صورة بعض الشخصيات» .

إنه يقول هذا، مع أننا - نحن شيعة أهل البيت - لم نزل طيلة مئات السنين نزور قبر النبي «صلى الله عليه وآله»، والأئمة «عليهم السلام»، وقبور الأولياء والعلماء والصلحاء.. كما أن معظم المسلمين يزورون قبر النبي «صلى الله عليه وآله» والأولياء عندهم، ولم يصبح أحد عابداً لأحد منهم، ولا أحسبنا بهذه المعاني التي نسبها إلى من يزور قبور النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام».

أضف إلى ذلك: أنه لا يصح قياس المسلمين بالمسيحيين، فإن المسيحيين يعيشون حالة العبادة الشعورية.. أما المسلمون، فلا يعيشون حالة الصنمية أصلاً، بل هم يمتثلون أمر الله سبحانه، وما

(١) مجلة المعارج عدد ٢٨ - ٣١ ص ٦٢٤ و ٦٢٥.

شرعه من علاقة عاطفية تجاه أنبيائه وأوليائه وأصفياه، وخيرته من خلقه.

واللافت للنظر جداً أن هذا البعض لا يأبى عن اتخاذ عشرات، بل مئات الوضعيات لتلتقط له آلاف الصور الملونة، وتنتشر في أرجاء المعمورة؛ ليعلقها الناس على جدران بيوتهم، وفي أماكن عملهم وسياراتهم، بل وفي علاقات مفاتيحهم وفي.. وفي.. ولم نسمع منه يوماً نهياً لأتباعه هؤلاء عن مثل هذا، ولا حذرهم من أن يغرقوا في مادة الصورة ليغيبوا عن القيمة الدينية التي يطلبون!!.



الفصل الثاني

حُسينيّات..



وفيما يلي من صفحات لمحة من كلام البعض حول شخصية الإمام الحسين «عليه السلام» وما يرتبط به من الشعائر والعبادات:

٨٣١ - الالتفات إلى الجانب الإنساني دون الرسالي في قضية الحسين «عليه السلام» تخلف.

٨٣٢ - تمثيل عاشوراء صنمية.

سُئِلَ البعض عن الاجتماعات وتمثيل واقعة عاشوراء، فكان له جواب مميز (!!) وذلك كما يلي:

«س: ... الاجتماعات والتماثيل؟! »

ج: هذه صنمية. نحن الآن ليس عندنا شغل بالإمام الحسين «عليه السلام» بصفته الشخصية، كما أنه هناك جماعة يؤلّهون الإمام علي «عليه السلام»، هل نحن يعني نقبل منهم؟! نلعنهم؟! ».

إلى أن قال:

«نحن نخاطب الحسين من خلال دوره الرسالي، و من خلال ممارسته الشخصية للخط الرسالي الذي يدعو إليه، فإذن لا يمكن لنا أن نغير صورة الحسين «عليه السلام» ونجعله مجرد شخص لا يوحى لنا إلا بالبكاء، ولا يوحى لنا إلا باللطم. لا، إنما يوحى لنا بالحركة في سبيل الإسلام، وبالحركة في سبيل تغيير أنفسنا، الواقع قضية الحسين هو هذا.. وهذا الموجود عندنا من الإستغراق في قضية

الحسين «عليه السلام» بعيداً عن الجانب الرسالي، إنما هو تخلف. هذا ناشئ من أنه أخذنا يعني الكثير من خصائص التخلف وغرقنا فيها، ولا زلنا غارقين فيها» .

ثم يذكر أن عنصر المأساة يجب أن يبقى. فنبكي على الحسين حتى تبقى قضية الحسين خالدة.

فيلاحظ: أنه يعتبر تمثيل قضية عاشوراء صنمية مع أنه كان قد دعا إلى تمثيل عاشوراء في مسرحية وقد أعلن ذلك في مقابلة أجرتها معه جريدة السفير في عشرة محرم سنة ١٤١٧ هـ .

وهو يعتبر أن الالتفات إلى الجانب الإنساني من قضية الإمام الحسين «عليه السلام» مع غض النظر عن الجانب الرسالي منها تخلف ثم هو يركز على الجانب الرسالي، بعيداً عن صفته الشخصية، وتجد الكثير من تصريحاته المشيرة إلى ذلك، فلنقرأ مع النص التالي أيضاً..

٨٣٣ - ذاتيات الحسين «عليه السلام» في زيارة وارث.

٨٣٤ - التوجه إلى الله مباشرة، لا إلى الحسين «عليه السلام».

وفي شرح زيارة الإمام الحسين «عليه السلام»، أعني (زيارة وارث) نجده يقول:

(١) مجلة الموسم العددان ٢١ و ٢٢ ص ٣٠٩ و ٣١٠.

(٢) كتاب الندوة ج ١ ص ٤٦٠ - ٤٦١.

إنه لم يحدثنا عن أية ذاتية من ذاتيات الحسين «عليه السلام» وذاتية الحسين تمثل الكمال، ولكنه حدثنا عن عبودية الحسين لله سبحانه تعالى، لذلك، فإن الله يريدنا ألا نتوجه إلى الناس مباشرة بل أن نتوجه إلى الله مباشرة .

١ - إن هذا البعض يقول هذا مع أن الزيارة تشير إلى بعض ذاتيات الإمام «عليه السلام» أيضاً، فقد جاء فيها: أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهفات ثيابها .

أليس هذا حديثاً عن ذاتيات الحسين «عليه السلام»؟!!

٢ - ألا يريد الله منا: أن نستشفع إليه بأنبيائه، وأوليائه.. فما معنى نفي التوجه إلى الناس مباشرة؟!!

٨٣٥ - زيارة الناحية المقدسة للإمام الحسين «عليه السلام» موضوع.

٨٣٦ - ذيل زيارة عاشوراء موضوع أيضاً.

ويقول البعض في سؤال وجواب جاء على النحو التالي:

س: في الزيارة المعروفة «وخرجن ناشرات الشعور لاطمات الخدود» فكيف يمكن لبنات الرسالة أن يخرجن ناشرات الشعور؟!!

(١) الندوة ج ١ ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٢) مفتاح الجنات ج ٢ ص ١١١ ومصباح المتجهد ص ٦٦٤.

«ج: أولاً: إن هذا المقطع هو من (زيارة الناحية) وهي زيارة موضوعة من قبل بعض العلماء لم يثبت - لدينا - صدورها عن الإمام الحجة «عليه السلام» فلم يثبت سندها عنه، ولذلك فهي زيارة مفاجئة تثير الشعور، ولكنها لا تمثل كلام الإمام خصوصاً وأن مسألة خروجهن ناشرات الشعور شيء لا يمكن تصديقه في هذه القصة، وإنما ذكرت إثارة للجو بلسان الحال، أي أنهم لولا وجود الرجال الأجانب لنشرن شعورهن» .

وقد حكم أيضاً على ذيل زيارة عاشوراء: بأنه غير ثابت، فقد سئل عن الأدعية والزيارات التي ثبتت مصادرها عن الأئمة الأطهار «عليهم السلام» فقال في الجواب:

هناك زيارة وارث وزيارة أمين الله وهكذا زيارة عاشوراء بدون ذيلها... الذي قد يرى العلماء أنه من الزيادات الخ..

ونقول:

إن المبادرة إلى الحكم القاطع على زيارة الناحية بأنها موضوعة من قبل بعض العلماء، في غير محله. وذلك للأسباب التالية:

١ - إن هذا البعض تارة يقول هي موضوعة، ثم يلحق ذلك مباشرة بقوله:

«لم يثبت لدينا صدورها عن الإمام الحجة».

ومن المعلوم: أن عدم ثبوت ذلك عنده لا يبرر الحكم القاطع عليها بأنها موضوعة من قبل بعض العلماء..

٢ - إن الفقرة التي هي مورد السؤال قد وردت في الزيارة المنقولة عن الشريف المرتضى «رحمه الله» ، وهي التي قال المجلسي عنها:

«والظاهر: أن الزيارة من مؤلفات السيد والمفيد رحمهما الله. ولعله وصل إليهما خبر في كيفية الصلاة، فإن الاختراع فيها غير جائز» .

وقال أيضاً:

الظاهر: أنه من تأليف السيد المرتضى رضي الله عنه، قال في مصباح الزائر زيارة بألفاظ شافية، يذكر فيها بعض مصائب يوم الطف يزار بها الحسين صلوات الله عليه، زار بها المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه، وسأذكرها على الوصف الذي أشار هو إليه .

ولكن عاد المجلسي «رحمه الله»، وذكر نصاً آخر للزيارة

(١) البحار ج ٩٨ ص ٢٤٠ وأشار في الهامش إلى مصباح الزائر ص ١٢١ - ١٢٤.

(٢) البحار ج ٩٨ ص ٢٥١.

(٣) البحار ج ٩٨ ص ٢٣١ وأشار في الهامش إلى مصباح الزائر ص ١١٦.

يختلف عن النص الذي أورده السيد المرتضى، وقد ذكرت الفقرة السابقة فيها أيضاً.. ولكنه استظهر منها أنها زيارة مروية وليست من تأليف أحد.. ثم احتمل أن يكون المرتضى قد أخذ هذه الرواية ثم زاد عليها ما شفى غليل صدره، وأبان فيه عن مكنون سره.. واحتمل أيضاً أن تكون رواية أخرى له خاصة به..

وإليك نص عبارة المجلسي «رحمه الله»:

«..أقول: قال مؤلف (المزار الكبير) زيارة أخرى في يوم عاشوراء مما خرج من الناحية إلى أحد الأبواب، قال: تقف عليه وتقول: السلام على آدم صفوة الله وخليفته، وساق الزيارة إلى آخرها مثل ما مر» .

فظهر أن هذه الزيارة منقولة مروية، ويحتمل أن لا تكون مختصة بيوم عاشوراء، كما فعله السيد المرتضى.

وأما الاختلاف الواقع بين تلك الزيارة وبين ما نسب إلى السيد المرتضى، فلعله مبني على اختلاف الروايات.

والأظهر أن السيد أخذ هذه الزيارة، وأضاف إليها من قبل نفسه ما أضاف .

٣ - وأما بالنسبة لاستبعاد أن تكون النساء قد خرجن من الخدور

(١) المزار الكبير ص ١٧١.

(٢) البحار ج ٩٨ ص ٣٢٨.

ناشرات الشعور، كما ورد في زيارة الناحية والتشكيك في الزيارة استنادا إلى ذلك، فلا يصلح أساسا للتشكيك، وذلك لأن ظروف الحروب الضارية ربما توجد حالة من الذعر والإندهاش، تؤدي بالنساء أن يخرجن على حالة لا يخرجن عليها في الظروف العادية. والنساء اللواتي حضرن كربلاء من مختلف القبائل العربية، وقد يكون فيهن نساء يسرع إليهن الخوف، ونساء أكثر صلابة وثباتا، فلم يكن كل من حضر من النساء في كربلاء في مستوى زينب «عليها السلام» من حيث المعرفة والصلابة والثبات.

وبعد كل ما تقدم فإننا لا نستطيع قبول هذا الحكم القاطع من ذلك البعض على هذه الزيارة بالوضع. ونظير هذا كلامه على (ذيل) زيارة عاشوراء بعد ثبوته عن الأئمة «عليهم السلام» من دون مبرر ظاهر. وكيف يثبت لديه أول الزيارة ولم يثبت لديه ذيلها مع أن الذي أثبتها هو سند واحد ثبت به فقرات هذه الزيارة جميعا!!.

٨٣٧ - من الأساليب الشائعة في قراءة العزاء: أن الحسين «عليه السلام» فدى بنفسه ذنوب شيعة.

٨٣٨ - ذنوب الشيعة مغفورة بشكل مباشر كما في التفكير المسيحي.

٨٣٩ - ذنوب الشيعة مغفورة بشفاعه الحسين من خلال استشهاد.

٨٤٠ - الشفاعه من خلال الشهادة أسلوب بعيد عن التفكير

الإسلامي.

يقول البعض:

«..ثم ما معنى أن يتحمل شخص العذاب والآلام ليفدي بذلك خطايا البشرية القليلة والكثيرة إذ لا نعقل معنى لاستيفاء الحق بذلك.. فإن الفكرة الطبيعية المعقولة هي أن يتحمل الإنسان مسئولية خطأه فيجني ثمارها بنفسه وهذا هو ما ركزه القرآن في قوله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (١) .

وبهذه المناسبة نحب أن نشير إلى أن مثل هذه الفكرة - وهي فكرة التكفير عن خطايا الآخرين بالآلام التي يتحملها شخص معين عظيم يقف ليفدي الناس بذلك - قد انتقلت إلى بعض الأساليب الشائعة في عرض قضية الإمام الحسين في ثورته واستشهاده.. فان بعض القارئین للسيرة يحاولون أن يذكروا أن الحسين فدى بنفسه ذنوب شيعته وخطاياهم مما يقتضي غفران تلك الذنوب بتضحيته إما بشكل مباشر، كما في التفكير المسيحي.. أو بشكل غير مباشر باعتبار أنه يشفع لهم من خلال هذه الشهادة.. إننا نحب أن نسجل ابتعاد هذه الأساليب عن التفكير الإسلامي وعن الطابع الإسلامي للثورة الحسينية التي انطلقت من أجل إقامة الحق وإزهاق الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعيدا عن أي حالة فداء لذنوب

(١) الآية ١٦٤ من سورة الأنعام.

(١)

الآخرين، بل هو الفداء والتضحية للحق وفي سبيل الله» .

وقفه قصيرة:

١ - ليت هذا البعض قد ذكر لنا من قراء السيرة الحسينية يقول: إن الحسين باستشهاده فدى بنفسه ذنوب الشيعة بشكل مباشر كما في التفكير المسيحي؟! أو حتى بشكل غير مباشر كما يذكر هذا الرجل؟!

فنحن طيلة عمرنا لم نقرأ ولم نسمع بهذه المقولة من أحد من الناس، من علماء، أو قراء عزاء، أو غيرهم، إلا ما ينقلونه عن اعتقاد المسيحيين بذلك فيما يتعلق بالمسيح «عليه السلام».

فكيف أصبح هذا من الأساليب الشائعة في عرض قضية الإمام الحسين «عليه السلام» ونحن لا نجد أحدا يذكر هذا أصلاً؟!

٢ - أما غفران ذنوب الشيعة بشفاعته الإمام الحسين «عليه السلام»، فما هو المحذور في ذلك، إذا كانت أوصاف الشيعة الذين تتألم الشفاعة تنطبق عليهم.

وقد وردت هذه الأوصاف في أحاديث أهل البيت «عليهم السلام»، وهي أمور يحسن بكل موال ومحب، بل وبكل عاقل أن يقرأها ويتمعن فيها ويتحرى سبيل الاتصاف بها، ليجد أن شفاعته الإمام الحسين لمن يتحلى بهذه الأوصاف ليست أمراً مستغرباً، بل

هي محض الإنصاف ومنتهى العدل والفصل، فراجع كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق «رحمه الله» تعالى (١).

٨٤١ - الإضراب عن الطعام حتى الموت قد يجوز، والطم في عاشوراء إضرار بالنفس لا يجوز.

٨٤٢ - الإضراب المضر يجوز إذا حقق مشروعاً عاماً ولا يجوز اللطم العنيف في عاشوراء لأنه مضر.

٨٤٣ - الإضراب الانتحاري عن الطعام إذا حفظ الواقع العام فهو جهاد - لكن التطبير على الحسين حرام.

٨٤٤ - ضرب الرأس في عاشوراء تخلف.

٨٤٥ - ضرب الظهر بالسلاسل تخلف.

٨٤٦ - اللطم إذا لم يكن هادئاً، عاقلاً حزيناً نوع من التخلف.

٨٤٧ - ضرب الظهر بالسلاسل حرام لأنه إضرار بالنفس.

٨٤٨ - كل ما فيه إضرار بالنفس في عاشوراء حرام.

سئل البعض:

من أساليب الاحتجاج كتعبير عن المعارضة على الظلم هو الإضراب عن الطعام، فهل الشرع يجيز هذا العمل، لا سيما إذا كان يجرّ إلى التهلكة كالموت مثلاً؟!

فأجاب:

(١) وراجع أيضاً كتاب البحار ج ٨ ص ٢٩ - ٦٣.

«الأصل في الشرع الإسلامي أن لا يضر الإنسان نفسه - إذ يحرم إضرار الإنسان بنفسه لا سيما إذا كان الضرر بالغاً، والأصل أن لا يلقي الإنسان بيده إلى التهلكة لأن الله لم يرخص له ذلك، فأنت لا تملك حياتك لتملك الحرية في إنهاء حياتك. وربما تفرض المصلحة الإسلامية العليا أن تضرب عن الطعام لأن ذلك يمكن أن يحقق مشروعاً عاماً حيويّاً يمنح الناس الكثير من النتائج الإيجابية في حياتهم، فقد يجوز ذلك إذا كان لهذا المشروع من الأهمية ما يغلب المفسدة التي تحصل من الإضرار بالنفس.

أمّا الإضرار الذي يؤدي إلى التهلكة فلا نملك أساساً شرعياً، فيما نواجهه من حالات الاحتجاج، ما يمكن أن نرخص به الآخرين.

وأما في المطلق، أي إذا وصلت القضية إلى حد إما أن يسقط الواقع كله أو أن يضرب الإنسان عن طعام إضراباً انتحارياً - إذا صح التعبير - فذلك يكون نوعاً من أنواع الجهاد، لأن الجهاد قد يجعلك تضحي بنفسك في ساحة المعركة السياسية. ولا بد في هذا من أن يحدده أهل الخبرة الذين يعون طبيعة التحرك^(١) والنتائج الإيجابية أو السلبية المترتبة عليه من جراء التحدي» .

ويقول:

«لذلك نحن نريد أن نتخفف من كل هذه التركة الثقيلة التي

(١) الندوة ج ٤ ص ٥٠٢.

انطلقت من خلال عصور التخلف.

وأنا أصرّ من موقع فقهي، فكري، إسلامي مسؤول، ولو شتمني الشاتمون، ولو اتهمني المتهمون؛ لأن المسألة هي مسألة حركتنا الإسلامية في العالم، وقضية إشراقة الإسلام في العالم:

إن ضرب الرأس بالسيف تخلف.

إن ضرب الظهر بالسلاسل تخلف.

وإن اللطم - إذا لم يكن هادئاً، عاقلاً حزيناً هو نوع من أنواع التخلف.

فللحزن تعبيره العقلاني، الذي لا يمثل مجرد حالة استعراضية، وإنما هي الحالة التي تملك تعبيراً عن الحزن الخ..^(١)

ويقول:

«الشيخ الأنصاري وجماعة من العلماء يقولون: إن الإضرار بالنفس محرم، حتى لو لم يؤد إلى التهلكة، كما لو جرح الإنسان يده. وهكذا يندرج تحت هذا العنوان - أي حرمة الإضرار - التطبير، وضرب الظهر بالسلاسل، الذي يؤدي إلى الإدماء، أو ما يشبهه»^(٢).

ويقول:

(١) حديث عاشوراء ص ١٠٦.

(٢) حديث عاشوراء ص ٢٢٠.

«لو خرجت وأنت في حالة تعرُّق ولفحك الهواء البارد، فأصببت بالحمى، فحتى لو شفيت بعد يومين فهذا حرام، لأنه تعريض النفس للضرر، والإضرار بالنفس ظلم للنفس» (١) وظلم النفس محرم (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) . وعلى هذا الأساس، فنحن نقول: بأنه يمكن للإنسان أن يلطم بحسب ولائه، وبحسب محبته، لكن بشرط أن لا يكون اللطم مضراً بالجسد، بحيث يدمي الجسد، أو أنه يصيب رئة الإنسان، أو ما أشبه ذلك» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

إن هذا البعض يرى أن اللطم إذا لم يكن هادئاً تخلف، وأن ضرب الظهر بالسلاسل والرأس بالسيف تخلف. ويحرم ذلك كله باعتباره إضراراً بالنفس.

ولكنه هنا يجيز الإضراب عن الطعام في مواجهة الظلم، من أجل المصلحة الإسلامية العليا، حيث يمكن أن يحقق ذلك مشروعاً عاماً يمنح الناس الكثير من النتائج الإيجابية في حياتهم..

بل هو يجيز الإضراب عن الطعام إضراباً انتحارياً يؤدي إلى التهلكة - إذا كان ذلك يحفظ الواقع كله من السقوط، ويعتبره نوعاً من

(١) الآية ١١٨ من سورة النحل.

(٢) الندوة ج ١ ص ٤٥٨.

الجهاد، رغم أنه لا توجد معركة عسكرية - لأن الجهاد قد يجعلك تضحي بنفسك في ساحة المعركة السياسية..

فهل لا يرى هذا البعض: أن مراسم كربلاء، وعاشوراء الإمام الحسين، واللمم، بل والتطبير في هذه المناسبة، يمكن أن يمنح الناس الكثير من النتائج الإيجابية في حياتهم؟! و أليس في ذلك مصلحة تغلب مفسدة الإضرار بالنفس؟!

بل هو يرى - فقط - فيه الناحية السلبية، من حيث إنه يضر بجسد الفرد، ويلحق به بعض الأذى بحسب زعمه..

جوّز الانتحار أو الإضراب عن الطعام فقط في ساحة المعركة السياسية لحفظ الواقع السياسي، ويا ليتة قد جوز اللطم العنيف وأخرجه عن دائرة التخلف في ساحة الدعوة إلى الله، وإقامة الشعائر لحفظ الواقع الإيماني والديني للناس؟!

٨٤٩ - التشنيع على اللطم في عزاء الحسين «عليه السلام».

ويقول البعض:

«هل نفكر أيها الأحبة كيف نضرب رقاب العدو، وكيف نضرب رؤوس الأعداء بالمقدار الذي نفكر فيه كيف نضرب رؤوسنا وبأيدينا؟! أي همّ هو الهمّ الكبير عندنا؟!»

«القوم يتسلحون، وأمريكا تعطيهم أقوى السلاح ليضربونا ويقتلوننا (كذا) ونحن نتناقش: كيف لنا أن نضرب رؤوسنا، ونجلد ظهورنا، ونظل نلعن بعضنا بعضاً؟! والعدو يصب علينا كل لعنات

التاريخ.. من كان صغيراً بهذا الحجم، فليس من شأنه أن يتحدث عن الكبار..» .

٨٥٠ - الإحتفال بشرب الخمر في عاشوراء.

ثم إن هذا البعض يقول:

«ثمة أناس في العراق يحتفلون في عاشوراء بشرب الخمر، فأى حزن على الحسين عندما يصبح الإنسان في غيبوبة. لقد كان البعض يشرب الخمر ليلة العاشر من المحرم من أجل الإحماء» .

ولكنه اعتذر عن هذا الكلام في أجوبته على الشيخ التبريزي بأنه لم يقصد الشيعة في كلامه، واليك نص عبارته:

«لم أقصد الشيعة في كلامي الذي حرفه المحرّفون، بل قصدت بعض الناس في شمال العراق من غير الشيعة، من أهل الفرق الباطلة، وعلى هذا فان حساب هذا المحرف على ربّه يوم القيامة؛ لأنني ذكرت في العدد الثاني من منبر السبت: أن الشيعة لم يقوموا بذلك، وأن لهم الأثر الكبير في تخليد قضية الحسين «عليه السلام» في العراق».

ونقول:

إن كلام هذا البعض مذكور في (منبر السبت) بتاريخ ٢٠

(١) فكر وثقافة العدد ١٧ الصفحة ٤.

(٢) نشرة منبر السبت بتاريخ ٢٠ - ٦ - ١٩٩٦.

حزيران ١٩٩٦م بعين العبارة، ولم نجد فرقاً بينها وبين نقل السائل.
ونقول:

كيف يصح هذا الاعتذار مع أن عبارة «من أجل الإحماء» إنما تنطبق على خصوص الشيعة.

ومن جهة أخرى: إن كلام هذا البعض مذكور في (منبر السبت) بتاريخ ٢٠/حزيران/١٩٩٦م بعين العبارة ولم نجد فرقاً بينها وبين نقل السائل. غير أننا رجعنا إلى كلامه في (منبر السبت)، العدد الثاني، الموجود أيضاً بصورة معدلة في العدد الثاني من (رؤى ومواقف) ص ١١٨، فوجدناه يذكر أن هؤلاء الناس ربما لا يتبعون التشيع بالمعنى الصحيح، وذكر أيضاً: الحديث جاء عن مناطق تسيء إلى التشيع في عاشوراء، وذلك يعني: أن مقصوده هو الشيعة الذين ليس لديهم التزام ديني.. وعبارته في (منبر السبت) العدد الثاني هي التالية:

«..قلت: إنه في بعض المواقع في العراق ومما يناسب القرى التي لها وضع خاص، وفيها الكثير من الانحراف العقيدي، فإن الناس هناك يعيشون هذا الجو، وربما هم لا يتبعون التشيع بالمعنى الصحيح.. ونحن نعرف أن العراقيين استطاعوا أن يجسّدوا شعائر أهل البيت «عليهم السلام»، ويجسّدوا روحية أهل البيت «عليهم السلام». وأعتقد أن الجو الذي انطلقت فيه مآثم أهل البيت «عليهم السلام»، ومواكب أهل البيت «عليهم السلام» هي التي حفظت

الإسلام، في كثير من مواقعه.

أنا لم أقل هذا عن النجف أو كربلاء، أو الكاظمية، إنما جاء
الحديث عن مناطق تسيء إلى التشيع في عاشوراء»^(١).

وأما عبارته التي نقلها السائل عن (منبر السبت)، فهي موجودة
في العدد الصادر بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٩٦ بعين العبارة التي
ذكرناها، ولم يحرفها أحد كما ذكرنا، أما ما ذكره بعد ذلك، فهو لا
يصلح تفسيراً لعبارته الآنفة الذكر، لأن غير الشيعة من أهل الفرق
الباطلة لا يعنهم الحزن على الحسين في عاشوراء ؛ ليقال: أي حزن
على الحسين عندما يصبح الإنسان في غيوبة؟!!

وسياتي كلامه عن الشهادة لعلي «عليه السلام» بالولاية في
الإقامة للصلاة، وكلامه حول التكتف، وقول (أمين) في الصلاة في
قسم الفتاوى والآراء الفقهية؛ فانتظر..

(١) نشرة منبر السبت، بتاريخ ٢٩ - ٦ - ١٩٩٦. تحت عنوان: إنصاف
العراقيين.

الفصل الثالث

بعض الحديث عن العصمة

بداية:

لقد أصبحت مقولات هذا البعض حول عصمة الأنبياء ومقاماتهم كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.. وهي على درجة كبيرة من الكثرة والتنوع، بحيث يصعب جداً الجمع بين أطرافها.. وقد ذكرنا شطراً كبيراً مما يبين موقفه من هذا الأمر بصورة جلية وواضحة، وبقي الكثير الكثير مما لم نذكره مما لا يمكن استقصاؤه.

وكما كان رأينا في فصول الكتاب سوف نفعل هنا، بأن نقدم للقارئ الكريم طائفة من مقولاته حول هذه الموضوعات فنذكر منها ما يلي:

- ٨٥١ - يمكن أن يخطيء النبي في تبليغ آية ثم يصحح بعد ذلك.
- ٨٥٢ - يمكن أن ينسى النبي آية ثم يصحح.
- ٨٥٣ - النزوات الشخصية تدفع النبي إلى الفعل.
- ٨٥٤ - لا بد من أدلة أخرى على العصمة، ولا يكفي الموجود.
- ٨٥٥ - آدم انحرف عن الخط الرسالي، أو الإصلاح، أو التقوائي، ثم تراجع لمصلحة المبدأ.
- ٨٥٦ - فعل آدم لا تعبير ولا دلالة عن الفكرة بخلاف القول.

لقد قرر العلامة الطباطبائي «رحمه الله»: العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي وتبليغ الرسالة استناداً إلى قوله تعالى: (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) .

فناقشه البعض بقوله:

«ونلاحظ على ذلك: أن ما ذكره لا يلزم ما ذكره من العصمة عن الخطأ في التبليغ، فإن هداية الناس إلى حق الاعتقاد، وحق العمل، كما أن الحديث عن «أن الله إذا أراد شيئاً فإنما يريده من طريقه الموصل إليه من غير خطأ، وإذا سلك بفعل إلى غاية فلا يضل في سلوكه» لا يقتضي إلا أن يصل الوحي إلى الناس - لهدايتهم - كاملاً غير منقوص. وهذا ما يؤكد وصوله عن طريقه من غير خطأ.

ولا ملازمة بين ذلك، وبين العصمة، فإن من الممكن من الناحية التجريدية أن يخطئ النبي في تبليغ آية أو ينساها في وقت معين، ليصح ذلك،^(٢) ويصوبه بعد ذلك، لتأخذ الآية صيغتها الكاملة الصحيحة» .

«وإذا قيل: إن احتمال الخطأ والنسيان إذا كان وارداً في الحالة الأولى، فهو موجود في الحالة الثانية، مما يؤدي إلى فقدان الأساس

(١) الآية ٢١٣ من سورة البقرة.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٤ ص ١٥٣.

الذي يحصل من خلاله الإيمان بواقع الآية في الوحي المنزل، فلا يصير الإنسان إلى يقين بذلك!!

فإن الجواب هو:

من الممكن تقديم القرائن القطعية في الحالة الثانية التي تؤدي إلى اليقين، تماماً كما قيل في مسألة سهو النبي - في رأي الشيخ الصدوق - على أساس بعض الروايات التي أوضح النبي فيها القضية من دون لبس، بالطريقة التي اقتنع فيها الناس بأن المسألة كانت سهواً - كأبي سهو آخر مما يحدث للناس - لو صحت الرواية.

إن قضية الغرض الإلهي في وصول الوحي إلى الناس، لا يستلزم إلا الوصول في نهاية المطاف من غير خطأ، ولكن لا مانع من حدوث بعض الحالات التي يقع فيها الخطأ، لا يستمر، بل لينقلب إلى صواب تؤكد القرائن القطعية التي توحى بالحقيقة في وجدان الإنسان.

ويتابع العلامة الطباطبائي حديثه في العصمة ليشمل - في استيفاء هذه الآية مع آية ثانية - العصمة عن المعصية في العمل فيقول:

يمكن تتميم دلالتها على العصمة من المعصية أيضاً بأن الفعل دال كالقول عند العقلاء، فالفاعل لفعل يدل بفعله على أنه يراه حسناً جائزاً كما لو قال: إن الفعل الفلاني حسن جائز، فلو تحققت معصية من النبي وهو يأمر بخلافها لكان ذلك تناقضاً منه، فإن فعله يناقض حينئذ قوله، فيكون حينئذ مبلغاً لكلا المتناقضين، وليس تبليغ

المتناقضين بتبليغ للحق، فإن المخبر بالمتناقضين لم يخبر بالحق لكون كل منهما مبطلاً للآخر، فعصمة النبي في تبليغ رسالته لا تتم إلا مع عصمته عن المعصية وصونه عن المخالفة كما لا يخفى.

ونلاحظ على ذلك: أن ما ذكره من دلالة الفعل على نهج دلالة القول صحيح - من ناحية المبدأ - وذلك في الحالة العادية الطبيعية للتعبير الإنساني بواسطة النقل، ولكن قد ينطلق الفعل من الإنسان على أساس الواقع العملي الذي قد يتحرك فيه من خلال أوضاعه الشخصية الخاضعة لبعض النزوات الطارئة بفعل الضغوط الداخلية أو الخارجية الحسية والمعنوية، فيتراجع عنها لمصلحة المبدأ الذي كان قد بينه للناس من موقع الوحي أو نحوه، تماماً كما هي الحالة الجارية في سلوك المصلحين والرساليين - حتى الأتقياء منهم - في انحراف خطواتهم العملية عن الخط الرسالي أو الإصلاحي أو التقوائي بشكل طارئ، لا يتحول إلى إصرار، على هدى ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) .

أو على ما حدثنا الله به عن آدم «عليه السلام» في معصيته، ولو كان ذلك على طريقة عصيان الأمر الإرشادي، ثم توبته بعد ذلك، فإن مثل هذا لا يوحي بالتناقض، لأن الفعل لم يتحرك في أجواء الدلالة

التعبيرية عن الفكرة التي عبر عنها القول، لأن مقامه ليس هذا المقام. وفي هذه الحال ليست هناك طريقة عقلانية في موضوع الدلالة.

إننا نتصور أن هذا الأسلوب الإستدلالي في تقرير العصمة في القول والفعل لا يملك القوة في الإستدلال من خلال المناقشات المذكورة وغيرها، فلا بد من اللجوء إلى أدلة أخرى قد يكتشف الإنسان فيها أن النبوة حدث غير عادي في معنى الرسالة، لأنها حركة إلهية في هداية البشرية إلى الله، وتغيير الحياة على صورة أخلاق الله، مما يفرض إنسانا يعيش الرسالة في عمقه الروحي، وتأمله الفكري، وأخلاقيته العظيمة في صدقه مع ربه ونفسه، ومع الناس، وأمانته في ماله ودينه، ومسؤوليته، وإنسانيته، بحيث تكون الرسالة التي يحملها منسجمة مع الروح التي يتجسد فيها، لتكون الرسالة جسدا يتحرك، ويكون الجسد رسالة تنفتح على الله، وعلى الإنسان والحياة في اتجاه التغيير.

إن هذا الدور التغييري، الذي يستهدف تغيير الإنسان بالكلمة والقُدوة، بحاجة إلى الإنسان الصدمة الذي يصدم الواقع الفاسد بكل قوة، الأمر الذي ينفتح فيه اللطف الإلهي على إعطاء المزيد من القوة الروحية، والأخلاقية، والفكرية والعصمة العملية لهذا الإنسان، سواء أكان ذلك بالطريقة التي يبقى فيها عنصر الاختيار له لسلوك الإتجاه المضاد، أم كان بطريقة أخرى، لا يبقى فيها له ذلك العنصر، لأن القضية هي حاجة البشرية إليه، أما قضية الثواب وعلاقتها بالاختيار،

(١)

فهي مسألة لا تعقيد فيها، لأنها في جميع الأحوال.. الخ» .

وقفه قصيرة:

ونقول:

إن الحديث عن جبرية العصمة سيأتي في وقفتنا مع هذا البعض في الفقرة التالية، ولكننا نكتفي هنا بما يلي:

١ - إن هذا البعض يحاول إسقاط الأدلة القاطعة التي ساقها العلامة السيد الطباطبائي من أجل أن يمهد السبيل لطرح ما زعمه من العصمة الإجمالية التي تفقد جهد، وجهاد المعصوم أية قيمة..

وفي النص السابق رأيناه يحاول ادعاء أن النبي قد يخطيء أولاً، ثم يُصار إلى تصحيح الخطأ بعد ذلك.

٢ - وحين واجه إشكال إمكانية تكرار الخطأ، حاول التخلص منه بدعوى أن القرائن القطعية هي التي تحسم الأمر..

ونقول له:

أولاً: إذا كانت القرائن القطعية هي التي تحسم الأمر في المرة الثانية، فلماذا لا تحسمه في المرة الأولى..

ثانياً: من الذي قال له:

«إن القرائن القطعية قد حسمت ذلك في المرة الثانية، فلماذا لا

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ٤ ص ١٥٤ و ١٥٥.

يتكرر الخطأ فيها، وفي التي بعدها.. وهكذا إلى التي تليها..».
 هذا، عدا عن أنه يحتمل في كل مقطع أن يخطئ وأن يصيب.
 فأني دليل عيّن له المرة الثانية لحسم الأمر بالقرينة القطعية فيها
 دون سواها..

ومن الذي حصر هذا النسيان وذلك الخطأ في هذا الوقت المعين
 دون سواه، ولماذا جاء النسيان فيه، وجاء التذكر فيما عداه..

٣ - إن استدلاله بحديث سهو النبي غير مقبول فإن الرواية
 حاولت إثبات الإسهاء الإلهي المتعمد للنبي «صلى الله عليه وآله»
 لكي لا يغلو الناس فيه، ويعبدوه.

فلا يصح قوله..

«إن النبي قد أوضح للناس أن القضية قد كانت سهواً كأني سهو
 آخر مما يحدث للناس».

٤ - إن ثمة نقاشات كثيرة حول صحة هذه الرواية، وهو نفسه قد
 أشار إلى ذلك حين قال: «لو صحت الرواية» فاستعمل «لو» الدالة
 على الإمتناع.

٥ - إن استدلاله بهذه الرواية ليس إلا مصادرة على المطلوب،
 وبما هو محل النزاع..

٦ - إذا كانت المسألة عقائدية عقلية، فكيف يستدل عليها
 بالأخبار، فضلاً عن الإستدلال بخبر واحد فيه الكثير من العلل
 والأسقام..

على أنه هو نفسه يشترط في الخبر أن يكون متواتراً وقطعياً أو مفيداً للإطمئنان.. إذا كان يتحدث عن العقائد والتاريخ وغيرها.. فأين اليقين هنا، وأين الإطمئنان الحاصلان من خلال الكثرة والتواتر؟!!

٧ - إذا كانت هداية الناس إلى حق الاعتقاد، وحق العمل تقتضي وصول الوحي في نهاية المطاف كاملاً غير منقوص، كما يقول.. فأى معنى لاحتمال الخطأ والنسيان، في وقت معين، ما دام ثمة تعهد إلهي بالإيصال الصحيح والكامل..

٨ - وإذا جاز الخطأ في مورد، فإنه يجوز في موارد، وقد يأخذ الخطأ مجراه، إلى جانب الصواب. كلٌّ في دائرته.. ويكون الوصول التام قد تحقق، لأن الصواب قد أبلغ، وإن لم يستطع الناس التمييز بينه وبين ما هو خطأ. فكيف جزم هذا البعض:

«أن الوصول بهذه الطريقة سوف يرفع اشتباهات بعض الناس..».

٩ - وكيف يطمئن الناس إلى صدق، وصحة ما يلقيه اليهم النبي «صلى الله عليه وآله»، وهم يحتملون أنه قد يكون واقعا في الخطأ في هذا الإبلاغ.. ألا يفترض أن يستمر شكهم على لائحة الإنتظار إلى آخر حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليطمئنوا عند ذلك فقط إلى عدم ورود تصحيح على ما كان قد بلغه لهم..

نعم.. ولا بد أن ينتظروا هذا التصحيح المحتمل إلى آخر حياته «صلى الله عليه وآله» في كل كبيرة، وصغيرة، ومن الألف إلى

الياء..

ويكون موت النبي «صلى الله عليه وآله» هو الدليل على صحة ما تلقوه، وعلى عدم وقوع الخطأ منه بعد المرة الأخيرة.

١٠ - ويبقى هنا سؤال: ما هو مصير الذين ماتوا في زمن النبي «صلى الله عليه وآله»، وهم غير مطمئنين لشيء مما جاءهم به؟!

١١ - وهل يصح مع ذلك كله: أن يأمر الله الناس بطاعة الرسول: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) .

وأن يقول لهم: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، وهل يصح قوله تعالى لهم: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ)؟! . إلا أن يكون الله سبحانه هو الذي

يخطط لإيقاع الناس في الخطأ!!

فهل يصح إطلاق هذا القول؟!

١١ - ولا ندري أخيراً كيف أن فعل النبي لم يتحرك في الأجواء التعبيرية عن الفكرة التي عبر عنها القول.. مع أن قول الرسول وفعله وتقريره حجة، وشرع ودين.. وإذا جاز في الفعل ذلك، فلماذا لم يجر في القول أيضاً؟!

(١) الآية ٥٤ من سورة النور.

(٢) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٣) الآية ٣ من سورة النجم.

٨٥٧ - لا مشكلة في العصمة الإجبارية.

٨٥٨ - الثواب للعباد في كل شيء إنما هو بالتفضل لا بالإستحقاق.

٨٥٩ - الإستدلال على العصمة بحاجة إلى تطوير في مواجهة التحديات.

٨٦٠ - الإصلاح في العالم قد تتولاه قيادات غير معصومة.

٨٦١ - الإستدلال العقلي على العصمة في غير التبليغ ضعيف.

ويقول البعض:

«ونلاحظ: أن الشيخ المفيد لم يشرح كيفية بقاء الاختيار مع وجوب العصمة من خلال ما يفعله الله بعبد من عباده، فتكون النتيجة، أنه لا يؤثر معه معصية له، لأن هذا الأمر الثابت في تكوين الإنسان إما أن يكون مؤثراً في ذات الإنسان بحيث يعصمه من الخطأ في الفكر، والعمل، فلا يكون الخطأ مقدوراً له، وإما أن يكون مؤثراً فيه بحيث تبقى له القدرة على الخطأ، فيكون الخطأ جائزاً له في ذاته، وتكون العصمة خاضعة للعوامل الأخرى بالإضافة إليه من سلب، أو إيجاب.

إن هذا الأسلوب في الحديث عن اختيارية العصمة مع الالتزام بأنها ناشئة من فعل الله التكويني بنبيه أو وليه لا يمثل إلا مفهوماً ينطلق من الجمع في الدليل بين وجوب العصمة، ولزوم الاختيار، لا من دراسة دقيقة لنوعية الصورة الواقعية للجمع بين الأمرين.

إننا نتساءل ما هو المانع من اختيار الله بعض عباده ليكونوا معصومين باعتبار حاجة الناس إليهم في ذلك، وما هي المشكلة في ذلك انطلاقاً من مصلحة عباده، وإذا كان هناك إشكال من ناحية استحقاقهم الثواب على أعمالهم إذا لم تكن اختيارية لهم، فإن الجواب عليه: هو أن الثواب إذا كان بالتفضل في جعل الحق للإنسان به على الطاعة لا بالاستحقاق الذاتي، فلماذا لا يكون التفضل بشكل مباشر إذ لا قبح في الثواب على ما لا يكون بالاختيار بل القبح في العقاب على غير المقدور؟! غير المقدور؟!!

ثم.. إننا نلاحظ في أسلوب الإحتجاج للعصمة في كتب المتكلمين، أنه بحاجة إلى الكثير من التطوير في مواجهة علامات الإستفهام الكبيرة التي تثيرها التحديات المضادة لا سيما فيما يتصل بالالتزام العقلي الذي يفرض العصمة في غير حالات التبليغ، فإن الواقع الإصلاحى والتغييرى فى العالم قد يحصل من خلال قيادات غير معصومة بطريقة، وبأخرى مما يشكل نقطة ضعف على الإستدلال للفكرة، مما يفرض الإتجاه بالإستدلال نحو أساليب أخرى تتصل بالتعمق فى طبيعة النبوة أو الإمامة كموقعين رساليين قيايين يختلفان عن أى موقع قيايى آخر، بالمستوى الذى تختلف فيه أوضاعها عن أى وضع آخر، بالإضافة إلى عناصر أخرى قد تحتاج الفكرة من خلال المناقشات الجديدة، لأن هذه المسألة لم تعد تتحرك فى الدوائر الإسلامية المذهبية التى تفرض مسألة العصمة بشكل كلى لتضعها فى

(١)

نطاق التبليغ في دائرة النبوة» .

وقفه قصيرة:

ونقول:

إن الحديث عن جبرية العصمة، وجعل الثواب بالتفضل للبشرية كلها وفي كل شيء، ونفي أن يكون للإستحقاق أي دور فيه، استناداً إلى القول بأن الثواب على غير المقدور غير قبيح، بل القبح إنما هو في العقاب على غير المقدور..

إن هذا الحديث غير مقبول، ولا معقول.. وذلك لما يلي:

١ - إن قبح العقاب على غير المقدور، وعدم قبح الثواب عليه، لا ينتج أن يكون الثواب للعباد كلهم وفي كل شيء بالتفضل لا بالإستحقاق، بل تحتاج المثوبة بالتفضل إلى شرط آخر، وهو أن لا يلزم من سلب القدرة محذور آخر، مثل:

الترجيح بلا مرجح، وهو غير وارد في حق الله تعالى.

أو الخروج عن دائرة العدل.

أو أن يصبح أشقى الأشقياء كفرعون - إذا فعل حسنة واحدة - أفضل من أعظم الأنبياء كنبينا محمد «صلى الله عليه وآله».

أو أن يكون على خلاف القاعدة التي رسمها، والسنة التي أجازها الله سبحانه في عباده، حيث جعل المثوبة والعقوبة بالإستحقاق

بصورة عامة.

وهذه اللوازم كلها، وكذلك ثمة لوازم أخرى فاسدة سوف تكون موجودة هنا إذا كان ثواب العباد كلهم في كل شيء بالتفضل لا بالإستحقاق.. وسيتضح ذلك في النقاط التالية:

٢ - انه إذا كان الله يجبر الأنبياء على أمور ثم يثيبهم عليها تفضلاً منه مع أنهم لا اختيار لهم فيها، ولا يفعل ذلك بغيرهم من الناس، ولا يتفضل عليهم فيما لا اختيار لهم فيه، بل يطلب منهم بذل جهود جبارة ومقاومة الإغراءات القوية، لكي يثيبهم، فهل هذا من العدل؟!!

وهل يصح نسبته إلى الله تعالى؟!!

٣ - لماذا رجع هؤلاء على غيرهم فقرر عصمتهم التكوينية الجبرية، وأن يثيبهم على الأمر غير المقدور لهم، وجعلهم أنبياء وأئمة، ولم يختار غيرهم لذلك، ولم يعصم غيرهم، ولم يثيبهم على مثل ذلك؟! فهل هذا إلا من قبيل الترجيح بلا مرجح؟! (١)

٤ - قد ذكرنا في كتاب مأساة الزهراء : أن جبرية العصمة تعني أن يكون أشقى الأشقياء - ابن ملجم، أو فرعون مثلاً - إذا عمل حسنة واحدة في حياته، مهما كانت تلك الحسنة صغيرة، أو امتنع عن سيئة واحدة، أفضل من خاتم الأنبياء محمد «صلى الله عليه وآله»،

(١) مأساة الزهراء ج ١ ص ٦٠ - ٦٤.

لأنه إنما فعل ذلك باختياره، وبمجاهدة نفسه، وغرائزه، وشهواته، وأهوائه..

٥ - إن هذا الرجل يتحدث كثيراً عن أوضاع سلبية في الفكر، وفي الممارسة للأنبياء، وعن نسيانهم، في الأمور الحياتية الصغيرة، وعن سهوهم في الأمور الحياتية، وعن أن العصمة لا تمنع من الخطأ في تقدير الأمور، وعن نقاط الضعف في حياتهم العملية، وعن أمور كثيرة، وتفاصيل متنوعة لممارسات زعم أنها صدرت، أو يحتمل أن تكون قد صدرت من الأنبياء «عليهم السلام» بعضها يصل إلى حد الشرك بالله سبحانه، وقتل نفوس بريئة، وارتكاب جرائم دينية..

نعم.. إن هذا الرجل يتحدث عن ذلك كله وسواه، مما ذكرنا بعضه في مواضع مضت من هذا الكتاب.

ثم يقول لنا: إن العصمة إجبارية.. فهل عجز الله عن إجبار وليه، أو نبيه على ما يريد؟! وكيف يمكن أن نلائم بين جبرية العصمة، وبين صدور الأخطاء الصغيرة، أو الكبيرة، المقصودة، وغير المقصودة هنا، وهناك؟!!

أو احتمال الشرك، واحتمال وقوع جرائم دينية منهم؟!!

٦ - هل استثنى الله سبحانه أنبياءه، وأوليائه من قاعدة: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين»؟! وأين الدليل على هذا التخصيص، والاستثناء إلا عجز هذا البعض عن حل بعض الإشكالات السطحية، ومواجهة الشبهات التي يثيرها الآخرون، فما كان منه إلا الإنصياح

لها، والقبول بها ثم تلمس المبررات لها بمثل هذه التعليقات الضعيفة.
 ٧ - إن هذا البعض قد فرق أيضاً حسبما هو معروف بين الطاعات والمعاصي ولا ندري ما هو المبرر للتفريق بين الطاعات، فلا جبر فيها و بين المعاصي، ففيها الجبر.. وهذا هو نفس قول الأشاعرة .

فإن من الواضح: أن ترك الطاعة هو الآخر يكون من المعاصي، فالنبي إذن لا يقدر على هذا الترك، فما معنى كونه مختاراً في فعل أمر لا يقدر على تركه؟!

٨ - إن مقولة البلخي التي التزم هذا البعض بها من أن الثواب للبشر جميعاً وفي كل شيء إنما هو بالتفضل قد رفضها علماؤنا الأبرار «رضوان الله عليهم».. والتزموا بأن الثواب إنما هو بالإستحقاق لا بالتفضل، إذ لا يجوز في حكم العقل أن يعطي العاصي ويمنع المطيع، ولو أن المثوبة كانت من باب التفضل لجاز ذلك، وقد ذكرنا الدليل على ذلك، وذكرنا الرد على مقولة البلخي في كتابنا: مأساة الزهراء فراجع.

(١) راجع: اللوامع الإلهية ص ١٦٩.

(٢) مأساة الزهراء ج ١ ص ٦٣ و ٦٤.

الفصل الرابع

الشفاعة..

بداية:

إن كلام هذا البعض حول شفاعة الأنبياء، والأوصياء، وسائر أولياء الله تعالى لعباده المذنبين من المؤمنين لا تكاد تجد له موافقا في المذاهب الإسلامية، إلا ما يعرف من قول ابن تيمية وجماعة الوهابية، المخالف لأقوال المسلمين جميعاً، ولنصوص القرآن الصريحة الآمرة بابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى، والدالة على ثبوت الشفاعة ولو في الجملة، وهذه نماذج من كلماته تدل على هذا المعنى نذكرها هنا ونعلق عليها بما يناسب حال الكتاب ويقتضيه المقام:

٨٦٢ - أطلب من الله أن يشفع عليا فيك.

٨٦٣ - يا محمد، يا علي، شرك في العبادة.

يقول البعض:

«وكما قلنا فإن الشرك في العبادة، هو أن تدعو غير الله، حتى الأنبياء والأئمة، لا يمكن أبداً أن تدعوهم بمعنى أن تقول: يا الله، يا محمد، هذا لا يجوز.

نعم.. أن تتوسل بمحمد ليشفع لك إلى الله هذا لا يضر. أن تقول: يا الله، يا علي، بالمعنى الذي تقول به: يا الله.. هذا لا يجوز..

نعم.. أن تطلب من الله أن يشفع عليك بك لقربه منه، ولأنه يشفع أوليائه فهذا لا يضر» .

ونقول:

إن هذا هو نفس قول الوهابيين، وتلك هي كتبهم مشحونة برمي الشيعة بالكفر والشرك من أجل ذلك.. ولأجل ذلك ينكر هذا البعض دعاء التوسل مع أنه يقال إنه مروى عن أهل البيت.

٨٦٤ - الله لا يريدنا أن نتوجه إلى أحد من الناس

٨٦٥ - الشفاعة بالشكل وليست حقيقية.

٨٦٦ - لا معنى للتقرب للأنبياء، والأوصياء لأجل شفاعتهم.

ويقول البعض :

«لذلك فإن الله يريدنا ألا نتوجه إلى الناس مباشرة، بل أن نتوجه إلى الله مباشرة وأن يكون الناس أولياء، لاحظوا مثلاً في دعاء يوم الخميس «واجعل توسلي به شافعاً» شفعه فيّ، أن تختزن في نفسك أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يملك الشفاعة في نفسه بل تجعله شافعاً أمام الله وتطلب من الله أن يشفعه فيك، فمعنى ذلك وكما في أدب أهل البيت لنا أن الشفاعة عندما تطلبها فإنك تطلبها من الله «واجعله شافعاً مشفعاً» أي أن يكون شافعاً تشفعه فالله سبحانه وتعالى

(١) في رحاب دعاء الإفتتاح ص ٧٦ ويمكن مراجعة الندوة ج ١ ص ٣١٢ -

(١) الذي يجعل الأنبياء شفعاء (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) . و (لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) ، ولذلك فإن بعض الناس إذا ذبح ذبيحة للسيدة زينب أو للعباس أو للحسين أو طعاماً تصور أنه عمل بطريقة (أطعم الفم تستحي العين)» .

ثم هو يقول:

«إن الشفاعة إنما هي بالشكل فقط، وليست حالة وساطة بالمعنى الذي يفهمه الناس في علاقاتهم بالعظماء حيث يلجأون إلى الأشخاص الذين تربطهم بهم علاقة مودة أو مصلحة أو موقع معين ليكونوا الواسطة في إيصال مطالبهم وقضاء حوائجهم عنده».

ثم يقول بالحرف:

«إن الشفاعة هي كرامة من الله لبعض عباده فيما يريد أن يظهره من فضلهم في الآخرة فيشفعهم في من يريد المغفرة له، ورفع درجته عنده، لتكون المسألة - في الشكل - واسطة في النتائج التي يتمثل فيها العفو الإلهي الرباني، تماماً كما لو كان النبي السبب، أو الولي هو الواسطة».

إلى أن قال:

(١) الآية ٢٨ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ١٠٩ من سورة طه.

(٣) الندوة ج ١ ص ٣١٣.

«وفي ضوء ذلك لا معنى للتقرب للأنبياء، والأولياء، ليحصل الناس على شفاعتهم، لأنهم لا يملكون من أمرها شيئاً بالمعنى الذاتي المستقل. بل الله هو المالك لذلك كله على جميع المستويات، فهو الذي يأذن لهم بذلك في مواقع محددة، ليس لهم أن يتجاوزوها. الأمر الذي يفرض التقرب إلى الله في أن يجعلنا ممن يأذن لهم بالشفاعة له» .

ويقول ابن عبد الوهاب عن الشفاعة المنفية عنده: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله إلى أن قال: والمثبتة هي التي تطلب من الله، الشافع مكرم بالشفاعة.. الخ.

ويقول ابن عبد الوهاب أيضاً: فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه، وأقول اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيّ.

وأمثال هذا، فإن قال: النبي «صلى الله عليه وآله» أعطي الشفاعة وأنا اطلبه مما أعطاه الله،

فالجواب: إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، وقال: فلا تدعوا مع الله أحدا.. الخ

وقفة قصيرة:

إننا لا نريد هنا بحث موضوع الشفاعة، ولكننا نلمح إلى بعض الأمور بصورة عابرة، فنقول:

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٢٥ ص ٦٦ و ٦٧.

(٢) كشف الإرتياب (طبعة سنة ١٤١١ هـ) ص ١٩٤ - ١٩٥.

١ - إن الكل يعلم: أن لا أحد يدعو محمدا صلى الله عليه وآله، أو عليا «عليه السلام»، أو أي نبي أو ولي، كوجودات منفصلة عن الله تعالى، ومستقلة عنه بالتأثير، ولم تحدث في كل هذا التاريخ الطويل أن تكونت ذهنية شرك عند الشيعة نتيجة لذلك، فضلا عن غيرهم.

٢ - إننا نوضح معنى الشفاعة في ضمن النقاط التالية:

ألف: إن الإنسان المذنب، قد لا يجد في نفسه الأهلية أو الشجاعة لمخاطبة ذلك الذي أحسن إليه، وأجرم هو في حقه، أو هكذا ينبغي أن يكون شعوره في مواقع كهذه، فيوسط له من يحل مشكلته معه، ممن لا يرد هذا المحسن طلبهم ولا يخيّب مسألتهم..

ب: إن الله إنما يريد المغفرة للعبد المذنب، بعد شفاعة الشفيع له.. ولم تكن تلك الإرادة لتتعلق بالمغفرة لولا تحقق الشفاعة.. فلو أن الشفيع لم يبادر إلى الشفاعة لكان العذاب قد نال ذلك العبد المذنب.

وهذا كما لو صدر من أحد أولادك ذنب، فتبادر إلى عقوبته، فإذا وقف في وجهك من يعز عليك، وتشفع به، فانك تعفو عنه إكراما له، وإن لم يفعل ذلك، كما لو لم يكن حاضرا مثلاً، فانك ستمضي عقوبتك في ذلك الولد المذنب لا محالة..

فالشفاعة على هذا سبب في العفو، أو جزء سبب له.

إذن.. فليس صحيحاً ما يقوله البعض، من أن الله تعالى له قد تعلقت إرادته بالمغفرة للعبد قبل الشفاعة، بحيث تكون المغفرة له حاصلة على كل حال، ثم يكرم الله نبيه ويقول له: هذا العبد أريد أن

أغفر له، فتعال وتشفع إلي فيه..

ج: إذا كان الشخص المذنب قد أقام علاقة طيبة مع ذلك الشافع، وتودّد إليه، ورأى منه سلوكا حسنا، واستقامة وانقيادا، فإن الشافع يرى أن من اللائق المبادرة إلى مساعدته في حل مشكلته، أما إذا كان قد أغضبه وأساء إليه أو تعامل معه بصورة لا توحى بالثقة، ولا تشير إلى الإستقامة، فإنه لا يبادر إلى مساعدته، ولا يلتفت إليه.. فسلوك المشفوع له أثر كبير في مبادرة الشافع إلى الشفاعة.

د: وحين يكون الشافع لا يريد شيئا لنفسه من ذلك الشخص ولا من غيره، ويكون ما يرضيه هو ما يرضي الله سبحانه، فإن تقديم الصدقات والقربات للفقراء، والإهتمام بما يرضي الشافع هو في الواقع إثباتات عملية على أن ذلك المذنب راغب في تصحيح خطأه وتدارك ما فاتته، وهو براهين وإثباتات على أنه قد التزم جادة الاستقامة، وندم على ما فرط منه، فإذا قدم مالا للفقراء، أو أطعم أو ذبح شاة، وفرقها على المحتاجين، فإن ذلك لا يكون رشوة للنبي، أو الولي.. وهو يعلم أن النبي والولي لا يأخذ ذلك لنفسه، بل يعود نفعه إلى الفقراء والمحتاجين، أو يستثمر في سبيل الله، وفي نشر الدين، والبادل إنما يبذل ذلك رغبة في الحصول على رضا الشافع، الذي رضاه رضا الله.

هـ: أما إذا أدار ذلك المذنب ظهره للنبي وللوصي، ولم يلمس الشافع منه أنه يتحرق لتحصيل العفو، والرضا عنه، ويقرع كل باب،

ويتوسل بكل ما من شأنه أن يحل هذا الإشكال، ويبادر إلى العمل بكل ما يعلم أنه يرضي سيده عنه، فإنه لا يشفع له، ولا كرامة..

و: ومن الواضح: أن من يكون جرمه هائلا وعظيما، فإن إمكانية وفرص الإقدام على الشفاعة له تتضاءل وتضعف..

فلا يضع النبي والوصي نفسه في مواضع كهذه، ولا يرضى الله سبحانه له ذلك..

كما أن من يدير ظهره لأولياء الله، ولا يهتم لرضاهم، ولا يزعه سخطهم، فإنه لا يستحق شفاعتهم قطعا، لأن الإهتمام بهم وبرضاهم جزء من عبادته تعالى، ومن المقربات إليه، وموجبات رضاه..

فالتوسل إليهم، والفوز بمحبتهم وبرضاهم سبيل نجاة، وطريق هدى وسلامة وسعادة.

ز: إن من الواضح أن المجرم لا يمكن أن يتشفع في مجرم مثله، وأن المقصر لا يتشفع بنظيره، لأن الشفاعة مقام عظيم، وكرامة إلهية. فلا يقبل الله سبحانه شفاعة كل أحد، بل الذين يشفعون هم أناس مخصوصون بكرامة الله سبحانه، لأنهم يستحقونها..

ح: قد ظهر مما تقدم: أن إرادة الله لم تكن قد تعلقت بالمغفرة للمذنب قبل الشفاعة ؛ لتكون شفاعة النبي أو الوصي بعدها - بالشكل ومن دون أن يكون لها تسبیب حقيقي..

بل هناك تسبیب حقيقي للشفاعة، فإنها هي سبب المغفرة، وهي

سبب إرادة الله بأن يغفر لذلك المذنب، ولو لم يقم الشافع بها لم يغفر الله لذلك المذنب.

ولولا ذلك، فإنه لا يبقى معنى للشفاعة.. ولا يكون العفو إكراما للشافع، واستجابة له، وقد نجد في حديث الرسول «صلى الله عليه وآله» ما يفيد هذا المعنى فهو يقول: «إدّخرتُ الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي»، حيث لم يقل ادّخرها الله لأهل الكبائر من أمتي..

٨٦٧ - أراد لعباده أن يدعوه بشكل مباشر ليستجيب لهم.

٨٦٨ - لا حاجة في الحديث مع الله إلى الوسائط من البشر أو من غيرهم.

إن من يراجع كلام البعض يجد أنه في كثير من كتبه يؤكد على عدم الحاجة إلى توسيط أحد في الطلب من الله سبحانه، بل هو يصرح هنا: بأن استجابة الله لعباده مرهونة بأن يدعوه بشكل مباشر، فهو يقول:

«..لا واسطة بين العبد وربّه في خطابه وسؤاله له:

وقد نلاحظ في التوجه الإنساني بوحداية العبادة والاستعانة.. في خطاب العبد لربه في هذه الآية الكريمة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) .. أن الإنسان لا يحتاج في حديثه مع الله وفي طلبه منه إلى أية واسطة من بشر أو غيره، لأن الله لا يبتعد عن عبده ولا يضع

أي فاصل بينه وبينه.. إلا ما يضعه العبد من فواصل تبعده عن مواقع رحمته، وتحبس دعاءه عن الصعود إلى درجات القرب من الله.. بل أراد لعباده أن يدعوه بشكل مباشر ليستجيب لهم، وحدثهم عن قربهم منهم بحيث يسمع كلامهم حتى لو كان يمثل الهمس أو في مثل وسوسة الصدور، وذلك قوله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) ^(١). وقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ (٢) وَنَعَلَمُ مَا نُسْوِسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) « .

وقفة قصيرة:

ولنا هنا ملاحظات:

١ - إن هذا البعض لم يقدم أي دليل على مدّعاءه في أن استجابة الله مرهونة بالتوجه إليه تعالى مباشرة.

٢ - وأما القول بأنه لا حاجة في الحديث إلى الوسائط من البشر أو من غيرهم، فلا مجال لقبوله، ونحن نرى روايات كثيرة تتحدث عن التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء «عليهم السلام». وذلك يدل على وجود حاجة إلى ذلك لا سيما بالنسبة إلى الخاطئين، ولولا

(١) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٦ من سورة ق.

(٣) ومن وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٢٥ ص ٦٥ - ٦٦.

حاجتهم إلى ذلك تربوياً وإيمانياً لما وجههم الله إليه.

ومما يدل على توسط الوسائط ما رواه ابن شهر آشوب^(١) عن علي «عليه السلام» في قوله تعالى: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) . قال: أنا وسيلته .

وفي حديث آخر عن النبي «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بالأئمة من ولد الحسين «عليهم السلام» قال «صلى الله عليه وآله»: هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله تعالى .

وعن علي بن إبراهيم في تفسيره للآية قال: فقال، تقربوا إليه بالإمام^(٢) .

وعن عثمان بن حنيف: إن رجلاً ضريراً أتى إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: ادع الله أن يعافيني.

فقال: إن شئت دعوتُ وإن شئت صبرتُ، وهو خير.

قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء:

اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد،

(١) الآية ٣٥ من سورة المائدة.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٤٦٩.

(٣) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥١٩.

(٤) تفسير البرهان ج ١ ص ٤٦٩. وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٢٠.

إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في..

هذا مضافاً إلى دعاء القرآن الذي نقرأه جميعاً - وربما كان هذا البعض يقرؤه - في ليالي القدر - والذي هو عبارة عن توسل بالله تعالى وبأهل البيت «عليهم السلام» واحداً تلو الآخر من نبيهم إلى قائمهم «عليهم السلام». إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة والمتنوعة في هذا المجال.

٣ - إن هذا البعض يناقض نفسه في كثير من موارد مخالفاته، ومن جملتها هذا المورد، حيث يقول حول الفرق بين ما يفعله الوثنيون في عبادة الأصنام وما يفعله المسلمون في احترام الأولياء:

«..وهذا هو الفرق بين ما يفعلونه وبين ما يفعله المسلمون الذين يؤكدون شرعية الشفاعة والتوسل بالأنبياء والأولياء باعتبار أن المسلمين يفعلون ذلك من موقع التوجه إلى الله بأن يجعلهم الشفعاء لهم وأن يقضي حاجاتهم بحق هؤلاء فيما جعله لهم من حق، مع الوعي الدقيق للمسألة الفكرية في ذلك كله وهو الاعتراف بأنهم عباد الله المكرمون المطيعون له الخاضعون لألوهيته الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وأنهم البشر الذين منحهم الله رسالته فيما ألقاه

(١) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٤١ والجامع الصحيح للترمذي، أبواب الأدعية، ومستدرك الحاكم ج ١ ص ٣١٣ وتلخيص المستدرك (مطبوع بهامش المستدرك) نفس الجزء والصفحة والجامع الصغير ص ٥٩ والتاج الجامع للأصول ج ١ ص ٢٨٦ ومسنند احمد.

إليهم من وحيه، ومنحهم ولايته فيما قربهم إليه في خطهم العملي
(١) فكيف يقاس هذا بذاك» .

ومن يمعن النظر في أقوال وكتب هذا الرجل يجد له الكثير من التناقضات المماثلة، نعرض عن ذكرها هنا خوف ملالة القارئ الكريم، ولكي لا نخرج عما رسمناه في كتابنا هذا الرامي إلى ذكر بعض أقواله وآرائه التي يخالف فيها ما جرى عليه علماء المذهب بصورة عامة. وربما وفقنا الله تعالى لإبراز تناقضاته هذه في فصل خاص من هذا الكتاب.

٨٦٩ - الله هو الجدير بالعبادة وطلب الشفاعة.

٨٧٠ - الشافعون لا يقربون بعيداً من الله.

٨٧١ - الشفاعة كرامة للشافع فيشفعه الله بمن يريد أن يغفر له.

٨٧٢ - الشفاعة لا تنطلق من رغبة الشافع الخاصة.

٨٧٣ - الشفاعة مهمة محددة فلا تستغرق في ذات النبي والولي لأجلها.

٨٧٤ - التوسل بالشفعاء معناه وجود نقاط ضعف في قدرة أو في عظمة الله تعالى.

٨٧٥ - لا معنى للتوجه للمخلوق لطلب الشفاعة ما دام لا يملكها بنفسه.

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٢٥ ص ٥٠.

٨٧٦ - أطلب من الله ليمنح الخاطئ الشفاعة من خلال الشافع.

٨٧٧ - لا يطلب أحد من مخلوق شيئاً، بل الطلب من الله فقط والقصد إليه حتى في الشفاعة.

٨٧٨ - الشفاعة وظيفة إلهية محددة الموقع والشخص والدور.

٨٧٩ - طلب الشفاعة مباشرة من المخلوق لا ينسجم مع التوحيد.

يقول البعض:

«...وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ» ^(١) ، فليست هناك مراكز قوى تفرض نفسها على الله، من موقع القوة الذاتية التي تترك تأثيراتها على قرار الله، فيمن يعطيه أو فيمن يمنعه لتكون هناك نقاط ضعف في قدرته أو في عظمته الإلهية.. ليجتاح الناس إلى التوسل إليه بالشفعاء ليصلوا من خلالهم إلى مواقع رحمته ورضاه، ليتعبدوا لهم للحصول على رضاهم الذي يؤدي للحصول على رضاه.. فليس هناك أحد أقرب إليه من أحد، من حيث الذات، فهو الذي يقرب الناس إليه، ويمنحهم درجة القرب إليه من خلال أعمالهم.. ويبقيهم في دائرة الخضوع له المنتظرين لإذنه في كل ما يفعلون أو ما يتركون.. فيعرفون أنهم لا يملكون الشفاعة أمامه لأي شخص لأنهم لا يملكون معه أي شيء (إِلَّا لِمَنْ أِذْنُ لَهُ) ^(٢) . في ذلك فأراد تكريمه بالشفاعة

(١) الآية ٢٣ من سورة سبأ.

(٢) الآية ٢٣ من سورة سبأ.

لبعض الخاطئين الذين يريدون إن يغفر لهم بحيث تكون الشفاعة وظيفة إلهية محددة الموقع معينة الشخص والدور، من دون زيادة ولا نقصان.. وفي ضوء ذلك نفهم: أن الشفاعة ليست حالة ذاتية للشفعاء لدى الله، بل هي مهمة محددة في دائرة المهمات التي قد يوكلها إلى بعض عباده، لمصلحة يراها، في وقت محدود، ودور خاص، مما يفرض على المؤمنين عدم الاستغراق في ذات النبي أو الولي.. طلباً للشفاعة، بل في توجيه الخطاب لله أن يمنحه الشفاعة من خلالهما»^(١).

ويقول أيضاً:

«..فليس هناك إلا العمل.. وإذا كانت هناك من شفاعة، فإنها لا تنطلق من رغبة الشفيع الخاصة بل هي بأمره ورضاه، فلا معنى لأن تتوجه إلى المخلوق بطلب الشفاعة ما دام لا يملكها بنفسه، بل ينتظر أمر الله فيها.. فهو الجدير بالعبادة وطلب الشفاعة.. وفي ضوء ذلك، كان التوحيد يمثل الصفاء الروحي الذي يعيش معه الإنسان في حركة الإيمان المطلق بعيداً عن كل التعقيدات الخائفة التي تجر معها المزيد من العادات والتقاليد والأجواء الضاغطة على الفكر والروح^(٢) والشعور».

ويقول أيضاً:

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١٩ ص ٣٧ و ٣٨.

(٢) المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٠.

«..ولا يقبل من أحد رجاءً ولا شفاعَةً في حق نفسه أو في حق غيره، لأن أي واحد منهم لا يملك حقاً ذاتياً في ذلك كله إلا من أذن له الرحمن في الشفاعَة فأراد الله أن يكرمه بها ليَجعل له الكرامة باستنقاذ من يريد الله أن ينقذه من النار، ويرحمه برحمته، وذلك هو الذي رضي الله قوله فيما يعبر عنه القول من العقيدة الصافية الحقّة، والروح الراضية المرضية والعمل الخالص الذي يتحرك في رضا الله من خلال وعي الإيمان وطهر الإخلاص.

وفي ضوء هذه الآية نستفيد تقرير مبدأ الشفاعَة التي تؤكد وجودها لدى بعض الأشخاص المقربين إلى الله. ولكن من خلال إعطاء الله ذلك فيكون القصد والتوجه لله في المسألة في الشفاعَة لا إلى الشخص لأنه لا يملك من أمر الشفاعَة شيئاً في نفسه.. وذلك هو الحد الفاصل بين الاستغراق في الشخص من خلال الاستغراق في ذاته، وبين الاستغراق في الله على أساس الكرامة التي يمنحها لبعض عباده في شفاعته للآخرين استجابة لإرادة الله له في ذلك.. وهذا هو الذي يعطي للعقيدة صفاءها فلا يطلب أحد من مخلوق شيئاً بل يكون الطلب كله لله، والقصد إليه في كل شيء حتى في الشفاعَة التي لا (١)

يملكها أحد إلا بإذنه» .

ويقول البعض أيضاً:

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١٥ ص ١٦٤.

«..تلك هي مواقعهم فيما تتميز به مواقعهم الشخصية، وفيما يقفون عنده من حدود مواقعهم أمام الله فلا يتجاوزونها فيما يعيشونه في داخل حياتهم الخاصة، وفيما يتحركون به من العلاقات في حياة الآخرين.. فلا يتصرفون معهم إلا بما يعلمون أن الله يرضى عنه، فلا يرون لأنفسهم الحرية في أن تتدخل العوامل الذاتية فيما يريدون أن يتقدموا به إلى الله، من الشفاعة لبعض الخاطئين، أو المنحرفين، لأنهم يعرفون أن الشفاعة ليست حالة ذاتية ينطلق بها المقربون إلى الله ليستفيدوا من مواقع القرب، في علاقاتهم الخاصة بالأشخاص، ليقتربوا بعيدا عن الله، كما يفعل الناس في الدنيا، ليتقرب الناس إليهم بما يتقربون به إلى المقربين من الملوك والأمراء، ليشفعوا لهم عنده، فينفعلون بذلك، فيما يتحدثون به، إلى رؤسائهم، في قضايا الامتيازات والشفاعات، وما إلى ذلك..»

إن المقربين من عباد الله المكرمين، سواء منهم الملائكة أو الأنبياء والأولياء، لا يعيشون في مشاعرهم العنصر الذاتي، بل يتمثلون في وجدانهم العنصر الروحي فهم يعرفون مواقع رضا الله فيتحركون فيها، ومحال كرامة الله ورحمته، فينطلقون إليها، ويعلمون أن الشفاعة كرامة يريد الله أن يكرم بها بعض خلقه فيشفعهم فيمن يريد أن يغفر لهم ويرحمهم لأنهم في الموقع الذي يمكن لهم فيه أن يقتربوا من رحمته ومغفرته ولذلك فهم يعرفون مواقع الشفاعة فيمن يطلبون من الله أن يشفعهم فيهم فلا يشفعون للكافرين والمشركين

والمنحرفين الذين حاربوا الله ورسوله، لأنهم ليسوا في مواقع الرحمة التي سيستحقون فيها الرحمة» .

وقفه قصيرة:

لا نريد أن نسهب القول في بيان حقيقة الشفاعة، فأمرها أظهر من الشمس، وأبين من الأمس، وقد ذكرنا فيما تقدم في بضع توضيحات قد تكون مفيدة في هذا المجال فلا بأس بمراجعتها. غير أننا نذكر القارئ بالأمور التالية:

١ - إننا نرشد، هنا إلى الأحاديث التي تتحدث عن أنه «صلى الله عليه وآله» يشفع لأهل الكبائر من أمته، فيشفعه الله تعالى فيهم، لكنه لا يشفع لمن آذى ذريته .

(٣)

وفي بعض الروايات: هل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟! .

وفي بعضها: ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة ، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة فلتراجع في مظانها.

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١٥ ص ٢٢٨ و ٢٢٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٧ وراجع ص ٣٤ و ٣٩ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠.

(٣) البحار ج ٨ ص ٣٨.

(٤) البحار ج ٨ ص ٤٤ وراجع مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ١ - ٥ فقد أشار إلى موارد كثيرة.

وهذا معناه: أن قول البعض: إن الشافع لا يقرب بعيداً عن الله غير صحيح، بل هم يقربون - بشفاعتهم - ذلك البعيد. وهذا هو معنى الشفاعة، كما ظهر بذلك أيضاً عدم صحة قوله: إن الشفاعة إنما هي لمن يستحق الرحمة ممن هو في مواقع الرحمة، فليست الشفاعة ناشئة عن استحقاق لها من قبل المشفوع له.

٢ - قد ذكرنا فيما تقدم أيضاً: أن الشفاعة هي التي تنتج المغفرة وتؤثر فيها، وتكون سبباً في حصولها، لا أن إرادة المغفرة هي التي تؤثر في إجراء الشفاعة على نحو مراسم شكلية تهدف إلى مجرد تكريم الشافع.

إذن.. فللشفاعة مهمتان:

الأولى: التسبب بحصول المغفرة، والتأثير في إنتاجها، حيث لولاها لم تحصل المغفرة، ولم يكن هناك إرادة لها.

الثانية: أن تظهر بسببها الكرامة الإلهية والمنزلة الربانية للشافع.

٣ - أما قوله: إن الشفاعة لا تنطلق من رغبة الشافع الخاصة، بل هي بأمر الله ورضاه.. فالروايات التالية بخلافه:

إن الشافع في يوم القيامة يقول: أي رب عبدك فلان سقاني شربة من ماء في الدنيا، فشفعني فيه، فيقول: اذهب فأخرجه من النار..
(١) الخ .

ثم يشفع لخدمه (١) ويشفع لمحبيه وأهل مودته (٢) ويشفع لجيرانه ولأهل بيته ، ولمن له به معرفة بالدنيا ، بل والشفاعة للعدو المحارب، والذي كان قد أحسن للمؤمن في دار الدنيا (٣) .

وذلك يوضح عدم صحة عدة أمور، وردت في كلام ذلك البعض.
الأول: عدم صحة قوله: إن الشفاعة لا تنطلق من رغبة الشافع الخاصة.

الثاني: عدم صحة قول البعض: إن الشفاعة هي في دائرة المهمات التي قد يوكلها الله إلى بعض عباده إذ إنها كرامة للشافع،

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٨ و ٥٦ و ٦١ عن تفسير القمي ج ٢ ص ٢٠٢ في قوله تعالى: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [الآية ٢٣ من سورة سبأ]، وعن تفسير العياشي وعن الاختصاص للشيخ المفيد.

(٢) البحار ج ٨ ص ٣٧ و ٤٢ وعن المحاسن ص ١٨٤ وراجع ص ٤١ عن الأمالي للصدوق ص ١٧٠ عن ثواب الأعمال ص ٢٠٣ وعلل الشرايع ص ٥٤٢ .

(٣) البحار ج ٨ ص ٤٢ و ٥٦ و ٥٧ عن الكافي ج ٨ ص ١٠١ عن المحاسن ص ١٨٤ .

(٤) البحار ج ٨ ص ٤٢ و ٥٦ عن المحاسن ص ١٨٤ وعن الاختصاص.

(٥) البحار ج ٨ ص ٤١ عن ثواب الأعمال ص.

(٦) البحار ج ٨ ص ٤٢ .

ورحمة للمشفوع له.

الثالث: عدم صحة قول هذا البعض: إن كونها مهمة محددة، يستتبع أن لا يستغرق المؤمن في ذات النبي والولي طلباً للشفاعة.

الرابع: (٤) إن معنى قوله تعالى: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) : أن من أذن الله له بالشفاعة ورضيه وارتضاه لها، وجعل له هذا المقام هو الذي تنفع شفاعته، كالأنبياء، والأولياء، والشهداء، فالشفاعة التي أعطيت لهؤلاء هي التي تنفع وتؤثر في غفران الذنوب وكل شفاعة سواها باطلة، وغير مقبولة، ولا مرضية.

وبعبارة أخرى: إنما يشفع من أكرمه الله ببلوغه مقاماً يؤهله لأن يشفع للمؤمنين الخاطئين، وهذا يعني عدم صحة قول البعض: إنه لا معنى لأن نتوجه إلى المخلوق بطلب الشفاعة ما دام لا يملكها بنفسه، فإن المراد بملك الشفاعة هو أن يجعله الله في مقام الشفاعة، فإذا بلغ هذا المقام فله أن يشفع لمن يشاء، حتى للخادم والجار، والمعين، ولأهل الكبائر وغير ذلك.

إذن فلا مانع من أن نتوجه إليه بعد أن وصل إلى هذا المقام فنوجه إليه الخطاب، ونطلب منه أن يستعمل صلاحياته التي حصل عليها.

٥ - معنى قوله: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) ^(١) . أي ارتضى الله دينه . فلم يكن مشركا ولا ظالماً ^(٢) .. وهو من أهل التوحيد، من أهل شهادة أن لا إله إلا الله كما في روايات أهل البيت «عليهم السلام»، لا كما فسرهما هذا الرجل بقوله: أي ارتضاه الله للشفاعة.

٦ - يتضح مما تقدم: أن هناك فئات لا تنالها الشفاعة. وقد دلت الروايات الكثيرة ^(٣) على ذلك، مثل ما ورد: من أن الشفاعة لا تنال مستخفاً بالصلاة ^(٤) ولا تنال من أنكر الشفاعة، أو أنكر الحوض والمعراج .

٧ - إن حاجة الناس إلى التوسل بالشفعاء، ناتجة عن قصور أعمالهم عن أن تبلغ بهم إلى مقام الاستغناء عن الشفعاء، وليست ناشئة عن ضعف في قدرته أو في عظمته تعالى، بل هذا التوسل دليل كمال قدرته تعالى، ونهاية عظمته.

ويدل على أن الشفاعة هي السبب في حدوث المغفرة، لا أن إرادة

(١) الآية ٢٨ من سورة الأنبياء.

(٢) راجع البحار ج ٨ ص ٣٤ و ٤٠ و ٥٠.

(٣) راجع البحار ج ٨ ص ٣٩ و ٥٨.

(٤) راجع البحار ج ٨ ص ٥٨.

(٥) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٠٦.

(٦) البحار ج ٣ ص ٣٧ و ٣٤ و راجع ص ٤١.

المغفرة متقدمة على الشفاعة. قوله تعالى: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) ^(١). حيث دلت على أن للشفاعة تأثيراً ونفعاً.

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه جابر بن يزيد قال: قال أبو جعفر «عليه السلام»: يا جابر لا تستعن بعدونا في حاجة ولا تستعطه ولا تسأله شربة ماء، إنه ليمر به المؤمن في النار فيقول: يا مؤمن أأست فعلت بك كذا وكذا، فيستحي منه، فيستنقذه من النار، فإنما سمي المؤمن مؤمناً، لأنه يؤمن على الله فيؤمن (فيجيز خ ل) أمانه .

إلى أن قال:

فأما في يوم القيامة فإننا و أهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء، ليكونن على الأعراف بين الجنة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم صلوات الله وسلامه، والطيبون من آلهم»، فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات، فمن كان منهم مقصراً في بعض شئائدها فنبعث عليهم خيار شيعتنا، كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمار، ونظرائهم في العصر الذي يليهم وفي كل عصر إلى يوم القيامة، فينقضون عليهم كالبزاة والصقور ويتناولونهم كما يتناول البزاة والصقور صيدها فيزفونهم إلى الجنة زفاً، وإننا لنبعث على آخرين (من خ ل) محبيننا من خيار شيعتنا كالحمام، فيلتقطونهم من

(١) الآية ٢٣ من سورة سبأ.

(٢) البحار ج ٨ ص ٤٢ عن المحاسن ١٨٥.

العرصات كما يلتقط الطير الحبّ، وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا. وسيؤتى بالواحد من مقصّري شيعتنا في أعماله بعد أن صان (قد حاز خ ل) الولاية والتقية وحقوق إخوانه ويوقف بإزائه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصاب، فيقال له: هؤلاء فداؤك من النار، فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار، وذلك ما قال الله تعالى: (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعني بالولاية (لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) (١) في الدنيا منقادين للإمامة ليجعل مخالفوهم من النار فداءهم .

عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: أما إن من شيعة علي «عليه السلام» لمن يأتي يوم القيامة، وقد وضع له في كفة سيئاته من الآثام ما هو أعظم من الجبال الرواسي والبحار السيار، تقول الخلائق: هلك هذا العبد، فلا يشكون أنه من الهالكين وفي عذاب الله من الخالدين، فيأتيه النداء من قبل الله تعالى: يا أيها العبد الجاني هذه الذنوب الموبقات، فهل بإزائها حسنة تكافؤها وتدخل الجنة برحمة الله، أو تزيد عليها فتدخلها بوعد الله؟

يقول العبد: لا أدري.

فيقول: منادي ربنا عز وجل: إن ربي يقول: ناد في عرصات القيامة: ألا إن فلان بن فلان من بلد كذا وقرية كذا وكذا، قد رهن

(١) الآية ٢ من سورة الحجر.

(٢) البحار ج ٨، ص ٤٤ و ٤٥ عن تفسير العسكري.

بسيئاته كأمثال الجبال والبحار ولا ^(١) حسنة بإزائها، فأَيُّ أهل هذا المحشر كانت لي عنده يد أو عارفة ، فليغشني بمجازاتي عنها، فهذا أوان شدة حاجتي إليها.

فينادي الرجل لذلك، فأول من يجيبه علي بن أبي طالب: لبيك لبيك لبيك أيها الممتحن في محبتي، المظلوم بعداوتي.

ثم يأتي هو ومن معه عدد كثير وجم غفير وإن كانوا أقل عدداً من خصمائه الذين لهم قبله الظلمات، فيقول ذلك العدد: يا أمير المؤمنين، نحن إخوانه المؤمنون، كان بنا باراً ولنا مكرماً، وفي معاشرته إيانا - مع كثرة إحسانه إلينا - متواضعاً، وقد نزلنا له عن جميع طاعتنا وبذلنا له.

فيقول علي «عليه السلام»: فماذا تدخلون جنة ربكم؟!

فيقولون: برحمة الله الواسعة التي لا يعدمها من والاك ووالى آلك يا أبا رسول الله.

فيأتي النداء من قبل الله تعالى: يا أبا رسول الله، هؤلاء إخوانه المؤمنون قد بذلوا له، فأنت ماذا تبذل له؟! فأني أنا الحكم، ما بيني وبينه من الذنوب قد غفرتها له بموالاته إياك، وما بينه وبين عبادي من الظلمات فلا بد من فصلي بينه وبينهم.

فيقول علي «عليه السلام»: يا رب، أفعل ما تأمرني.

(١) العارفة: المعروف.

..
 فيقول الله: يا علي، اضمن لخصمائيه تعويضهم عن ظلاماتهم قبله.

فيضمن لهم علي «عليه السلام» ذلك، فيقول لهم: اقترحوا عليّ ما شئتم أعطكم عوضاً من ظلاماتكم قبله.

فيقولون: يا أبا رسول الله، تجعل لنا بإزاء ظلاماتنا قبله ثواب نفس من أنفاسك ليلة بيتوتتك على فراش محمد «صلى الله عليه وآله».

فيقول «عليه السلام»: قد وهبت ذلك لكم.

فيقول الله عز وجل: فانظروا يا عبادي الآن إلى ما نلتموه من علي، فداء لصاحبه من ظلاماتكم؛ ويظهر لهم ثواب نفس وجد في الجنان من عجائب قصورها وخيراتها، فيكون ذلك ما يرضي الله به خصماء أولئك المؤمنين، ثم يريهم بعد ذلك من الدرجات والمنازل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عل قلب بشر.
 (١)
 يقولون: ربنا الخ.. .

وفي كتاب فضائل الشيعة للصدوق - «رحمه الله» - بإسناده عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: إذا كان يوم القيامة نشفع في المذنب من شيعتنا، فأما المحسنون فقد نجاهم الله .

(١) البحار ج ٨ ص ٥٩ - ٦١ عن تفسير الإمام العسكري «عليه السلام».

(٢) البحار ج ٨ ص ٥٩.

وعن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن قول الله تبارك وتعالى: (لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) (١).

قال: نحن والله المأذونون لهم في ذلك اليوم، والقائلون صواباً.

قلت: جعلت فداك وما تقولون؟!!

قال: نمجد ربنا، ونصلي على نبينا، ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا.

وروي هذا الحديث بطرق متعددة.

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عز وجل حكمنا فيها فأجبنا، ومن كانت مظلمته بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح.

(٢) وروي مثل ذلك عن جميل عن أبي الحسن «عليه السلام» .

وعن سماعة عن أبي الحسن الأول، وعن عبدالله عن أبي عبد الله «عليه السلام» (٣)، وعن محمد بن جعفر عن أبيه عن جده «عليه

(١) الآية ٣٨ من سورة النبأ.

(٢) البحار ج ٨ ص ٥٠.

(٣) البحار ج ٨ ص ٥٧ عن الكافي ج ٨ ص ١٦٢.

ومما يدل على أن الناس يحتاجون إلى الشفاعة ما ورد في تفسير قوله تعالى: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) . عن أبي العباس المكي قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين «صلوات الله وسلامه عليهما» على أبي جعفر «عليه السلام» يقال له: أبو أيمن، فقال: يا أبا جعفر تغرون الناس وتقولون: شفاعة محمد؟!

فغضب أبو جعفر «عليه السلام» حتى تربد وجهه، ثم قال: ويحك يا أبا أيمن، أغرك أن عف بطنك وفرجك؟! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد «صلى الله عليه وآله» ويلك، فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟!

ثم قال: ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد «صلى الله عليه وآله» يوم القيامة، ثم قال أبو جعفر إن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الشفاعة في أمته ولنا شفاعة، في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم.

ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وإن المؤمن ليشفع حتى لخدمه، ويقول: يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر

(١) البحار ج ٨ ص ٥٠ عن كنز الفوائد.

(٢) الآية ٢٣ من سورة سبأ.

(١)

والبرد .

قال عبيد بن زرارة: قال: سئل أبو عبد الله «عليه السلام» عن المؤمن: هل له شفاعه؟! قال: نعم.

فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعه محمد «صلى الله عليه وآله» يومئذ؟!

فقال: نعم.. إن للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلا يحتاج إلى شفاعه محمد يومئذ .

عن علي بن أبي حمزة قال: قال رجل لأبي عبد الله «عليه السلام»: إن لنا جاراً من الخوارج يقول: إن محمداً يوم القيامة همه نفسه فكيف يشفع؟!

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهم محتاج إلى شفاعه محمد «صلى الله عليه وآله» يوم القيامة .

قال الشيخ الصدوق في اعتقاداته:

(١) البحار ج ٨ ص ٣٨ عن تفسير القمي وعن المحاسن للبرقي ص ١٨٣ إلى قوله: «وجب له».

(٢) البحار ج ٨ ص ٤٨ عن العياشي.

(٣) البحار ج ٨ ص ٤٢ عن المحاسن ص ١٨٤.

إعتقادنا في الشفاعة أنها لمن ارتضي دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة، وقال النبي (١) «صلى الله عليه وآله» من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي .

وهناك ما يدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» يبادر إلى الشفاعة فيشفعه الله، ونذكر من ذلك: ما روي عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما من أهل بيت يدخل واحد منهم الجنة إلا دخلوا أجمعين الجنة.

قيل: وكيف ذلك؟!

قال: يشفع فيهم فيشفع حتى يبقى الخادم فيقول: يا رب خويدمتي قد كانت تقيني الحر والقر فيشفع فيها .

عن علي «عليه السلام» قال: إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: رب سلم شيعتي ومحبي وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبك دعوتك وشفعت في شيعتك، وشفع كل رجل من شيعتي، ومن تولاني

(١) البحار ج ٨ ص ٥٨ عن عقائد الصدوق ص ٨٥.

(٢) البحار ج ٨ ص ٥٨ عن عقائد الصدوق ص ٨٥.

ونصرني، وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه. وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا اله إلا الله، ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت .

مما يدل على أن الشفاعة هي السبب في المغفرة.

ومما يدل أيضاً على أن الشفاعة تكون أيضاً لمن لا يستحقها، ممن لا حسنة له:

ما روي عن أبي جعفر «عليه السلام» حيث قال: .. وإن الشفاعة لمقبولة وما تقبل في ناصب، وإن المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة، فيقول: يا رب جاري كان يكفّ عني الأذى، فيشفع فيه.

فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربك، وأنا أحق من كافي عنك، فيدخله الجنة وما له من حسنة، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم .

ومما يدل أيضاً على أن الشفاعة هي السبب في المغفرة.

وعلى أنه يصح طلب الشفاعة من غير الله سبحانه.

وعلى أنهم يشفعون لمن يشاؤون ويحبون.

وعلى أنهم يقسمون على الله سبحانه وتعالى بحق النبي «صلى

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٩ والبحار ج ٨ ص ٣٩.

(٢) الكافي ج ٨ ص ١٠١ والبحار ج ٨ ص ٥٦ عنه وعن العياشي.

الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»، النصوص التالية:

عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به، قال: فيقول له: يا فلان أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا، وأسعفك في الحاجة تطلبها مني، فهل عندك اليوم مكافأة؟! .

فيقول المؤمن للملك الموكل به: خل سبيله.

قال: فيسمع الله قول المؤمن، فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن (١) فيخلي سبيله .

وعن سماعة بن مهران قال: قال أبو الحسن «عليه السلام»: إذا كانت لك حاجة إلى الله فقل: «اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي فإن لهما عندك شأنًا من الشأن، وقدرًا من القدر، فبحق ذلك الشأن وذلك القدر أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا، فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن إلا وهو يحتاج إليهما في ذلك اليوم» .

وعن عيص بن القاسم، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: إن أناسًا من بني هاشم أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسألوه أن

(١) البحار ج ٨ ص ٤١ عن ثواب الأعمال ص ١٦٧.

(٢) البحار ج ٨ ص ٥٩ عن دعوات الراوندي.

يستعملهم على صدقات المواشي، وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذي جعله للعاملين عليها فنحن أولى به.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» يا بني عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم، ولكني وعدت الشفاعة، ثم قال: والله أشهد أنه قد وعدها، فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة الباب، أتروني مؤثراً عليكم غيركم، ثم قال: إن الجن والإنس يجلسون يوم القيامة في صعيد واحد، فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة، فيقولون: إلى من؟! فيأتون نوحاً فيسألونه الشفاعة.

فقال: هيهات قد رفعت حاجتي.

فيقولون: إلى من؟!!

فيقال: إلى إبراهيم.

فيأتون إلى إبراهيم، فيسألونه الشفاعة، فيقول: هيهات قد رفعت حاجتي.

فيقولون: إلى من؟!!

فيقال: إيتوا موسى.

فيأتونه، فيسألونه الشفاعة، فيقول: هيهات قد رفعت حاجتي.

فيقولون: إلى من؟!!

فيقال: إيتوا محمداً.

فيأتونه، فيسألونه الشفاعة، فيقوم مدلاً حتى يأتي باب الجنة،

فيأخذ بحلقة الباب ثم يقرعه، فيقال: من هذا؟!!

فيقول: أحمد، فيرحبون ويفتحون الباب، فإذا نظر إلى الجنة خرّ ساجداً يمجّد ربه بالعظمة.

فيأتيه ملك فيقول: ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع، فيرفع رأسه فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً، ويمجّد ربه ويعظمه.
فيأتيه ملك، فيقول: ارفع رأسك وسل تعطى، واشفع تشفع.
(١)
فيقوم فما يسأل شيئاً ألا أعطاه إياه .

وقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: الله رحيم بعباده ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فيها يتراحم الناس وترحم الوالدة ولدها، وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة، فيرحم بها أمة محمد ثم يشقّعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة حتى إن الواحد ليجيء إلى مؤمن من الشيعة، فيقول: اشفع لي.

فيقول: وأي حق لك علي؟!!

فيقول: سقيتك يوماً ماء فيذكر ذلك فيشفع له.

فيشقّع فيه، ويجيئه آخر فيقول: إن لي عليك حقاً، فاشفع لي.

فيقول: وما حقك علي؟!!

(١) البحار ج ٨ ص ٤٧ عن العياشي.

فيقول: استظللت بظل جداري ساعة في يوم حار.

فيشفع له، فيشفع فيه.

ولا يزال يشفع حتى يشفع (في) جيرانه وخلطائه ومعارفه. فإن المؤمن أكرم على الله مما تظنون .

٨٨٠ - لا يتدخل أحد إلا بإذنه الذي يلقيه الله إليه فيما يريد، وفيما لا يريد.

٨٨١ - لا معنى لأن يتوجه الإنسان للشفعاء ولو عبر الوساطة.

٨٨٢ - المطلوب هو التخلص من الإغراق في أسلوب الطلب من الأنبياء والأولياء.

٨٨٣ - الإغراق في الطلب من النبي والولي إلى حد ينسى الطالب ربه مرفوض.

٨٨٤ - يستغرق في ذات النبي والولي حتى ينسى ربه.

٨٨٥ - لا يملك أحد أن يتدخل في إنقاذ أحد من خلال موقع مميز خاص.

يقول البعض:

«..(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)» (٢). ليس هناك إلا كلمته وإرادته، فلا يملك أحد أن يتدخل في إنقاذ أحد من مصير محتوم، أو

(١) البحار ج ٨ ص ٤٤ عن تفسير العسكري.

(٢) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

رفعه إلى درجة عالية من خلال قوة ذاتية أو موقع مميز خاص، إلا بإذنه الذي يلقيه إلى بعض عباده المقربين في ما يريد، وفي ما لا يريد، وبذلك يمكن لنا أن نقرّر مبدأ الشفاعة في نطاق الخط الذي يريد الله للشافعين أن يسيروا عليه في ما يريد الله أن يكرمهم بالمغفرة لبعض المذنبين، أو برفع الدرجة لبعض المطيعين من دون أن يتنافى ذلك مع مبدأ التوحيد في ما يتوسل به الناس من شفاعة.

وفي هذا الجو، يمكن لنا أن نستوحي طبيعة ما يملكه الشفعاء من ميزة الشفاعة من حيث ارتباطها بإرادة الله بإذنه، فالمغفرة التي تنال المذنبين من الله، والبلاء الذي يرفع عن المبتلين من الله، والمثوبة التي تحصل للمطيعين منه - جل شأنه - يمنحها لهذا ولذاك، بكرامة هذا النبي، أو هذا الولي التي أراد أن يكرمهم بها.

ولهذا فلا معنى لأن يتوجه العباد إليهم حتى عبر الواسطة، بل يكون التوجه إلى الله بأن يجعلنا ممن يشفع بهم، لأنهم لا يملكون الشفاعة بأنفسهم، بل يملكونها من خلال وحيه وإذنه وتعليمه، وبذلك نتخلص من هذا الإغراق في أسلوب الطلب من الأنبياء والأولياء بالمستوى الذي قد ينسى فيه الطالب ربه في استغراقه العميق في ذات النبي أو الولي، إذا لم يكن واعياً بالدرجة التي يستطيع من خلالها أن يضع الأشياء في مواقعها الصحيحة من العقيدة والشرعية».

وقفه قصيرة:

ونقول:

١ - لماذا حمل الشفاعة بإذن الله على معنى أنه لا بد من صدور الإذن الفعلي الذي يلقيه إلى الشافع فيما يريد، وفيما لا يريد؟ ولماذا لا يكون معناها: أن من بلغ مقاماً يؤهله لأن يشفع للناس، فإن الله سبحانه يأذن له بذلك إذن؟ عاماً فيشفع لمن يشاء من خلق الله سبحانه.

وأما قوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) ^(١) ، فإن معناه: ارتضى الله دينه، فلم يكن مشركاً ولا ظالماً - كما ورد في روايات أهل البيت «عليهم السلام» وقد تحدثنا عن ذلك فيما تقدم.

٢ - إن هذا البعض نفسه قد اعترف بأن المسلمين إنما يمارسون التوسل بالأنبياء والأولياء:

«من موقع التوجه إلى الله بأن يجعلهم الشفعاء لهم، وأن يقضي حاجاتهم بحق هؤلاء فيما جعله لهم من حق، مع الوعي الدقيق للمسألة الفكرية في ذلك كله، وهي الاعتراف بأنهم عباد الله المكرمون ^(٢) الخ..» .

إلى أن قال:

(١) الآية ٢٨ من سورة الأنبياء.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١ ص ٦٢.

«هكذا نرى ان الذهنية العقيدية لدى المسلمين لا تحمل أي لون من ألوان الشرك بالمعنى العبادي، كما لا يحملون ذلك بالمعنى الفكري، بل يختزن في دائرة التعظيم للأنبياء، والأولياء الشعور العميق بأن الله هو خالق الكون ومدبره الخ..» .

ويقول أيضاً:

«إذا كان الله قادراً على أن يحقق ذلك من خلالهم في حياتهم، فهو القادر على أن يحقق ذلك، بعد مماتهم باسمهم، لأن القدرة في الحالتين واحدة» .

فكيف يقول هذا البعض هنا:

«إننا نحتاج إلى أن نتخلص من الإغراق في أسلوب الطلب من الأنبياء، والأولياء بالمستوى الذي قد ينسى فيه الطالب ربه في استغراقه العميق في ذات النبي أو الولي الخ..» .

فإن المسلمين - باعترافه - واعون للمسألة الفكرية بدقة.

هذا عدا عن حديثه عن الصنمية اللاشعورية. التي تتمثل في الوقوف أمام قبر النبي والولي، وعن أن ثمة شركاً في العبادة حين يقول القائل يا محمد يا علي، فراجع ما ذكرناه في قسم (عقائد الشيعة وشعائريهم).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق.

٣ - وما على من استغرق في ذات الولي والنبى من غضاضة إذا كان يعلم أن الله سبحانه قد منحه مقام الشفاعة وأصبح يقول للنار: هذا لي، وهذا لك، كما ورد عن الأئمة «عليهم السلام» في تفسير قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» في علي «صلوات الله وسلامه عليه»: «علي قسيم الجنة والنار».

٤ - قد ظهر مما تقدم: أن قول هذا البعض:

«لا يملك أحد أن يتدخل في إنقاذ أحد من مصير محتوم، أو رفعه إلى درجة عالية من خلال قوة ذاتية، أو موقع مميز خاص، إلا بإذنه الذي يلقيه إلى بعض عباده المقربين فيما يريد، وفيما لا يريد».

قد ظهر أن هذا القول لا يستقيم إذ من الجائز أن يكون الله سبحانه قد منح بعض أوليائه وأنبيائه قوة ذاتية تمكنهم من ذلك كما منح - بنص الكتاب - آصف بن برخيا قدرة الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) ، حيث نسب الإتيان به إلى نفسه.

كما أن من الجائز أن يبلغ أحدهم بفضل الله وكرمه موقعاً خاصاً يؤهله لأن ينقذ هذا أو ذاك، كما هو الحال بالنسبة لأمير المؤمنين، قسيم الجنة والنار الذي يقول للنار: هذا لي وهذا لك.

والحديث مع هذا البعض حول هذا الموضوع يطول، ويمكن

الإكتفاء بما ذكرناه في هذا الكتاب، إن في ذلك لذكرى لمن ألقى
السمع وهو شهيد.

الفصل الخامس

الرجعة.. والبداء..

٨٨٦ - ضرورة تأويل أحاديث الرجعة.

٨٨٧ - لا ضرورة للرجعة بمعناها المعروف.

لقد حاول البعض إنكار الرجعة بمعناها الدقيق، باعتبار عدم وجود مبررات كافية لها... فهو يقول:

«ويحدثنا الشيخ المفيد في كتابه في (أوائل المقالات)، عن اختلاف علماء الإمامية في تفسير معنى الرجعة التي اتفقوا عليها من ناحية المبدأ، فقد كان جماعة من الشيعة يؤولون الأخبار الواردة في الرجعة على طريق الإستفاضة إلى رجوع الدولة ورجوع الأمر والنهي إلى الأئمة «عليهم السلام» وإلى شيعتهم وأخذهم بمجاري الأمور دون رجوع أعيان الأشخاص كما نقل ذلك السيد المرتضى عن جماعة من الشيعة تأولوا الرجعة بذلك.

وإذا كان محققو الشيعة قد رفضوا هذا التأويل لعدم لزوم محال عقلي في هذا الموضوع، فإننا نتصور أن هؤلاء القوم لم ينطلقوا في تأويلهم من الإستحالة العقلية لأن الرجعة ليست أشد صعوبة من البعث ولكنهم انطلقوا من الفكرة التي تثير التساؤل حول ضرورة ذلك فإذا كان المقصود الإنتصاف للمظلومين من الظالمين وغلبة المحقين على المبطلين، فإن ذلك حاصل في يوم القيامة، وإذا كانت القضية

هي إظهار الحق على الباطل، وبسط العدل في الكون فإن وجود الدولة المهدية الشاملة كفيل بذلك، وإذا كانت المسألة تحقيق الأمنيات في دولة الحق للمؤمنين وشفاء غيظهم من معاصريهم من المبطلين فيما يمكن أن تحققه الرجعة من حصول الأمانى وشفاء الغيظ، فإن يوم القيامة يحقق ذلك بأعظم مما يحدث من خلال الرجعة لأنه يتصل بالمصير الأبدي في النعيم والشقاء.

إن المسألة ليست مرتبطة بالإمكان والاستحالة، بل هي مرتبطة بالمبررات العملية الواقعية في ضرورة ذلك، مما يجعل التأويل أكثر قرباً للالتزام بالأحاديث من إبقائها على ظاهرها، لا سيما عند مواجهة التحديات الفكرية في هذه المسألة التي لا تمثل - في طبيعتها - أصلاً من أصول العقيدة» .

مع أن عدم التمكن من فهم مبررات الرجعة، وعدم قدرة البعض على مواجهة التحديات المعاصرة، لا يخوله تأويل الأحاديث التي قد تصل إلى مائتين وعشرين حديثاً، بالإضافة إلى أدلة وشواهد عديدة أخرى..

وقد تحدثنا عن هذا الأمر في كتابنا: (مأساة الزهراء «عليها السلام») ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٦ فراجع.

(١) مجلة الفكر الجديد ص ١٣ (مقالة مع الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد) ومجلة المعارف، المجلد السادس السنة الثامنة ص ٣٢٨ و ٣٢٩.

٨٨٨ - أدلة الرجعة لم يأت بها القرآن.

٨٨٩ - أدلة الرجعة ليست قطعية.

٨٩٠ - أدلة الرجعة هي الأحاديث المتواترة.

٨٩١ - أدلة المعاد قطعية لأنها من القرآن.

وسئل البعض:

السؤال: هل تؤمنون بما يقوله الشهيد مطهري من أن أدلة الرجعة ليست كأدلة المعاد قطعية؟!
فأجاب:

«صحيح ذلك، لأن أدلة المعاد جاء بها القرآن، وهي مما تسالم عليه المسلمون، أما الرجعة فقد دلت عليها الأحاديث وهي متواترة، وإن اختلفت».

وقفة قصيرة:

ونقول:

١ - إذا كانت أدلة المعاد قرآنية، فأدلة الرجعة أيضاً كذلك، فإن هناك آيات كثيرة تدل على الرجعة.. وتحدث عنها.

وقد ذكرها العلماء في كتبهم التي تتحدث عن هذا الموضوع، حتى إن الحر العاملي - «رحمه الله» - قد أورد في كتابه: (الإيقاظ من

الهجعة بالبرهان على الرجعة) أربعاً وستين آية قرآنية تدل على هذه القضية، وأن الأئمة المعصومين قد فسروها بها..

ومن هذه الآيات قوله تعالى (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ).. وهي ظاهرة الدلالة على هذا الأمر، وقد فسرتها الرواية عن الأئمة «عليهم السلام» بذلك أيضاً.

وأما تفسير هذا البعض لهذه الآية بقوله:

«وذلك هو يوم القيامة الذي يحشر الله فيه الناس كلهم المؤمنين منهم والمكذبين بآيات الله»^(١).

فلا مجال لقبوله، لأن كلامه هذا يناقض تصريح الآية بأن الحشر هو لفوج ممن يكذب، وليس لكل من يكذب ولا يكون ذلك إلا في الرجعة قبل يوم القيامة..

٢ - إن أحاديث الرجعة تعد بالمئات، وقد ذكر العالم الجليل السيد عبد الله شبر: أنها قريب من مائتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام، والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم، كالكليني، والصدوق، والطوسي، والمرتضى، والكشي، والنجاشي، والعياشي، والقمي، وسليم، والمفيد، والكراجكي والنعمانى..

إلى أن قال:

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١٧ ص ٢٨١.

«وإذا لم يكن هذا متواتراً، ففي أي شيء دعوى التواتر، مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف، وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين، ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين.

فيحتال في تخريب الملة القويمة، بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين، من استبعادات المتفلسفين، وتشكيكات الملحدّين، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون..» .

٣ - وقول هذا البعض: صحيح ذلك لأن أدلة المعاد جاء بها القرآن، وهي مما تسالم عليه المسلمون.
يظهر منه: أن أدلة الرجعة ليست قطعية.. مع أن آيات القرآن قد دلت عليها..

كما أن الحديث المتواتر باعترافه قد دلّ عليها أيضاً، فهل يكون ما دل عليه الحديث المتواتر ليس قطعياً؟!
إنه لأمر عجيب وغريب، فإن المتواتر يفيد القطع واليقين بلا ريب، وهذا هو الفرق بين المتواتر، وبين غيره..

٤ - إن البديهيات تختلف وتتفاوت، فالبديهيات الدينية، قد تكون عقلية كوجود الله وتوحيده وصفاته.. وقد تكون سمعية وهي التي جاء النص الصريح والقطعي فيها بحيث إن أي مراجع لذلك الدليل بعيدا

عن الهوى والعصبية سيكون مضطراً للإنقياد للحق، والإنصياع له، كما أن البديهي قد يكون بديهياً عند فئة من الناس ولا يكون بديهياً عند فئة أخرى، فهناك بديهيات لدى الفقهاء، وبديهيات لدى علماء الكلام. وبديهيات لدى أهل الحديث وعلوم القرآن.. وهكذا، وهناك بديهيات في كل علم كعلم الفلسفة والنحو والطب وما إلى ذلك. فإذا لم تكن مسألة الرجة من البديهيات العقلية، فلا يدل ذلك على أنها ليست من بديهيات الدين.

فإذا اختلف علماء الكلام مع علماء الفقه في أمر فقهي، فلا يعني ذلك أن الأمر ليس من البديهيات.

وكذلك لو اختلف الناس العاديون أو الفقهاء مع علماء الحديث أو الكلام في أمر يختص بالحديث أو بالإعتقادات، فإن ذلك لا يخرج البديهي عن بداهته.

إذن.. ليس كل ما اختلف فيه المسلمون يكون ظنياً، فإن الاختلاف في البديهي لأجل الشبهة لا يجعل البديهي نظرياً وإلا، لكان من ينكر وجود الله ليس منكراً للبديهي.. وذلك ظاهر وما عليه إلا أن يرجع إلى كتاب المنطق للشيخ محمد رضا المظفر ج ١ ص ٢٢ و ٢٣، ليعرف صحة هذا الأمر..

٨٩٢ - إغلاق ملف البداء من عقائد الشيعة.

٨٩٣ - الإشكال في البداء تعبيرياً.

٨٩٤ - لنسقط عقائدنا تلافياً للحملات الظالمة.

ثم إن ذلك البعض يدعو إلى إخراج عقيدة البداء من عقائد الشيعة، تفاديا للحملات الظالمة، ويعتبر أن الخلاف في هذا الموضوع تعبيرى لا معنوي، فهو يقول:

«ولعل أفضل طريقة شيعية للتعبير عن معنى البداء لدى الشيعة ما ذكره الشيخ المفيد في أوائل المقالات بقوله:

«أقول في معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الإفقار بعد الإغناء والإمراض بعد الإعفاء والإماتة بعد الإحياء وما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة في الآجال والأرزاق والنقصان منها بالأعمال. فأما إطلاق لفظ البداء فإنما صرت إليه بالسمع الوارد عن الوسائل بين العبد وبين الله عزّ وجلّ، ولو لم يرد به سمع أعلم صحّته ما استجزت إطلاقه كما أنه لو لم يرد على سمع بان الله تعالى يغضب ويرضى ويحب ويعجب لما أطلقت ذلك عليه سبحانه. ولكنه لما جاء السمع به صرت إليه على المعاني التي لا تأبأها العقول، وليس بيني وبين كافة المسلمين في هذا الباب، وإنما خالفهم من خالفهم في اللفظ دون ما سواه وقد أوضحت من كلمتي في إطلاقه بما يقصر معه الكلام وهذا مذهب الإمامية بأسرها، وكل من فارقها في المذهب ينكره على ما وصفت من الإسم دون المعنى ولا يرضاه.

وإنني أرى أنه لا بد من إغلاق ملف الحديث وعدم إدخاله في تفاصيل عقيدة الإمامية، لأن الإشكال فيه تعبيرى لا معنوي، وقد

كانت هناك تعبيرات صادرة عن الأئمة «عليهم السلام» في مواجهة بعض الأفكار المطروحة في زمانهم ضد اليهود، أو لحالات معينة ظرفية، ليكون الحديث عنها مقتصرًا على مواقع الجدل في تفسير أحاديث الأئمة «عليهم السلام» التي وردت فيها هذه الكلمة مقارنة بالأحاديث التي وردت فيها الإشارة إلى المعنى الظاهر منها لتتفادى من خلال إبعاد عنوان البداء عن خط العقيدة - كما هو الصحيح - مواجهة الحملات الظالمة التي يشنها البعض على الشيعة، وليستنبطوا من بعض الكلمات أن الشيعة يبررون بالبداء ما يصدر عن الأئمة «عليهم السلام» أو منهم بطريقة معينة، ثم يصدر منهم أو من الأئمة بطريقة أخرى مخالفة لها تمامًا، كما يتحدثون - بنفس الأسلوب - عن عقيدة الشيعة في التقية، لأن الإصرار على الكلمات الموحية في ظاهرها بغير ما نعتقده، هو إصرار على أمر لا ضرورة فيه بل قد يكون فيه ضرر كبير على العقيدة والمذهب، ونحن نعرف أن الكلمات قد تموت في زمن المستقبل بعد أن كانت حية في الزمان الماضي، لأن الظروف التي اقتضت استعمالها في هذا المعنى أو ذاك حقيقة أو مجازاً، تغيرت وتبدلت مما يعني تغيّر وسائل التعبير عن المعاني في حركة التطور في التعبير»^(١).

(١) المعارج المجلد السادس، السنة الثامنة العدد ٢٨ - ٣١ ص ٣٥٢ و ٣٥٣ ومجلة الفكر الجديد، (مقالة مع المفيد في تصحيح الاعتقاد) ص ٣٧ و ٣٨.

وقفه قصيرة:

ونقول:

هل كل عقيدة تشن الحملات الظالمة علينا من أجلها يلزم أن نتخلى عنها؟! وماذا سيبقى من هذه العقائد والشعائر في نهاية الأمر؟! وماذا لو كان البعض يشن حملات ظالمة على الإسلام نفسه فهل نتخلى عنه أيضاً؟!

على أنه تحسن الإشارة إلى أن هذا البعض قد ذكر أن الشيخ المفيد قد أشار إلى الفرق الجوهرية بين عقيدة الشيعة في البداء وعقيدة غيرهم، حيث قال أهل العدل^(١) خاصة بالزيادة في الآجال والأرزاق، والنقصان منها بالأعمال .

هذا وقد روي عن الإمام الصادق والباقر «عليهما السلام»: «ما عبد الله تعالى بشيء مثل البداء» .

(١) راجع: مع المفيد في تصحيح الاعتقاد ص ٣٧.

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٦١.

القسم الثالث

التشهير بالعلماء..
وبالحوزات الدينية..
وبالشيعة..

الفصل الأول

التشهير بالحوزات العلمية
و بالعلماء

بداية:

العلماء والحوزات العلمية، وكذلك الصفوة من المؤمنين الملتزمين، هم المنارة التي تبعث نور المعرفة في كل اتجاه، وهم الحصون المنيعّة التي تحفظ هذا الدين، وتزود عن حياضه، وترفع أعلامه وبيارقه خفاقة في سماء العز والعظمة والسؤدد، فأى إضعاف لها ولهم أو تشويه لصورتها وصورتهم، سيؤثر سلباً على ثقة الناس بها، وبهم، وسيحوّل سكون نفوسهم إليهم و إليها إلى قلق وتشويش، ثم إلى فراغ يجد فيه أعداء الدين فرصتهم الذهبية لاقتحام حصون الإيمان، ونسف قواعده، وإسقاط بنائه الشامخ العتيد، وليهينوا - من ثمّ - ما عزّ وغلا بلؤمهم الرخيص، وحقدهم البغيض..

أمّا بالنسبة للتشهير بالحوزات العلميّة، وبعلماء الأمة، ومراجع الدّين، ثم نعتهم بأوصاف لا تليق بهم فحدّث عن ذلك ولا حرج، ونحن نكتفي هنا بذكر نموذج ضئيل جدّاً من مقولات البعض في هذا المجال، فلاحظ ما يلي:

٨٩٥ - ليس في الحوزات العلمية حرّيّة فكر.

٨٩٦ - لا يستطيع الطالب مناقشة العقائديات والفقه والإجتماعيّات.

٨٩٧ - تغيير الحوزات يحتاج إلى ما يشبه الثورة.

٨٩٨ - هناك تجربة (تغييرية) تمشي بين الألغام.

يقول البعض:

«ولقد أطلق العصر تحدّيات في العقائد بالنسبة للمفاهيم الإسلامية وفي الإتجاهات الفكرية التي لا تنطلق من الجانب الفلسفي فقط، وإنما تنطلق في الجانب الحركي الذي يتصل بقضايا الناس وحركة الناس وواقع الناس وقضايا التقنيين والتشريع. لذلك فنحن لحدّ الآن لم نحصل للأسف على نقلة نوعية في الحوزات. وإن مسألة تغيير الحوزات تحتاج إلى ما يشبه الثورة، وأظن أن ظروف الثورة لحد الآن ليست متوفرة، لأننا نعرف أنه ليست في الحوزات حرية فكر، فلا يستطيع الطالب أن يناقش فيها حتى بعض القضايا التاريخية في الهواء الطلق. فكيف يمكن أن يناقش فيها قضايا عقيدية أو اجتماعية أو فقهية، وما إلى ذلك؟! علما أن هناك محاولة تجربة تمشي بين الألغام وإن شاء الله تتكلل بالنجاح».

٨٩٩ - انتخاب المرجع كانتخاب البابا.

٩٠٠ - المرجعية: فردية، شخصية، مزاجية.

٩٠١ - مرجعيات لاعلاقة لها بالواقع المعاصر، وتحدياته، وتطلعاته.

يقول البعض:

«كما أن المسألة لا بد أن تنطلق من أن يشارك علماء الشيعة بأجمعهم أو بأكثريتهم لانتخاب المرجع، تماما كما هي المسألة بالنسبة للبابا في انتخابه عالميا، لأن المرجعية بحسب واقعها الفردي الشخصي المزاجي كالتى تتحرك في واقعنا قد تخرج مرجعا طليعيا وقد تخرج مرجعا ليس له أي علاقة بالواقع المعاصر وتحدياته وتطلعاته».

إلى أن قال:

«كنت أضع تشبيها لمسألة المرجعية - كطرح المسألة في إطار استكمال مشروع - ب (الفاتيكان) وإن كانت خصائصنا الفكرية تختلف عن خصائصهم، ولكننا نشير إلى طبيعة التنظيم الموجودة هناك، فهناك أجهزة تتصل بجانب التنسيق وأجهزة تتصل بجانب العلاقات السياسية والاجتماعية وتدرس كل الوسط الكاثوليكي في العالم»^(١).

٩٠٢ - توهين وهتك الحوزات العلمية الدينية.

٩٠٣ - يشربون المخدرات لعدم الدليل عندهم على الحرمة.

٩٠٤ - الأفيون والترياك في الحوزات العلمية.

يقول البعض:

«وكذلك الأمر في مسألة الأفيون والترياك بل في الحوزات

(١) الندوة ج ١ ص ٤٩٨.

العلمية كانوا يمارسون شرب الترياك على أساس أنه ليس فيها دليل، وحتى فقهاؤنا عندما أرادوا أن يفتوا بحرمة هذا الإدمان هل إنه بنفسه محرم أم لا، فلم يثبت لديهم إلا في (١) الحالات التي يتحول الإدمان إلى مشكلة صحية غالبية فوق العادة» .

ونحن رغم أننا قضينا في الحوزات العلمية ما يقرب من ثلاث وثلاثين سنة، فإننا لم نجد لهذا الأفيون وسواه من المخدرات المحرمة عند الفقهاء أثراً فيها، بل وجدنا رجال الدين من أشد الناس حنقا، وشدةً، وأعظمهم جهاداً في مواجهة ظاهرة انتشار المخدرات في المجتمعات.

٩٠٥ - الغوغاء منعت الفقهاء من إعلان فتاواهم.

٩٠٦ - الغوغاء منعت المفكرين من أن ينطلقوا في أفكارهم بحرية.

٩٠٧ - العامة أصبحت تحكم الخاصة.

٩٠٨ - لا يمكن الفتوى بخلاف ما اعتاده الناس.

ويُسأل البعض:

«ألا ترى أن بعض فقهاءنا يبالغون في مسايرة العرف والناس في طرح المسائل الشفوية ولا يدونونها في رسائلهم؟!»

فيجيب:

«قد يكون لهؤلاء العذر، لأن المشكلة هي أن كثيراً منهم يبتلون بالغوغاء الذين يعطلون عليهم أمرهم، ذلك أن مشكلة الكثيرين هي مشكلة قيادة الغوغاء وحركة الغوغاء، يقول الإمام علي «عليه السلام»: «الناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج راع أتباع كل ناعق يسيرون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور الحق ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»، فهذا هو الذي منع الكثيرين من المفكرين أن ينطلقوا في أفكارهم بكل حرية، ومنع الكثير من الفقهاء أن يعلنوا عن فتاواهم لأنهم يخافون من العامة.

والمشكلة أن العامة أصبحت تحكم الخاصة، فهل يستطيع أحد أن يفتي في شيء اعتاد الناس عليه؟! أو يحرم شيئاً لم ينطلق الناس فيه من قاعدة ولكنهم ألفوا المشكلة» .

٩٠٩ - اجتهاد فقهاءنا غير منفتح على كل تفاصيل القرآن.

٩١٠ - القرآن أساس لاستنباط فتاواه.

٩١١ - المنهج التقليدي أبعد الفقهاء عن استيحاء القرآن.

يقول البعض:

«ولقد رأيت أن فقهاءنا الأقدمين والمحدثين لم تنفتح حركة الاجتهاد لديهم على كل تفاصيل القرآن، وهم الذين تعلمنا منهم، ولكن كان لهم منهج تقليدي خاص يجعلهم لا يستوحون من القرآن كثيراً من

الأحكام الشرعية والمفاهيم الإسلامية العامّة. فحاولت أن أدخل القرآن كأساس لاستنباطي للفتاوي (١) لأعتبر القرآن هو الذي يشع ضوءاً على الأحاسيس ويعطيها إشراقة» .

٩١٢ - الخطاب الإسلامي يمثل هروبا من الواقع.

٩١٣ - أسلوب العلماء في الخطاب فوقي غالبا.

يقول البعض:

«إن الغالب في الخطاب الإسلامي - ويمكنكم ملاحظة ذلك - كونه خطابا واقعيا غير أن الأسلوب الخطابي الإسلامي لدى الكثير من الذين يمارسونه على مستوى الوعّاظ والمرشدين والعلماء غالبا ما يصاغ بطريقة فوقية وبطريقة كلية لا بطريقة حركة الجزئيات».

إلى أن قال:

«كما أتصور أن هناك تجارب جيدة في هذا المجال. وأنا مع الأخ السائل في أن الخطاب العام الإسلامي هو خطاب وعظي فوقي لا يلامس الواقع بل يمثل هروبا من الواقع لأن الكثيرين من الوعّاظ لا يريدون أن يضعوا أيديهم على الجرح بل يريدون أن يعطوا الجرح في أن يدبّر أمره بنفسه» .

٩١٤ - تشويه العلماء صورة فهم النص القرآني والنبوي.

(١) الندوة ج ١ ص ٥٠٨.

(٢) الندوة ج ١ ص ٥٣٨ و ٥٣٩.

يقول البعض:

«ومع الأسف إن الطريقة التي درج عليها الكثيرون من العلماء في استنتاج قواعد اللغة العربية، ربما تؤدي إلى الكثير من تشويه صورة فهم النص القرآني، أو فهم النص النبوي، أو أحاديث أهل البيت «عليهم السلام»...» .

٩١٥ - علماءنا لا يهتمون بالقرآن.

وهو القائل عبر أثير إذاعة تابعة له:

«علماءنا لا يهتمون بالقرآن، القرآن عندهم على الهامش».

٩١٦ - إختصاص العلماء مقتصر على الفقه.

٩١٧ - العلماء لا يملكون عمق التحليل في العقائد.

٩١٨ - العلماء لا يهتمون بالمسائل العقيدية.

٩١٩ - لا إلمام للعلماء بالعقائد.

٩٢٠ - خوف العلماء من العامة هو سبب عدم اهتمامهم بالعقائد.

ويقول هذا البعض:

«من المؤسف أن المسائل العقيدية لا تولى الإهتمام المناسب عند العلماء انطلاقاً من اقتصار تخصصهم على الفقه وأصوله، مما يجعلهم غير ملمين بالجانب العلمي للعقائد، فلا يملكون عمق التحليل

(١) المرأة بين واقعها وحققها في الإجتماع الإسلامي.

(١)

فيه، وربما كانت مراقبة العوام سببا لذلك لدى البعض منهم» .

ونقول:

لعله غاب عن ذهنه توقف الاجتهاد على كثير من العلوم ومن جملتها علم الكلام في كثير من مباحثه، علما أن الفقهاء المتكلمين كثيرون، ومنهم المفيد، وابن شاذان، والعلامة الحلي، والشيخ الطوسي، والسيد المرتضى، والفاضل المقداد، وغيرهم ممن لا تتيسر الإحاطة بهم، ولا مجال لحصر أسمائهم، وليراجع الفهرست الذي وضعه في هذا الشأن السيد محسن الأمين في الجزء الأول من أعيان الشيعة، وليراجع أيضاً: تأسيس الشيعة لفنون الإسلام وغيرهما.

٩٢١ - المرجعيات تقبع في الزاوية.

٩٢٢ - إكتفاء المرجعيات بالعاطفة.

٩٢٣ - لا توجد مرجعية رائدة.

٩٢٤ - الأسماء المطروحة للمرجعية تقليدية غير مفتوحة.

٩٢٥ - حركة المراجع تنطلق من طموحاتهم للمرجعية.

ويقول:

«إن المرجعيّات عندما تنطلق في صيغتها التقليديّة فإنّها تقبع في زاوية معينة من الساحة، وتكتفي بهذا الجوّ العاطفي الذي تمنحه إياها

ويقول:

«إن الأسماء المطروحة لا تزال أسماء تقليدية تنطلق طموحاتها للمرجعية من خلال خبرتها في الفقه والأصول، وقد تختلف بعض الأسماء عن بعض في بعض نوافذ الوعي».

إلى أن قال:

«لذلك فإن من الصعب من خلال هذه الأسماء أن يفتح الواقع على مرجعية رائدة منفتحة على الواقع الإسلامي كله» .

ونحن نجلّ علماءنا عن أن يكون لهم طموحات للمرجعية، فإن هذا ما لم نعهده منهم، بحسب ما عرفناه عنهم وألفناه منهم.

٩٢٦ - أسماء المرجعيات لا تملك الكثير من الوعي.

٩٢٧ - لا إضاءات كبيرة في الحركة التاريخية للمرجعيّات.

ويقول ذلك البعض:

«إن الأسماء المطروحة في ساحة الحوزات العلمية لا تملك الكثير من الوعي المرجعي الذي يطل على المسألة السياسية من موقع متقدم، باعتبار أن حركتهم التاريخية من حياتهم الماضية لا تمثل

(١) المعالم الجديدة للمرجعية ص ١٢٨.

(٢) المعالم الجديدة للمرجعية ص ١٢٢ و ١٢٣.

(١)

إضاءات كبيرة» .

٩٢٨ - التخلف سبب خطأ العلماء في فهم النص والواقع.

٩٢٩ - أغلب العلماء لا تزال نظرتهم سلبية للمرأة.

٩٣٠ - قليل من العلماء درس القضايا بعمق.

يقول هذا البعض:

«إن جو التخلف حين يتفشى لا يستثني علماء الدين من الإصابة والتأثر به، إذا ما كان عندهم الاستعداد لذلك، بحيث يعكس عالم الدين هذا التأثير اللاشعوري بالبيئة، ورواسب التخلف الموجودة فيها في فهمه للنص والواقع.

لذلك فإن غالبية علماء الدين تبثوا ولا يزالون نظرة سلبية تجاه المرأة، وقليل منهم من درس القضايا بالعمق الخ..» (١) .

٩٣١ - العلماء قوى تخلف.

٩٣٢ - العلماء قوى عنت.

٩٣٣ - العلماء غير مستعدين للحوار.

٩٣٤ - العلماء لا يقرؤون.

٩٣٥ - العلماء لا يسمعون.

(١) المعالم الجديدة للمرجعية ص ٨١.

(٢) دنيا المرأة ص ٣٠.

٩٣٦ - العلماء يصدّرون فتاوي ضالة.

٩٣٧ - العلماء يصدّرون كلمات نابية.

سئل البعض:

ألا تعتقدون أن الاختلاف في الاجتهاد يؤدي إلى بروز مدارس مختلفة بعضها يخالف بعضها الآخر؟!

فأجاب:

«هذا صحيح، ولكن هناك فرق بين من يتحدث بطريقة موضوعية علمية وبين من يتحدث بخلاف ذلك. فالسيد الخوئي مثلاً كان لا يرى ولاية الفقيه العامّة، في حين أن السيد الخميني يرى ولاية الفقيه العامة. ولكن كلاً منهم يحترم الآخر، فالسيد الخوئي كان يشجّع جماعة من المؤمنين أن يدفعوا الحقوق الشرعية للثورة الإسلامية في وقتها. وأنا أعرف أن الحكومة العراقية حاولت الضغط على السيد الخوئي لإصدار ولو موقف حيادي بين العراق وبين إيران في الحرب، ولكنه رفض ذلك. ولقد قلت مثلما قال الإمام الخميني إن هذا يحزّ في قلبي ويدميه أكثر من الرصاص، ولست الوحيد في ذلك، فالكثير من العلماء المصلحين المجاهدين يواجهون من قوى التخلف العنت، فهؤلاء غير مستعدين للحوار، ولا هم يقرأون أو يسمعون، بل يصدّرون الفتاوي الضالّة، والكلمات النابية. وإنّي لأعتبر الفتاوي التي تتحرك بلا حساب من دون ارتكاز، فتاوي ضالة ولا غرابة أن نرى أنه من نفس الموقع الذي كان يُواجه الإمام الخميني بالأمس يواجه

(١)

العلماء الصالحون والمجاهدون اليوم» .

وقفعة قصيرة:

لست أدري كيف نفسر قول هذا البعض عبر إذاعة تابعة له عن علماء الأمة، ومراجع الطائفة بأنهم معقدون، وأنهم عملاء للمخابرات تارة أو واقعون تحت تأثيرها أخرى، وبأنهم موساد. وأنهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً، وأن مثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث، وإن تتركه يلهث، وأنهم إنما يفهمون الكلام بغرائزهم، وأنهم يعانون من عقدة. وأنهم متخلفون. وأنهم يثيرون الفتنة، ويربكون الساحة، وأنهم، وأنهم..

وأنه هو المصلح، وهو الواعي، والمجاهد، والمنفتح، والمجدد، والمتقف، وأنه يقول مثل ما قال الإمام الخميني!! وأنه هو العلماء الصالحون والمجاهدون، وأنه.. وأنه..

وما ذلك إلا لأنهم واجهوه بكلمة الحق، ولم يقبلوا منه جرأته على الأنبياء، وردّوا عليه تعديّاته على قضايا العقيدة. ونصحوه، وبذلوا الكثير من المحاولات لإصلاح أمره، ورأب الصدع. ودعوه للحوار العلمي.. فرفض. ورفض، وهاجمهم في كل اتجاه وعلى كل صعيد. واستخدم للتشهير بهم وتحقيرهم مختلف التعابير والوسائل المتوفرة لديه.. وما أكثرها..

- ٩٣٨ - الواقع الشيعي كان خارج التاريخ.
- ٩٣٩ - لعل الشيعة عزلوا أنفسهم عن حركة الحياة، أو عزلوهم.
- ٩٤٠ - كان الشيعة جماعات منفصلة عن الواقع السياسي والثقافي في العالم.
- ٩٤١ - الذهنية العامة للشيعة في العالم لا تزال ذهنية تقليدية.
- ٩٤٢ - الواقع الشيعي والحوزات تفكر في الثقافة الفقهية والأصولية للمرجع.
- ٩٤٣ - الشيعة وحوزاتهم لا يفكرون بالانفتاح والمعاصرة.
- ٩٤٤ - الشيعة والحوزات لا يلاحظون وجود ثقافة سياسية.
- ٩٤٥ - الواقع الشيعي والحوزات لا يزال واقعاً تقليدياً.
- ٩٤٦ - دور المرجع محصور في الفتوى وقبض الحقوق والتراخيص.
- ٩٤٧ - الواقع الشيعي والحوزات هو ضد مصلحة التشيع.
- ٩٤٨ - لا توجد لدى مراجع النجف وإيران أفكار أو تطلعات بمستوى حاجة الواقع الشيعي.

سئل البعض:

ما الفرق بين دور المرجعية الدينية ماضياً وحاضراً؟! كيف هي العلاقة بين المرجعية الدينية وبين موضوع ولاية الفقيه وقيادة النظام الإسلامي؟! وما الضرورات الواجب دراستها في ما يخص المرجعية

في العالم الإسلامي؟!

فأجاب:

«بالنسبة إلى مسألة المرجعية في الماضي والحاضر أعتقد أن الموضوع مختلف جداً، بحيث أن الشروط التي كانت توضع للمرجع في الماضي، لا بد من إضافة شروط إليها في الحاضر لأن الواقع الشيعي كان خارج التاريخ وكان الشيعة يمثلون مجرد جماعات منفصلة عن الواقع السياسي والثقافي في العالم، باعتبار أنهم عزلوا أنفسهم أو أن الآخرين عزلوهم عن حركة الحياة. أما الآن فقد أصبح المسلمون الشيعة في قلب التجربة السياسية والثقافية والأمنية في العالم، بحيث نجد أن العالم يعمل على دراسة الفكر الشيعي وكل حركات الشيعة وكل خطوطهم السياسية، مما يفرض وجود قيادة للعالم الإسلامي الشيعي تختلف عن القيادة السابقة، بحيث لا بد أن تكون - بالإضافة إلى معرفتها الواسعة بالشريعة وتقواها - أن تكون واعية للواقع السياسي العالمي ومنفتحة على الواقع الثقافي العالمي ومنطلقة في سبيل التخطيط للأوضاع الجديدة قبل أن يفرضها الآخرون علينا.

ونحن نلاحظ أن الذهنية العامة لدى الشيعة في العالم لا تزال هي الذهنية التقليدية، التي تنتظر إلى الفقيه الذي يراد تقليده باعتباره الأعم في الفقه والأصول وهو الأورع وما إلى ذلك. وهذا ما لاحظناه في التجربة التي عشناها، سواء في الذين رجعوا إلى المرجع الموجود في

النجم أو المرجع الموجود في إيران، فإننا لا نجد في هذا الجانب أية أفكار جديدة أو تطلعات جديدة بالمستوى الذي يحتاجه الواقع الشيعي، لأنه ليست هناك أية مبادرات هنا أو هناك مما يعني أن الواقع الشيعي حتى واقع الحوزات - لا يزال يفكر بأن المرجع الشيعي هو المرجع الذي يتميز بثقافة فقهية أصولية، من دون أن يلاحظ وجود ثقافة سياسية ومعاصرة أو انفتاح على الواقع المعاصر. إن هذا يعني أن الواقع الشيعي - حتى في عالم الحوزات - لا يزال واقعاً تقليدياً، فلا فرق بين موقع وآخر.

ونحن نعتقد أن هذا من الأمور التي هي ضد مصلحة حركة التشيع، لأن دور المرجع بقي محصوراً في إصدار الفتاوي وقبض حقوق وترخيص أخرى ولا دور في خارج نطاق هذا الموضوع.

..الجديد الذي حصل في واقع التشيع هو مسألة الولاية، باعتبار أن الولي الفقيه هو الإنسان الذي لا بد أن يكون - بالإضافة إلى اجتهاده وعدالته - عارفاً بأمور زمانه ومحيطاً بها ومنفتحاً على كل قضايا الواقع الإسلامي (في العالم، لا الواقع الشيعي) فحسب بل واقع المستضعفين في العالم» .

- ٩٤٩ - بعض المراجع يعطون الرأي فيما لا يملكون معرفته.
- ٩٥٠ - بعض المراجع يعطون آراءهم اعتماداً على نظرات

(١) حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع ص ٣٦٦ و ٣٦٧.

سريعة.

٩٥١ - بعض المراجع يعطون الرأي اعتماداً على غير الثقات.

٩٥٢ - بعض المراجع يعطون الرأي اعتماداً على من لا يملك دقة المعرفة.

ويقول البعض أيضاً.

«ونحن نلاحظ أن بعض المراجع قد يعطون الرأي في كثير من المواقف أو المواقع أو الأشخاص فيما لا يملكون معرفته اعتماداً على نظرات سريعة، أو على نقل بعض الأشخاص الذين لا يملكون الثقة أو دقة المعرفة» .

وقفة قصيرة:

١ - إن من يراجع الفقرات التي ذكرناها في هذا الفصل؛ بالإضافة إلى نصوص أخرى منثورة في ثنايا هذا الكتاب يجد أن من حقه أن يخرج بالنتيجة التالية:

إن هذا البعض حين يرمي الطائفة وعلماءها بما يرميهم به نجده يطلق أوصافاً أخرى تخالفها، مثل التجديد والانفتاح والمعاصرة وما إلى ذلك، ملمحاً أو مصرحاً بأنه هو الوحيد - تقريباً - الذي يتحلى بها - فيرسم بذلك لنفسه شخصية ذات مواصفات معينة، ثم يسقطها على الأدلة الشرعية، ثم يقدمها إلى القارئ والمستمع على أساس أنها هي

الأدلة، وهي الشرع.. حتى ليجد الإنسان العادي نفسه أمام خيار وحيد هو هذا الرجل دون سواه.

٢ - إننا نريد للقارئ أن يسأل هذا البعض عن المصلحة وعن السبب في طرحه لتساؤلات، واحتمالات ترتبط بواقع طائفة الشيعة الإمامية دون غيرها.. حتى تكون النتيجة هي إظهار هذه الطائفة على أن من الممكن أن تكون هي قد عزلت نفسها عن حركة الحياة، وأن الواقع الشيعي خارج حركة التاريخ، وأنه تقليدي. وأنه ضد مصلحة التشيع. وأن الشيعة لا يفكرون بالانفتاح والمعاصرة.. وما إلى ذلك!!

٣ - ثم نريد للقارئ أيضاً أن يسأله عن السبب والسر في مهاجمته للحوزات العلمية للشيعة بهذه الحدة والشدة..

٤ - ويسأله كذلك عن السر في وصف المراجع بهذه الأوصاف المهينة والمشيئة.

٥ - ثم نريد من القارئ الكريم أن يقف ليتأمل بتجرّد، ومقارنة، ليعرف من خلال ذلك من هو ذلك الذي لا يملك معرفة كافية في أمور العقيدة.. هل هم المراجع.. الذين تصدّوا لمقولات هذا البعض، التي طالت مختلف شؤون العقيدة، ومفرداتها. والدين وحقائقه، وشعائره ومسلماته..

أم هو الذي أطلق هذه المقولات التي يتعدّر على الإنسان العادي حصرها، وكثير منها تخالف أبده البديهيات فضلاً عن الكثير الآخر الذي هو داء ليس له دواء؟!!

ومن هو ذلك الجدير بالثقة، هل هو الحوزات العلمية التي هبّت بعلمائها ومراجعتها للدفاع عن حقائق الدين؟ أم هو الذي لا يكل ولا يمل ولا يرتدع عن محاولات التشكيك بهذه الحقيقة وبذلك في مختلف قضايا الدين والإيمان؟!

ومن هو المتسرّع، هل هو الذي يجيب بالمتناقضات في أكثر الأمور حساسية كمسألة العصمة وغيرها؟!

أم هو الذي يشكل لجنة من العلماء الموثوقين ليدرسوا مقولات غريبة، أطلقها البعض ولا يزال يؤكدّها ويرسخها بمختلف ما يملك من وسائل؟!

ومن الذي لا يملك الدقّة في المعرفة؟! ويعيش هاجس العمل السياسي، وتستهلكه النشاطات الاجتماعية..

هل هو هذا البعض؟ أم هم علماء الحوزات العلمية ومراجعتها، الذين يقضون عمرهم في التحقيق والتدقيق في أمور الدين ويحملون همّ الحفاظ على الإسلام وحفظ ورفع شأن المسلمين، ولا همّ لهم، ولا عمل سوى ذلك؟!.

إن الحوزات العلمية هي التي خرّجت أساطين العلم وأفذاذ الرجال، ممن لم يزل هو وغيره يفخرون بهم ويحاول اكتساب الثقة والمقام الرفيع بربط اسمه باسمهم، وأن يحكي للناس ما يقول عنه: إنه تاريخ له معهم..

بل إنه هو نفسه لم يزل يلهج بانتسابه لهذه الحوزات، ويتغنّى

باستمرار بالتلمُّذ على أيدي علمائها، خصوصاً السيد الخوئي «رحمه الله» وغيره.

مع أن الذين عاشوا في النجف يعرفون: أن تلمُّذه عليه إنما كان لفترة وجيزة، لا تقاس بتلمُّذ الآخرين. من علماء الأمة ومراجعها على يدي ذلك العالم الجليل والبارع.. خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار الفرق الشاسع بين من يحضر الدرس لمجرد الحضور، فلا يهتم بالقيام بأي نشاط سوى هذا الحضور، وبين من يقضي الساعات ويسهر الليالي للتحقيق في ما سمعه من أستاذه. والتدقيق في النصوص المؤيِّدة أو المفنِّدة.

٩٥٣ - الرواسب الجاهلية انعكست على فهم العلماء للنصوص حول المرأة.

٩٥٤ - أجواء التخلف انعكست على فهم العلماء للنصوص حول المرأة.

٩٥٥ - العلماء استغرقوا في الجانب الوحيد الذي عاشوه حول المرأة.

٩٥٦ - النصوص كانت متوافقة مع الذهنية الاجتماعية السائدة.

٩٥٧ - هناك رواسب جاهلية في عمق المجتمع المسلم.

سئل البعض:

هل هذا يعني أن المعرفة الأصح بالنظرة الإسلامية إلى المرأة، تمّت في العصر الحالي، ولماذا؟!!

فأجاب:

«أعتقد أن عصرنا الحالي هو العصر الذي حقق فيه علماء الإسلام الانفتاح الأوسع على الجانب الإنساني والاجتماعي الذي يؤكد إنسانية المرأة بالدرجة ذاتها في تأكيده على إنسانية الرجل.

وربما يعود ذلك إلى الآفاق الجديدة التي فتحت في العالم؛ الأمر الذي جعل العلماء يفكرون في الجانب الآخر من الصورة، وقد كانوا مستغرقين في الجانب الوحيد الذي عايشوه في دائرة مجتمعهم، وفي دائرة النصوص المتوافقة مع الذهنية الاجتماعية السائدة» .

ويقول:

«هناك رواسب جاهلية لا تزال موجودة في عمق المجتمع المسلم، وقد انعكست هذه الرواسب متضافرة مع أجواء التخلف على فهم النصوص المتصلة بقضية المرأة^(١)، وهي نصوص قد تكون خاضعة لظرف معين أو لحالة معينة» .

وقفة قصيرة:**إن هذا البعض يقول:**

إن العلماء يفهمون النصوص من خلال رواسب الجاهلية المتضافرة مع أجواء التخلف.

(١) دنيا المرأة ص ٢٩.

(٢) دنيا المرأة ص ٣٠.

ثم هو يقول:

إن النصوص حول المرأة لا يمكن أن تفيد في إعطاء رأي الإسلام في المرأة، لأنها نصوص كانت خاضعة لظرف معين أو حالة معينة..

ولا ندري إن كانت مسألة الحجاب، ومسألة الإرث ومسألة قيمومة الرجل و.. كانت الأخرى خاضعة لهذا الظرف، أو لتلك الحالة!!

٩٥٨ - التقاليد والعادات تجبر الفكر على الخضوع لها وتبنيها.

٩٥٩ - التقاليد والعادات تضغط على طريقة التفكير.

٩٦٠ - العلماء الكبار يخافون من مواجهة ضرب الظهر بالسلاسل في عاشوراء.

٩٦١ - العلماء يخافون من مواجهة ضرب الرؤوس بالسيوف في عاشوراء.

٩٦٢ - العلماء لا بد أن يتأثروا بالأفكار السائدة في المجتمع.

يقول البعض:

«على هذا النحو، تضغط التقاليد والعادات على طريقة التفكير وتجبر الفكر على الخضوع لها وتبنيها، وهو ما نشهد له أمثلة حية في الواقع الإسلامي، حيث تحول ضرب الرؤوس بالسيوف وضرب الظهر بالسلاسل في عاشوراء إلى عادة متجذرة يخاف العلماء الكبار الوقوف في وجهها، باعتبار أنها أحد مظاهر التعبير عن الهوية

الشيوعية.

العلماء كانوا، ومازالوا، جزءاً من المجتمع، وبالتالي، لا بد من أن يتأثروا بالأفكار السائدة فيه» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

إن هذا البعض قد وقع في التناقض، فتارة يقول:

«إن العادات والتقاليد تجبر الفكر على الخضوع لها وتبنيها وتضغط على تفكير العلماء.. مما يعني أن الفكر قد قبل بالفكرة وتبناها».

ومعنى ذلك أنهم يبرزون أفكارهم بلا خوف ولا وجل من أحد، لأنها أفكارهم وقناعاتهم.

وتارة يقول:

«إن العلماء يخافون من الناس».

ومعنى ذلك أنهم لا يتبنون أفكار الناس ولا يوافقونهم عليها، ولا يخضع فكرهم لها..

والخلاصة: إن الموافق للناس لا يخاف من إبراز ما عنده: والذي يخاف من إبراز ما عنده لا يوافق الناس ولا يتبني ما عندهم.



الفصل الثاني

إهانات للأمة و علمائها

أو

هكذا ينتقم لنفسه

٩٦٣ - نحن أناس متعصبون.

٩٦٤ - نحن أناس لسنا ملتزمين.

ويسأل البعض:

لماذا يمثل التقليد مشكلة عند الشيعة؟!

فيجيب:

ويورد في الإجابة كلاماً يتحدث فيه عن لزوم الابتعاد عن العصبية، وأن مشكلة التقليد هي مشكلة العصبية.

ويقول:

«إن العصبية ليست ديناً» «فمن تعصب أو تعصب له، فقد خلع^(١) ربة الإسلام من عنقه» ونحن أناس متعصبون، ولسنا ملتزمين» .

ويقصد بكلامه هذا شيعة أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم.

٩٦٥ - تجمّد مفهوم المسلمين لدينهم.

٩٦٦ - المسلمون يتعلّقون باللفظ دون المعنى.

٩٦٧ - المسلمون عاجزون عن استحضار القيمة الحقيقية

(١) فكر وثقافة العدد ١٧٧ ص ٤ بتاريخ ١٤٢١/٣/٢٩ هـ.

للإستغفار.

٩٦٨ - المسلمون تعاملوا مع الإستغفار كعبارة لغوية معيبة.

يقول البعض:

«لقد تجمّد مفهوم المسلمين لدينهم، فأصبحوا يتعلّقون باللفظ دون المعنى. ونحن نرى أن القرآن كان منطلقاً فكرياً. أما الدعاء، وأعني هنا الدعاء النبوي بشكل خاص، فقد كان تجسيداً لخبرة وتجربة الرسول «صلى الله عليه وآله» التي نستوحىها ونستلهمها..» .

ويقول:

«ونحن نرى: أن المشكلة في قضية الإستغفار بالتحديد هي عدم قدرة المسلمين على استحضار القيمة الحقيقية للإستغفار، التي ترتبط بالسلوك، وتنعكس عليه. بل إنهم - بكل أسف - تعاملوا معها باعتبارها عبارة لغوية معيبة، الغرض منها، هو ترديد لها لفظاً» .

وقفة قصيرة:

إنك تراه يهين المسلمين جميعاً، وينسب إليهم جمود مفهوم الدين لديهم، وأنهم يتعلّقون باللفظ دون المعنى.. ليُظهر نفسه على أنه هو المنفتح المجدّد، والواعي، فيقول:

«ونحن نرى أن القرآن كان منطلقاً فكرياً إلخ..».

(١) جريدة الشرق الأوسط، عدد ٨٠٠١ بتاريخ: ٢٤/١٠/٢٠٠١

(٢) المصدر السابق.

ثم هو يهين المسلمين مرة أخرى، ويتهمهم بأنهم «غير قادرين على استحضار القيمة الحقيقية للإستغفار إلخ..» مظهراً نفسه أنه المفكر والواعي الذي يعرف المشكلة، ويأسف لطريقة تعامل المسلمين معها.

٩٦٩ - هناك عقليات لا تزال تعيش قبل مئات السنين في أساليبها وفي نظرتها.

٩٧٠ - عقليات تنتظر للأمور من خلال الزوايا المغلقة التي تتحرك فيها.

٩٧١ - عقليات تنتظر للأمور من الأجواء التجريدية التي تغرق فيها بعيداً عن الواقع.

٩٧٢ - الكثيرون يعيشون خارج نطاق التاريخ.

٩٧٣ - إن هؤلاء يفرضون أنفسهم على مواقع الوعي في الأمة.

٩٧٤ - هؤلاء الكثيرون يفرضون أنفسهم على مواقع القرار.

٩٧٥ - فرض أنفسهم على مواقع القرار يفقد الأمة توازنها.

٩٧٦ - فرض أنفسهم على مواقع القرار يضيّعها في متاهات التجريد.

٩٧٧ - هؤلاء لا يصلحون لمواقع القرار.

٩٧٨ - الأمة لا تتحرك للمستقبل من خلال كهوف الماضي.

٩٧٩ - إنهم كهوف تحمل الكثير من الظلام.

٩٨٠ - إنهم كهوف تحمل الكثير من عناصر التخلف.

سئل البعض:

في كلمة له أثناء افتتاح مؤتمر عن جمال الدين الأفغاني في طهران (١) حمل رئيس الجمهورية الإسلامية السابق الشيخ رفسنجاني على من أسماهم (المتعصبين في الحوزات الدينية) وأشاد بمن أسماهم أصحاب (العقول المنفتحة) وبمنظري (التغيير الواقعي). كيف تنظرون إلى هذه الرؤية، وأين هي التحديات الحقيقية التي تواجه الحوزات الدينية وحركة العلماء عموماً؟!

فأجاب:

«إنني ألتقي مع هذا الطرح الذي يدرس رسالة الحوزات الدينية دراسة واقعية ميدانية رسالية بحجم الرسالة الموكلة إلى هذه الحوزات في الإنفتاح على العالم بالإسلام.

إنَّ هناك عقليات لا تزال تعيش قبل مئات السنين في أساليبها وفي نظرتها إلى الأمور من خلال الزوايا المغلقة التي تتحرك فيها، والأجواء التجريدية التي تغرق فيها بعيداً عن الواقع. إنَّ هناك الكثيرين من هؤلاء الذين يعيشون خارج نطاق التاريخ، ويفرضون أنفسهم على مواقع الوعي في الأمة، وعلى حركة القرار في الأمة، فيؤدي بالأمة إلى أن تفقد توازنها وتضيع في متاهات التجريد بعيداً

(١) عقد هذا المؤتمر في طهران بتاريخ ٨ آذار ١٩٩٧م.

عن حركيّة الواقع، إنّ مثل هؤلاء لا يصلحون لأن يكونوا في مواقع القرار، لأنّ القرار، سواءً كان فقهيّاً أو سياسيّاً أو اجتماعيّاً يمثل حركة الأمة نحو المستقبل، ولا يمكن للأمة أن تتحرّك نحو المستقبل من خلال كهوف الماضي التي تحمل الكثير من الظلام ومن عناصر التخلّف»^(١).

٩٨١ - الكثيرون من المسلمين اليوم يقولون لعلي: كم شعرة في رأسي.

٩٨٢ - نحن المسلمين نريد دخول الحياة من الزوايا المغلقة.

٩٨٣ - نحن المسلمين نريد أن نجر ذكرى أهل البيت إلى جو التخلّف.

يقول البعض:

«إنّ الكثيرين منا في ما يتحدثون وفي ما يتناقشون به ومما يثيرونه من أشياء هامشية، قد يقولون لعلي «عليه السلام» وللزهاء «عليها السلام» وللأئمة «عليهم السلام» كم شعرة في رأسي، لأن ضيق الفكرة هنا هو ضيق الفكرة نفسه هناك، ولقد أراد علي «عليه السلام» من خلال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكذلك أراد لنا أبناؤه وزوجته الطاهرة «عليها السلام»، أن ندخل الحياة من الباب الواسع، ولكننا نريد أن ندخلها من الزوايا المنغلقة، فمشكلة أهل البيت

(١) بينات ج ١ ص ٩٠.

«عليهم السلام» أنهم أرادوا أن يفتحوا لنا أبواب الوعي، ونحن نريد أن نجرّ ذكراهم إلى جوّ التخلف لأن المتخلفين لا يحبّون إلا أن يعيش الآخرون معهم في أجواء التخلف» .

فيلاحظ: أنه قد تحدث أولاً عن «الكثيرين منا» ثم استطرد في حديثه ليتحدث «عنا» بصورة التعميم، ويدخلنا من ثم في أجواء التخلف، خصوصاً في ما يرتبط بالمناسبات المرتبطة بأهل البيت، مثل عاشوراء، وعيد الغدير وغيرهما.

٩٨٤ - ندرس الكثير من التاريخ ومن القرآن على أساس مشاعرنا لا عقولنا.

٩٨٥ - الكثيرون منا موقفهم هو تأويل ما لا ينسجم مع الموروث.

٩٨٦ - أصبح استظهار النصوص خاضعاً للذهنيات المسبقة لدينا.

٩٨٧ - صار القرآن صوراً لما نفكر به بدل العكس.

٩٨٨ - التاريخ صورة لما نفكر به بدل العكس.

٩٨٩ - عواطفنا تحكم الكثير من حركة البحث عندنا.

٩٩٠ - لسنا عقلانيين ولا موضوعيين.

٩٩١ - لا ندرس القرآن والسنة على أساس القواعد التي يتلاقى عليها الناس في فهم النص.

٩٩٢ - التضييل والتفسيق يطال من يقول إن القرآن ظاهر فيما لا يتفق مع المتوارث.

٩٩٣ - نحن ضعفاء في الثقافة وفي الحجّة.

يقول البعض:

«مشكلتنا أننا ندرس الكثير من نصوص التاريخ أو نصوص القرآن الكريم على أساس مشاعرنا لا على أساس عقولنا، ولهذا ترى الكثيرين قد يأخذون موقفاً مسبقاً من مختلف القضايا، فإذا كان النص يتفق مع موقفهم أخذوا به، وأما إذا كان لا ينسجم مع ما توارثوه فإنهم يعملون على تأويله وإبعاده عن ظاهره وعن سياقه، ولذا فقد أصبحت عملية استظهار النصوص خاضعة للذهنيات المسبقة التي نحملها. وغدونا نفرض الكثير من هذه الذهنيات على القرآن نفسه، حتى صار القرآن صورة لما نفكر به، بدل أن يكون ما نفكر به صورة قرآن، والأمر نفسه حصل بالنسبة للمسائل التاريخية التي تتصل ببعض الخطوط الفكرية والثقافية والعقيدية، فإن البعض يختار من النصوص التاريخية ما يناسبه ويرفض منها ما لا يروق له، أو أنه يحاول أن يرتب التاريخ على حسب مزاجه ومذاقه الفكري، لا أن يجعل مزاجه الفكري خاضعاً لنتائج البحث العلمي التاريخي.

تحكم العاطفة في حركة البحث:

إن مشكلتنا أننا عاطفيون، وعواطفنا هي التي تحكم الكثير من حركة البحث عندنا، ولسنا عقلانيين موضوعيين ندرس الأمور على

أساس الكتاب والسنة انطلاقاً من القواعد التي يتلاقى عليها الناس في فهم النص العربي، ولا نخضع تفكيرنا للنتائج المستفادة من الكتاب والسنة، حتى إذا جاءنا شخص وقال إنّ الكتاب ظاهر في أمر ما، أو السنة ظاهرة في حكم ما مما لا يتفق مع المؤلف والمتوارث، نادينا بالويل والثبور وعظائم الأمور، وتحركت حملات التكفير والتضليل والتفسيق.

إن الذين يتبعون هذه الأساليب فيتهمون من خالفهم في اجتهاداتهم بالكفر والضلال والفسق والانحراف، ضعفاء في ثقافتهم كما هم ضعفاء في حجّتهم، لأن من يملك الحجة لا يشتم، ومن يملك البرهان الساطع لا ينطق بالكلمات غير المسؤولة» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

١ - إن كلام هذا البعض موجّه إلى أهل الإسلام.. كما هو ظاهر. فهو يتهمهم بتلك التهم الباطلة، ويسجل للتاريخ هذه الشهادة عليهم.. وسوف تكون شهادة مقبولة عند الأعداء، لأنها تمثل اعترافاً طوعياً. يفرح به الأعداء، ويحزن له الأصدقاء، الذين يعرفون أنه غير صحيح، أو لا أقل هو غير دقيق.

ولا نريد أن نقول هنا أكثر من ذلك.

٢ _ إن الظاهر من كلام هذا البعض: أنه بصدد التجريح بعلماء الإسلام وبمراجع الدين الذين وقفوا من مقولاته المخالفة لحقائق الدين والتاريخ والعقيدة وغيرها موقفاً صريحاً، وقوياً وحازماً..

وقد وصفهم بأنهم «أيدهم الله» ضعفاء في ثقافتهم، كما هم ضعفاء في حجتهم، فأين هو دليله المفيد لليقين في هذا الأمر، فإن هذا النفي يحتاج إلى دليل، ولا بد أن يكون يقينياً حسب مقرراته.

٣ - إنه يصور الأمر فيما بينه وبين غيره على أنه اختلاف في الاجتهاد مع أن الأمر ليس كذلك، إذ ليس من حق أحد أن يجتهد في الحقائق اليقينية الثابتة والذي يفعل ذلك، فإنه يتحمل مسؤولية ما قدم عليه، فإن خالف أمور العقيدة وحقائق الدين، فإنه تترتب عليه آثار ذلك، ويحكم عليه بما يحكم على كل مخالف، ولا يصح له أن يعتذر بالاجتهاد، ولا يمنع اجتهاده هذا ترتب تلك الآثار والأحكام عليه، وإلا لصح للمسيحي واليهودي والملحد أن يعتذر بالاجتهاد.. فإن اجتهاد المسيحي والملحد لا يمنع من الحكم عليه بالكفر وبعدم جواز تزويجه، وبحرمانه من الإرث، وعدم قبول شهادته، وحرمة أكل ذبيحته وما إلى ذلك..

٩٩٤ - كيف يكون مؤمناً ويغتاب المراجع؟!

٩٩٥ - يغتاب بحجة نصره المذهب ومواجهة الضلال.

٩٩٦ - لا يريدون نصره المذهب ولا مواجهة الضلال ولكنه

الشیطان یوسوس.

سئل البعض:

لي صديق عزيز أذهب إليه، ونجلس، ونتحدث، ولكنه يتكلم بالسوء على مرجعية كبيرة ومؤمنة. وعندما أقول له: لا يجوز ذلك. لا يقبل مني، بل يزيد حملاته، وهو إنسان مؤمن.

فأجاب:

«..كيف يكون مؤمناً، وهو يغتاب المراجع؟! وهو يعلم أن الغيبة طعام كلاب أهل النار. وأن الله تعالى يقول: (وَلَا يَغْتَابُ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرَهُهُمُوهُ) (١). وأن الغيبة أشد من الزنا.

قالوا: كيف؟!

قال: لأن الزنا قد يغفره الله للإنسان إذا تاب، ولكن الغيبة لا يغفرها الله، حتى يغفرها صاحبها. لقد أصبح البعض من الناس يبرر لنفسه اغتياب الآخرين بعناوين مختلفة؛ فمنهم من يقول أريد نصرته المذهب، والوقوف ضد الضلال، وهكذا.. ولكنه الشيطان يوسوس (٢) لبعض الناس» .

وقفه قصيرة:

١ - لا أدري كيف أجاز هذا البعض لنفسه أن ينفي الإيمان عن

(١) الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(٢) فكر وثقافة عدد ١٨٥ ص ٤ بتاريخ ٢٦ ج ١ سنة ١٤٢١ هـ.

.. إنسان، لمجرّد أنه ارتكب جريمة الغيبة.

٢ - من أين علم أن ما يذكره ذلك الصديق لصديقه هو من مفردات الغيبة المحرّمة، فلعل تلك المرجعية التي يتحدث عنها تستحق أكثر من ذلك.. بسبب ما صدر عنها من مخالفات للدين وللإسلام كله، بنظر هذا المغتاب؟! ولعل المغتاب قد سمع أو قرأ ما يبرر له غيبة ذلك الذي يوصف بأنه (مرجعية)..

٣ - وحتى لو لم تكن تلك المرجعية بهذه المثابة من الانحراف والسقوط، فلعل ذلك الصديق الذي أحبه ذلك الرجل، ولمس منه الإيمان والتقوى - لعله - معذور في اغتيابه لذلك الشخص.

أما وصف المرجعية بأنها كبيرة فلا يدفع هذا الاحتمال، ولا يزيل آثاره.

٤ - لماذا لا نقبل ممن يقول: أريد نصرة المذهب، ومواجهة الضلال، ونصدقه فيما يقول؟! أو لماذا لا نأخذ كلامه مأخذ الجدّ على الأقل ونحقق وندقق في الأمر؟! وكيف صح من هذا البعض أن يعتبر ذلك وسوسات شيطانية؟!

٥ - ثم إن نفس هذا البعض يغتاب المراجع، ويصفهم بعدم التقوى، ويصعّر من شأنهم، ويصورهم على أنهم ألوية في أيدي غيرهم حتى على شاشات التلفاز وفي الإذاعات وعلى صفحات الصحف والمجلات.. فلماذا لا يرضى بأن نأخذ بمداليل كلامه ونطبقه عليه أيضاً؟! أم أن بقاءه تجرّ، وبقاء غيره لا تجرّ؟!

٦ - إن هذا البعض يقول:

«إن النفي يحتاج إلى دليل، والإثبات كذلك».

ويقول:

«إن الدليل لابد أن يوجب اليقين».

فما دليله على نفي الإيمان عن هذا الشخص المسؤول عنه؟!.

٩٩٧ - لا يجوز التهجم على علماء الدين.

ثم يناقض نفسه فيتهجم على المراجع والعلماء، فيقول:

٩٩٨ - من يضل ويكفر.. لا يستعمل علمه.

٩٩٩ - المشكلة في من يضل ويكفر هو انعدام التقوى.

سئل البعض:

هل يجوز التهجم على علماء الدين وغيرهم لسبب أو لآخر، مع

عدم معرفتنا بظروفهم، وعدم الإطلاع على طبيعة أوضاعهم؟!.

فأجاب:

(١)

«لا يجوز ذلك» .

ونقول:

إننا لم نعرف إن كان مقصوده: أنه مع الإطلاع على الأوضاع

والظروف يجوز التهجم على العلماء، أم أنه لا يجوز.

(١) فكر وثقافة عدد ١٧٠ - ص ٤ بتاريخ ١٤٢١/٢/٩ هـ.

ولأجل ذلك اتجهنا نحو بيانات أخرى لهذا البعض، فوجدناه قد سئل مرة أخرى، وذلك في الأسبوع التالي للأسبوع الذي وجه إليه فيه السؤال السابق فقل له:

ما هو الحكم في الطعن بسيرة العالم وتسقيطه.

فأجاب:

«هذا إجرام وربما يصل إلى درجة كبيرة من الحرمة، لأنه إساءة إلى موقع القيادة الربانية» .

وحتى هذا المقدار لم يقنعنا أيضاً، فتابعناه في الأسابيع التالية، فوجدناه يوجه له سؤال آخر بعد شهر واحد من توجيه السؤال السابق، والسؤال هو:

يطلق بعض الناس العنان لألسنتهم في الكلام حول المراجع العظام، والعلماء العاملين. وفي كل مكان يجلسون فيه يتحدثون عن أن المجتهد الفلاني أصدر فتوى بكذا. أو حرم كذا، وأحلّ كذا، ويبدؤون بتقييم هؤلاء، وتقييم هؤلاء، وتقييم فتاواهم. فما رأيكم بمثل هذا الصنف من الناس.

فأجاب:

«السؤال أولاً: هل إن هؤلاء يملكون الثقافة الشرعية فيما يقيّمون؟! وهل يملكون التقوى التي يستطيعون من خلالها أن يقيّموا

العلماء والمراجع؟! ذلك أن كثيراً من هؤلاء إما أن يكونوا من العوام، أو من أشباه العوام بأساليبهم وبطريقتهم...».

إلى أن قال:

«وباختصار نقول: إن الشخص الذي ليس عنده علم وثقافة لا يصح أن يتدخل في هذه الأمور. والذي عنده علم يُسأل عن الدليل. أما الذي عنده علم، ويضلّل، ويكفر الناس، فهذا لا يستعمل علمه. وإلا فمن السهل أن يتهم، ويفسّق الناس على الطريقة السائدة في الأوساط السياسية: فهذا خائن، وهذا عميل. ولدينا الشيء نفسه، فهذا كافر، وهذا فاسق، وهذا ضال. والمشكلة هي انعدام التقوى.

وحينما نقول: أن لا دخل للجاهل في هذه الأمور، لأنه لا يعرف (١) أسس الفتوى، نرى أن البعض يقول: إن العلماء السابقين الخ...» .

وقفعة قصيرة:

١ - إننا لا نريد أن نناقش ما قاله هذا البعض هنا، ولكننا نلفت نظر القارئ إلى أن الجواب لا يتناسب مع السؤال.. فإنه سأل عن أناس يتداولون فيما بينهم الحديث عن فتاوي العلماء، ويقيّمونها.. فجاء الجواب بهذه الطريقة القاسية التي تحمل في طياتها الكثير من الإهانة لهم..

(١) فكر وثقافة عدد ١٧٥ ص ٣ بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٤٢١ هـ.

فهل تقييم الأشخاص فيما يعلنون به من أفعال.. سواء أكانت فتاوي أم غيرها حرام وممنوع، حتى استحق هؤلاء هذه القسوة من هذا البعض؟!

أم أن ذلك يعتبر من مفردات الغيبة عنده؟!

وهل الحديث عما هو ظاهر ومعروف ويتداوله الناس وخصوصاً تقييم الفتاوي، ومن يفتي بها، بهدف الرجوع إليه في التقليد، أو بهدف تلمس مواقع الصواب والخطأ، هل يعتبر جريمة تستحق كل هذه الضجة والقسوة والإهانات؟!

٢ - كيف ولماذا يشكك بتقوى هؤلاء الذين يحاولون تقييم الفتوى والمفتي؟! ولنفرض جدلاً - أنهم قد أخطأوا ويخطئون في التصدي لأمر ليسوا أهلاً له.. فهل ذلك يخرجهم عن جادة التقوى؟!

٣ - ونلاحظ: أنه حكم على العالم الذي يصدر حكمه على البعض بالفسق، أو بالضلال أو بالكفر بأنه لا يستعمل علمه.

وسؤالنا هو:

ألف: من أين عرف أنه لم يستعمل علمه؟! فإن النفي - حسب قوله هو - يحتاج إلى دليل ولا بد في الدليل - حسب قوله - أيضاً من أن يكون قطعياً.

ب: ومن أين عرف أنه يتهم ويفسق الناس على الطريقة السائدة عند السياسيين؟! فإن مقتضى حمله على الأحسن هو أن نقول: إنه قد استعمل علمه، واستعمل الطريقة الشرعية الصحيحة التي أدت به إلى

هذه النتائج. وانصاع إلى حكم الشرع بوجوب التصدي لضلال هذا، أو لكفر، أو لفسق ذاك..

٤ - إنه حكم على العالم الذي يصدر الحكم على أهل الضلال والفسق بأنه يعاني من «انعدام التقوى».

ونقول له أيضاً:

أولاً: النفي يحتاج إلى دليل، حسب قوله. ولا بد من أن يكون قطعياً حسب قوله كذلك.

ثانياً: مقتضى الحمل على الأحسن. ومقتضى حمل فعل المسلم على الصحة هو أن نصفه بأنه في حكمه هذا - الذي يعرض نفسه فيه لمثل هذه الإهانات - في أقصى درجات التقوى والورع، والإنقياد لأحكام الله سبحانه.

وبعدما تقدم فإننا ندعو القارئ العزيز للاطلاع على بعض ما يصف به هذا البعض علماء الأمة وأعلامها فيما تقدم ويأتي من مطالب في هذا الكتاب.

٥ - إننا نتفهم جيداً ونعطي الحق الكامل لأي إنسان يواجه تهمة مّا في أن يدافع عن نفسه..

ولكن ليس من حقه أن يمارس في ذلك أساليب غير مشروعة، مثل كيل التهم إلى مراجع الأمة وعلمائها. وتحقيرهم على صفحات الجرائد، ومن خلال الإذاعات، وعلى شاشات التلفزة المحلية منها والإقليمية، وربما العالمية أيضاً، فضلاً عما يسجله في المقابلات، وما

يلقيه في المحاضرات وما إلى ذلك.

إن المتهم إذا كان يعتقد ببراءة نفسه، فما عليه إلا أن يقدم الدليل والحجة.. وكيف وأنى له أن يقدم الدليل على ذلك؟! وهذه كتبه زاخرة بهذه المقولات، وتلك هي الإذاعات وأجهزة التلفاز، وأشرطة الفيديو، وأشرطة التسجيل لم تزل تحمل للناس على مر الأيام التأكيد تلو التأكيد على نفس تلك المقولات التي اعترض عليها علماء الامة وفقهاؤها، ومراجعها ولم يزل هو نفسه يشجع من حوله على الكتابة والدفاع عن تلك المقولات، وتزيينها للناس، وتمحل المؤيّدات لها في قول هذا العالم أو ذاك ونشهد - وللأسف - في كثير مما يقدمونه للناس من كتابات للدفاع عنه عملية خيانة وتزوير، كبيرة وخطيرة جعلتنا نحسب ألف حساب للأخطار التي تنشأ عن هذه الخيانة، وعن ذلك التزوير، نعوذ بالله من الزلل، في القول والفكر وفي العمل..

٦ - إن هذا البعض لم يزل يؤنب الناس على تصديهم لأمر لا خبرة لهم فيها. وما قرأناه أنفأ لعله من أخف حملاته على هذا النوع من الناس..

ولكننا نجده في مقابل ذلك يفيض في خطبه لهم على المنابر في كثير من البحوث الكلامية، والاستدلالات الفقهية، وغيرها من العلوم.. وكأنه يدرّسهم دروس الاجتهاد العليا. مع أن الحاضرين تحت منبره، هم من الناس العاديين الذين لا يملكون ثقافة فقهية أو غيرها تخولهم فهم هذه المطالب، والتمييز بين صحيحها وسقيمها، وحقها

وباطلها..

والذين يلقي عليهم دروسه هذه هم الذين إذا اعترض عليه أحدهم
بما لا يروق له، يواجهه بالتأنيب واللوم على تصديّيه لأمر لا
يفهمها..

ومهما يكن من أمر، فإن بالإمكان التأكد من صدقية هذا القول
بأدنى مراجعه لأي كتاب ينشر محاضراته، وأسئلته وأجوبته..

المقصد السادس

متفرقات..

و

تناقضات..

القسم الأول

في المتفرقات..

الفصل الأول

علي.. ومناوئوه..

١٠٠٠ - فكرة (التفضيل) إِتْعَاب للفكر وإِرْضَاء للزَّهْو.

١٠٠١ - التفضيل ليس جزءا من العقيدة ولا من الخط.

(١) والله سبحانه يقول: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) ..
لكن البعض يقول:

«فكرة تفضيل نبي على آخر، أو تفضيل إمام على نبي، كما قد يثار ذلك لدى بعض الفرقاء، أو فيما يثار من تفضيل فاطمة الزهراء «عليها السلام» على مريم، أو العكس، فإن هذا حديث لا يجني الخائض فيه أية فائدة على مستوى الدين أو الدنيا سوى إِتْعَاب الفكر،
(٢) أو إِرْضَاء الزهو الذاتي..» .

ويقول:

«هذه الأمور ليست جزءا من العقيدة، وليست جزءا من
(٣) الخط» .

(١) الآية ٢٥٣ من سورة البقرة.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٥ ص ١٥.

(٣) مجلة الموسم عدد ٢١ - ٢٢ ص ٣٠٣.

وقفه قصيرة:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» هم الذين تحدّثوا عن تفضيل أناس على غيرهم، وكذلك القرآن حين قال: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) ، فهل كان ذلك إتياعاً للفكر، وإرضاءً للزهو الذاتي؟!

وإذا لم نستطع فهم فوائد بعض الأمور، فهل يجوز لنا أن نبادر إلى التشكيك فيها، وتسخيفها، وردّها بهذه الطريقة؟!

١٠٠٢ - (حديث الكساء المتواتر)، في سنده مناقشة!!

سئل عن حديث الكساء الذي يفسر آية التطهير، فجاء السؤال والجواب كما يلي:

س: ما صحة رواية أهل الكساء؟!

ج: «الرواية مشهورة، ولكن بعض العلماء يناقش في سندها، باعتبار أن بعض رجال السند ضعاف» .

مع أن حديث الكساء متواتر وليس مشهوراً فقط، وهذا مما لا يخفى على أحد من العلماء، ولا معنى لأن يبحث في سند الحديث المتواتر، أما المشهور فإن للبحث في سنده مجالاً.

١٠٠٣ - علي «عليه السلام» يشرب الخمر.

(١) الآية ٢٥٣ من سورة البقرة.

(٢) مجلة الموسم عدد ٢١ - ٢٢ ص ٣١٥.

ولا نريد أن نتهم البعض بما هو بريء منه، ولكننا نقف متحيرين حين تنتاهي إلى مسامعنا أخبار متضاربة حول اعتذاراته عن ذكر رواية في تفسير له، تنسب إلى علي «عليه السلام» شرب الخمر. ونكتفي هنا بتسجيل واحدة من تلك الأعذار حيث سأله أحدهم:

س: نسب البعض اليكم بأنكم تقولون: بأن آية: (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) ^(١)، نزلت في الإمام علي «عليه السلام».

ج: «ناقشنا هذه المقولة الباطلة والمفتراة علينا أكثر من مرة. والذي صف حروف التفسير للطبعة الجديدة لم يصف مناقشتنا لهذه المقولة، خيانة منه وكيدا وحسابه على الله سبحانه».

(هذه العبارات في أجوبته على أسئلة قدمت إليه وموقعة ومختومة بختمه بتاريخ ١٦/٢/١٤١٠ هـ.ق).

ومرة أخرى قيل له:

روي عنكم أنكم ذكرتم في حلقات التفسير، رواية يرويها إخواننا من أهل السنة في أن الإمام علي «عليه السلام» كان يشرب، بدون أي تعليق من جنابكم أي أنه ذكرها في تفسيره - بعنوان أنها سبب نزول آية: (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى)، ولم يعلق عليها..

فأجاب:

«لم تذكر في تفسير «من وحي القرآن» الرواية المذكورة.

(١) الآية ٤٣ من سورة النساء.

وثانياً: فإن هذا الكلام قد دس في الطبعة الجديدة من قبل من كان يتولى صف الأحرف. وعندما يرى تفسير «من وحي القرآن»، في طبعته الجديدة، فسوف ترون فيه مناقشة علمية من جميع الجهات حول هذه الرواية» .

١٠٠٤ - إعتراض عمر على النبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية كان وعي الصحابة!!
١٠٠٥ - عدالة الصحابة.

١٠٠٦ - نفي جرأة أحد على النبي «صلى الله عليه وآله».
١٠٠٧ - لا سلبية من الصحابة تجاه النبي «صلى الله عليه وآله».
ومما يدل على نظرته إلى الصحابة قوله:

«نلاحظ: أن ليس هناك في التاريخ شخصية اتفق عليها المسلمون كشخصية النبي «صلى الله عليه وآله» (١) . ولم يحدث هناك أية سلبية حيال النبي في كل واقع الإسلام» .
والملفت للنظر: أن هذا النص بعينه قد ذكر في كتاب الندوة ج ٢ ص ٣٧٦، لكن فقرة:

ولم يحدث هناك أية حالة سلبية تجاه النبي في كل واقع الإسلام،
قد حذفت، مع أن هذه الفقرة قد ذكرها في سياق حديثه عن التحريف

(١) فكر وثقافة العدد ١٧ الصفحة ٤.

(٢) نشرة فكر وثقافة - الصفحة ٢ بتاريخ ١٩٩٧/٦/٢٧.

وإدانتته علما أن كتاب الندوة إنما هو عبارة عن مجموع المحاضرات التي ألقى في دمشق وطبعت في نشرة فكر وثقافة كما هو واضح لمن راجع هذا الكتاب.

مع أن بعض الصحابة قد نفروا الناقة برسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة ورفضوا تجهيز جيش أسامة، وقال بعضهم عنه «صلى الله عليه وآله»: إن النبي ليهجر!!

والكل يعلم ماذا جرى له «صلى الله عليه وآله» مع بعضهم في يوم الحديبية.

وإن كان هذا البعض قد اعتبر اعترض من اعترض على النبي «صلى الله عليه وآله» مظهرا عدم تسليمه لما يقرره الرسول «صلى الله عليه وآله» وعن شكه في صوابية تصرفاته «صلى الله عليه وآله» اعتبر البعض ذلك - وعي الصحابة!!

مع أن من اعترض معروف ومحدد، ولا يمكن نسبة ما صدر عنه إلى الصحابة، كما لا يمكن اعتبار ذلك وعيا!!

يقول ذلك البعض:

«لا يمكن لأية قيادة إسلامية أن تقدم التنازلات للأعداء، حتى إن ذلك كان وحي الصحابة في عهد الرسالة، عندما كان النبي يقدم التنازلات التكتيكية لمصلحة الخطة الإستراتيجية، فإن المسلمين كانوا يقفون ويقولون: إننا لا نعطي الدنيا في ديننا. وإننا كنا لا نتنازل لهم

قبل الإسلام، فكيف نتنازل لهم بعد أن أعزنا الله بالإسلام» .

١٠٠٨ - هل تواعد أبو بكر مع النبي «صلى الله عليه وآله» على الخروج معاً ليلة الهجرة؟! .

١٠٠٩ - أبو بكر خشي على نفسه وعلى النبي.

١٠١٠ - النبي يقول لأخيه أبي بكر: لا تحزن إن الله معنا..

١٠١١ - كان الإهتزاز الروحي والفكري والعملية لأبي بكر في البلاء والمحنة فتبته النبي «صلى الله عليه وآله».

يقول البعض:

«... (إِنَّا تَنْصُرُوهُ) إِنِ امْتَنَعْتُمْ عَنْ نَصْرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ، كَمَا فَعَلَ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ (فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ) وَخَلَّصَهُ مِنْ أَيْدِي قُرَيْشٍ الَّتِي أَطْبَقَتْ عَلَى بَيْتِهِ وَانْتَظَرَتْ الصَّبَاحَ لَتَهْجُمَ عَلَيْهِ (إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) مِنْ مَوْطِنِهِ (ثَانِي اثْنَيْنِ) فَقَدْ كَانَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الَّذِي تَوَاعَدَ وَإِيَّاهُ عَلَى الْخُرُوجِ مَعًا حَتَّى دَخَلَ الْغَارَ، وَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى بَابِهِ، وَبَدَأَ الْحَوَارِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، بَيْنَ قَائِلٍ يَحْتَمِلُهُمْ عَلَى الدَّخُولِ، وَقَائِلٍ يَدْفَعُهُمْ إِلَى الرَّجُوعِ».

ويقول:

«واشتد الضغط على مشاعر أبي بكر الذي كان يخشى من الموقف على نفسه، وعلى النبي «صلى الله عليه وآله» (إِذْ هُمَا فِي

الغار) يتحاوران، فيتحدث أبو بكر عن أجواء الخوف المدمر، ولكن النبي كان يعيش آفاق النصر التي وعد الله بها، والله لا يخلف وعده، فكان يشجع أبا بكر على الثبات في الموقف، وعلى الإطمئنان لنصر الله (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) .

فلو كان الناس بأجمعهم مع الإنسان وكان الله ضده، لم ينفعه ذلك شيئاً، ولو كان الله معه وكان الناس ضده لم يضره ذلك شيئاً، لأن الله هو الذي يملك القوة كلها، فلا قوة لأحد إلا من خلال ما أعطاه، فهو الذي يملك من الإنسان ما لا يملكه الإنسان من نفسه، فإذا أراد رعاية عبد من عبادته، برحمته وقوته ولطفه، فإنه يأخذ بكل أسباب القوة من خلال الله، وتلك هي الأجواء الروحية التي تطوف بالإنسان في ملكوت الله عندما تشتد عليه الأهوال، وتضيق عليه السبل، وتكثر حوله التحديات، ويهجم عليه أهل البغي والطغيان، فإذا أحس من نفسه ضعفاً أمام ذلك كله، وشعر بالحزن يزحف إلى قلبه، وبالخوف يسيطر على روحه، رجع إلى الله في روحية العبد الخاشع، وذهنية الإنسان الملتجئ إليه المعتصم به، فعاش معه ابتهالاته ودعواته وروحانية الصلاة في ضميره، فإذا بالضعف يتبدل إلى القوة، وبالخوف يتحول إلى شعور بالأمن، وبالحزن ينطلق إلى الفرح الروحي، ليوحي لنفسه بأن الله معه، ليثبت أمام الزلزال، وليقول لإخوانه الذين

يعيشون الإهتزاز الروحي والفكري والعملية أمام عواصف المحنة والبلاء: لا تحزنوا إن الله معنا» .

وقفه قصيرة:

ونقول:

١ - إن دعوى وجود تواجد فيما بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين أبي بكر على الهجرة معاً.. يقابلها نصوص تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قد لقي أبا بكر على طريق المصادفة.. فطلب منه أبو بكر مرافقته، فلم يرفض النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك..

بل إن ثمة نصاً آخر يقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخذه معه ليتلافى بذلك بعض السلبات المحتملة، ولسنا هنا بصدد تحقيق ذلك.

٢ - ثم هو يسجل خبراً يحكي لنا فيه حقيقة مشاعر أبي بكر، حيث قرر أن الضغط قد اشتد على مشاعره لأنه كان يخشى من الموقف على نفسه وعلى النبي «صلى الله عليه وآله».

وقد كنا نتوقع أن يذكر لنا النصوص التي أثبتت له هذه الحقيقة التي تدخل في دائرة المشاعر الخفية بشقيها: أعني خوف أبي بكر على نفسه أولاً، ثم خوفه على النبي «صلى الله عليه وآله» ثانياً، حتى استطاع هذا البعض أن يقدمها كحدث صادر وواقع.. وهو الذي

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١١ ص ١١٦ و ١١٧.

يشترط اليقين في الأخذ بالأخبار في قضايا التاريخ، وفي الأخبار عن حالات الأشخاص، وغير ذلك.

فكيف بما يدخل في دائرة المشاعر والأحاسيس؟!

٣ - ولا ندري كيف عرف أن أبا بكر قد عاش الإهتزاز الروحي والعملي والفكري.. مع أن هناك من يقول: إن حزن هذا الرجل لم يكن مبرراً بدرجة يقينية.. خاصة إذا فرضنا أن حزنه كان على النبي «صلى الله عليه وآله».. فإن ما رآه من الآيات من شأنه أن يمنحه اليقين برعاية الله سبحانه لنبيه «صلى الله عليه وآله».

فقد رأى العنكبوت قد نسجت على باب الغار!!.. ورأى حمامة وحشية تبيض على باب الغار، وتجلس لاحتضان بيضها، ورأى شجرة تنبت - لساعتها - كل ذلك على باب الغار..

على أن الله حين أنزل السكينة، فإنما أنزلها على رسوله، ولم ينزلها على ذلك الذي عاش الإهتزاز الروحي والفكري والعملي أمام عواصف المحنة والبلاء على حد تعبير هذا البعض.. ولا ندري السبب في هذا الاستثناء له وقد أنزل سكينته على رسوله «صلى الله عليه وآله»، وعلى المؤمنين في موقف حرج آخر.. فما بال هذه السكينة لا تنزل على (إخوان رسول الله) وهم يواجهون عواصف المحنة والبلاء - على حد تعابير هذا الرجل - ألا تحزنوا إن الله معنا.

٤ - على أن الآية الشريفة لم تتحدث عن خوف أبي بكر، وإنما تحدثت عن حزنه، والخوف إنما يكون من أمر داهم في المستقبل

والحزن إنما يكون على ما فاته.. فما هو الشيء الذي ضاع من أبي بكر، فأوجب حزنه يا ترى!!

١٠١٢ - الخلفاء الراشدون حاولوا اقتفاء أثر الرسول في كل أمور الدولة.

١٠١٣ - الخلفاء عملوا على استلهم القرآن في كل أمور الدولة.
ويقول البعض:

«..الأمر الثاني الذي نستدل به على وجود الدولة هو تطبيق النبي هذه الآليات القانونية في إطار المساحة التي كانت تحتلها الدولة في تلك المرحلة وفي تلك الظروف.. وعندما جاء الخلفاء الراشدون من بعده لم ينطلقوا من فراغ، وإنما حاولوا أن يقتفوا أثر الرسول «صلى الله عليه وسلم»، وعملوا على استلهم الكتاب في كل ما كان يعرض عليهم من أمور الدولة..» .

وقفة قصيرة:

إن تعليقنا على ما ذكره هذا البعض سوف يقتصر على ما يلي:

١ - إن هذا الذي قاله وبهذه الشمولية والدقة يحتاج - حسبما قرره نفس هذا البعض - إلى إثبات قطعي، ولا يكفي فيه مطلق ما هو حجة.. لأنه أمر تاريخي، يحتاج إلى القطع واليقين كما يقول..

٢ - إن هذا البعض إنما كان يجيب على سؤال: أن المشروع في

الصدر الأول لم يكن يهدف إلى إقامة دولة إسلامية.. ولم يكن بحاجة إلى الاستطراد في حديثه إلى إطلاق هذا الحكم الجازم والعام فيما يرتبط بسياسات من عدا الرسول صلى الله عليه وآله.

٣ - إن قضية فذك، ترتبط - ولا شك - بسياسات الدولة، كما أن ما جرى على الزهراء، وتهديدها بإحراق بيتها، وإحراق الباب وإسقاط جنينها وضربها، واقتحام بيتها - إن كل ذلك ولا شك يرتبط بأمور الدولة وممارسات أركانها في مقام تثبيت دعائمها، وتشديد أركانها. فهل كانوا في ذلك كله يحاولون اقتفاء أثر الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويعملون على استلهاهم الكتاب العزيز، ولم ينطلقوا من فراغ؟! وبعد ذلك، فهل كان قتل مالك بن نويرة، والبناء بزوجه ليلة قتله، وجعل رأسه أنفية للقدر في عمل طبخ الطعام، وحماية أبي بكر لخالده، الذي فعل ذلك كله.. هل كل ذلك كان اقتفاء لأثر الرسول واستلهاماً لكتاب الله، ولم ينطلقوا من فراغ?!.

ومع غض النظر عن ذلك كله.. هل كان حرق الفجاءة.. ومنعهم كتابة ورواية حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحبس كبار الصحابة في المدينة، وإعطاء خمس أفريقية لمروان.. وضربهم من يسأل عن معنى آية قرآنية، والتكيل بنصر بن حجاج..

وهل كان التمييز في العطاء على أساس قبلي وعرقي.. وتولية الفساق الذين يشربون الخمر، ويصلون بالناس في مسجد الكوفة بالعراق وهم سكارى، والذين يعتبرون سواد العراق بستاناً لقريش..

ويعلمون الحرب على مخالفيهم بعنوان حرب الردة والمنع من حيّ على خير العمل.. وغير ذلك مما يتعذر علينا إحصاؤه الآن، ويكفي مراجعة كتاب الغدير للعلامة الأمينى «رحمه الله» للوقوف على بعض من ذلك.

هل كان ذلك كله اقتفاء منهم لأثر الرسول «صلى الله عليه وآله»، واستلهاماً لكتاب الله.. ولم ينطلقوا من فراغ؟!!

ولماذا إذن هب الصحابة وغيرهم في وجه عثمان حتى قتلوه؟! ولعل هذا البعض - الذي نتوقع منه أن يصر على مقولاته هذه سوف يعتذر عن هؤلاء بأنهم قد تأولوا فأخطأوا. وبذلك ينالون المثوبة على كل ما فعلوه مما ذكرناه آنفاً ومما لم نذكره.. ولا نملك والحالة هذه إلا أن نقول:

إنا لله وإنا إليه راجعون. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

١٠١٤ - الثابتون مع الرسول يوم أحد سوى علي.

١٠١٥ - دافع الثابتون عن النبي دفاع المستميت.

١٠١٦ - كسرت رباعية النبي «صلى الله عليه وآله».

يقول هذا البعض وهو يتحدث عن حرب أحد:

«..فدارت الدائرة على المسلمين حتى تعرضت حياة الرسول «صلى الله عليه وآله» للخطر فأصابته حجارة من المشركين فكُسرت رباعيته وشُجَّ وجهه وجرحت جبهته ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجهه.. وفر المسلمون عنه، ولم يبق معه إلا نفر قليل كان في

طليعتهم علي بن أبي طالب وأبو دجانة وسهل بن حنيف فدافعوا عنه دفاع المستميت..» .

وقفة قصيرة:

١ - ذكر هذا البعض ذلك النص الذي يتحدث عن كسر رباعيته «صلى الله عليه وآله» في أحد، مع أن المروي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله» خرج من الدنيا سليماً في بدنه ، لم ينقص منه شيء.

ولو أن هذا البعض راجع روايات أهل البيت لم يقع في هذا الغلط.

٢ - قد دلت النصوص المتضافرة على أنه لم يثبت في أحد سوى أمير المؤمنين «عليه السلام». لكن هذا البعض يذكر أنه قد ثبت في موقع القتال مع علي «عليه السلام» رجال آخرون أيضاً، وهم نفر قليل في طليعتهم: أبو دجانة وسهل بن حنيف، وذكر أنهم قد دافعوا عن النبي «صلى الله عليه وآله» دفاع المستميت، وهو ما يحاول كثيرون من أتباع المذاهب الأخرى التأكيد عليه، تجنياً على علي «عليه السلام» وحفظاً لماء وجه غيره، فلماذا لا يثبت في هذا الأمر، بل يبادر للأخذ بأقوال هؤلاء، ليس في هذا المورد وحسب، وإنما في

(١) من وحي القرآن ج ٦ ص ١٦٢ و ١٦٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٩٦ وأعلام الوري ص ٨٣.

موارد كثيرة جداً، مما ورد في حق علي وأهل البيت «عليهم السلام» في القرآن الكريم؟!

ومن الواضح: أن الثابت الذي لا ريب فيه، هو أن علياً «عليه السلام» هو الذي قد ثبت يوم أحد، وكل من عداه كان من الفارين، ويدل على ثبات علي وحده في هذه المعركة ما يلي:

ألف: قال القوشجي في شرحه على التجريد بعد أن ذكر قتل علي «عليه السلام» لأصحاب اللواء:

«فحمل خالد بن الوليد بأصحابه على النبي «صلى الله عليه وآله»، فضربوه بالسيوف، والرماح والحجر، حتى غشي عليه، فانهزم الناس عنه سوى علي «عليه السلام»، فنظر النبي «صلى الله عليه وآله» بعد إفاقته^(١) وقال: اكفني هؤلاء، فهزمهم علي عنه، وكان أكثر المقتولين منه» .

ب: عن ابن عباس، قال: «لعلي أربع خصال، هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم المهراس^(٢) (أي يوم أحد)، انهزم الناس كلهم غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره» .

(١) شرح التجريد ص ٤٨٦ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٧ عنه.

(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١١ ومناقب الخوارزمي ص ٢١ و ٢٢ وراجع

إرشاد المفيد ص ٤٨ وتيسير المطالب ص ٤٩.

ج: ما ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» : أن من يذكرون أنهم ثبتوا، لا ريب في فرارهم، كما تدل عليه النصوص، فلترجع هناك.

د: أخرج الإمام أحمد، عن أنس: أن المشركين لما رهبوا النبي «صلى الله عليه وآله» يوم أحد - وهو في سبعة من الأنصار، ورجل من قريش - قال: من يردهم عنا، وهو رفيقي في الجنة؟ فجاء رجل من الأنصار ؛ فقاتل حتى قتل. فلما رهبوه أيضاً قال: من يردهم عنا، وهو رفيقي في الجنة؟!

فأجابه أنصاري آخر وهكذا، حتى قتل السبعة. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما أنصفنا أصحابنا .

سر الاختلاف في من ثبت:

وبعد، فإننا يمكن أن نفهم: أن رجعة المسلمين إلى المعركة بعد هزيمتهم لم تكن على وتيرة واحدة، وإنما رجع الأول فرأى علياً ثم رجع آخر، فرأى علياً وأبا دجانة مثلاً، ثم رجع آخر فرأى خمسة أشخاص، وهكذا، فكل منهم ينقل ما رآه. حتى وصل العدد لدى بعض

(١) الجزء ٦ من الصفحة ١٨٠ - حتى ١٩٣.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦ وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٣٣ وتقدمت الرواية عن صحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٨ إلا أن فيه: رجلين من قريش. وكذا في تاريخ الخميس أيضاً.

الناقلين إلى ثلاثين.

كما أن ما يؤثر عن بعض الصحابة من مواقف نضالية، لعله - إن صح - كان بعد عودتهم إلى ساحة القتال.

سر الحكم بثبات أبي دجانة:

ولعل ذكر أبي دجانة في من ثبت في بعض الأخبار، مرجعه إلى ما قدمناه آنفاً. وبهذا نفسّر قول ابن مسعود: انهزم الناس إلا علي وحده. وثاب إلى النبي ^(١) «صلى الله عليه وآله» نفر، وكان أولهم عاصم بن ثابت، وأبو دجانة .

١٠١٧ - علي «عليه السلام» إنما حمل لواء المهاجرين في حنين.

١٠١٨ - الألوية والرايات تعددت في حنين وكثرت.

١٠١٩ - ثبت أبو بكر وعمر وأناس من أهل بيت النبي وأصحابه.

يقول البعض حول حرب حنين:

«وصفهم صفوفاً، ووضع الرايات في أهلها، مع المهاجرين لواء يحمله علي بن أبي طالب، وراية يحملها سعد بن أبي وقاص، وراية

(١) قاموس الرجال ج ٥ ص ٧. ولكن يبدو أن في الإرشاد تحريفاً، فراجع ص ٥٠ منه، وقارنها مع ما نقله عنه في البحار ج ٢٠ وقاموس الرجال.

يحملها عمر بن الخطاب، ولواء الخزرج يحمله حباب بن المنذر، ولواء الأوس يحمله أسيد بن خضير.. وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء أو راية يحملها رجل منهم مسمى. وقبائل العرب فيهم الأولوية والرايات، يحملها قوم منهم مسمون».

إلى أن قال؛ وهو يتحدث عن هزيمة الناس:

«فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يا أنصار الله، وأنصار رسول الله، أنا عبد الله، ورسوله.

ورجع رسول الله إلى المعسكر، وثاب إليه من انهزم.

وثبت معه يومئذ: العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وربيعه بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد في أناس من أهل بيته وأصحابه الخ..» .

وقفة قصيرة:

ويستوقفنا هنا عدة أمور، نذكر منها ما يلي:

أولاً: إن هذا البعض قد ساق الحديث المشار إليه وكأنه هو الحقيقة الثابتة، التي لا مرأى فيها.. وجعلها محلاً لتحليلاته، ومنطلقاً لاستنتاجاته، أو تعليقاته وتأويلاته.

(١) الإسلام ومنطق القوة ص ١٥٧. ورمز للنص المذكور بـ: طبقات ابن سعد

ومن المعلوم أن هذا البعض نفسه لم يزل يعلن أنه لا يكتفي بمطلق الحجة في مثل هذه الموارد، بل يلتزم بضرورة كون الدليل موجباً للقطع واليقين في كل ما عدا الأحكام الشرعية.

فهل نقل ابن سعد هذا يعتبر من الأدلة اليقينية عنده إما لتواتره، أو لكونه محفوفاً بقريضة قطعية؟! وأين هي تلك القريضة؟!

ثانياً: لماذا اختار هذا البعض خصوص رواية طبقات ابن سعد. ولم يخطر في باله أن يرجع إلى أي مصدر شيعي - ولو إلى كتاب الإرشاد للمفيد، أو إلى البحار فيذكر وقائع قصّة حنين من هذا الكتاب الشريف أو ذاك، ثم يحلل ويستنتج ويقرب ويبعد حسبما يراه مناسباً.

ثالثاً: إن هذا البعض قد ذكر: أن علياً صلوات الله وسلامه عليه كان يحمل لواء المهاجرين، وأعطى «صلى الله عليه وآله» راية لسعد وراية لعمر. ثم أعطى لواء الخزرج لحباب بن المنذر، ولواء الأوس لأسيد بن خضير.

ونقول:

إن ذلك لا يصح، لأن لواء الجيش كله كان مع علي. ولا يمنع أن يكون معه لواء المهاجرين أيضاً.

ويدل على ذلك:

ألف: نصوص عامة، وهي التالية:

١ - إنهم يقولون إنه «عليه السلام» كان صاحب لواء رسول الله

(١)

«صلى الله عليه وآله» في بدر، وفي كل مشهد .

٢ - عن ابن عباس، قال: لعلي بن أبي طالب «عليه السلام» أربع ما هنّ لأحد: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهو صاحب لوائه في كل زحف. وهو الذي ثبت معه يوم المهراس؛ وفرّ الناس. وهو الذي أدخله قبره .

٣ - عن ابن عباس: كان علي أخذ راية رسول الله يوم بدر. قال [الحكم] الحاكم: وفي المشاهد كلها .

٤ - وعن مالك بن دينار: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! قالوا: كان حاملها علي «رض».

وفي نص آخر: أنه لما سأل مالك سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه مالك إلى إخوانه من القراء، فعرفّوه: أنه خائف من

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (من تاريخ ابن عساكر) بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١٤٥ وذخائر العقبى ص ٧٥ عن أحمد في المناقب، والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٣ ق ١ ص ١٤ وكفاية الطالب ص ٣٣٦ عنه، وفي هامشه عن: كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ عن الطبراني، والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٢ وقال: أخرجه نظام الملك في أماليه.

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١١ وتلخيصه للذهبي (بهامشه)، ومناقب الخوارزمي ص ٢١ و ٢٢ وإرشاد المفيد ص ٤٨ وتيسير المطالب ص ٤٩.

(٣) ذخائر العقبى ص ٧٥ والرياض النضرة (المجلد الثاني) ج ٤ ص ١٥٦.

الحجاج.

فعاد وسأله، فقال: ^(١) كان حاملها علي «رض». هكذا سمعت من عبد الله بن عباس .

وفي نص آخر عن مالك بن دينار قال: قلت لسعيد بن جبير: من كان صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! قال: إنك لرخو اللبب.

فقال لي معبد الجهني: أنا أخبرك: كان يحملها في المسير ابن ميسرة العيسبي، فإذا كان القتال؛ أخذها علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» ^(٢) .

٥ - عن جابر: قالوا: يا رسول الله، من يحمل رايتك يوم القيامة؟! قال: من عسى أن يحملها يوم القيامة، إلا من كان يحملها في الدنيا، علي بن أبي طالب؟! ^(٣) وفي نص آخر: عبر باللواء بدل الراية .

(١) راجع: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٧ وصححه وقال: له شاهد من حديث زنفل العرفي، وفيه طول فلم يخرجہ الحاكم، ومناقب الخوارزمي ص ٢٥٨ و ٢٥٩ وذخائر العقبى ص ٧٥ عن أحمد في المناقب.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (طليدن) ج ٣ ق ١ ص ١٥.

(٣) هامش ص ١٨٠ من احتجاج الطبرسي، والرياض النضرة المجلد الثاني ج ٣ ص ١٧٢ عن نظام الملك في أماليه، وكفاية الطالب ص ٣٣٦ وقال:

٦ - وحينما مرّ سعد بن أبي وقاص برجل يشتم علياً، والناس حوله في المدينة، وقف عليه، وقال: يا هذا، على ما تشتم علي بن أبي طالب؟! ألم يكن أول من أسلم؟! ألم يكن أول من صلى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! ألم يكن أزهد الناس؟! ألم يكن أعلم الناس؟! وذكر حتى قال: ألم يكن صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزواته؟! (١).

وظاهر كلامه هذا: أن ذلك كان من مختصاته صلوات الله وسلامه عليه.

٧ - عن مقسم: أن راية النبي «صلى الله عليه وآله» كانت تكون مع علي بن أبي طالب، وراية الأنصار مع سعد بن عباد، وكان إذا

ذكره محدث الشام - أي ابن عساكر - في ترجمة علي «عليه السلام» من كتابه بطرق شتى عن جابر، وعن أنس، وكنز العمال ج ١٥ ص ١١٩ وراجع ص ١٣٥ عن الطبراني، ومناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي ص ٢٠٠ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٦ ومناقب الخوارزمي ص ٣٥٨.

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٠٠ وصححه على شرط الشيخين هو والذهبي في تلخيص المستدرک، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥١٤ و ٥١٥. وأظن أن القضية كانت مع سعد بن مالك أبي سعيد الخدري، لأن سعد بن أبي وقاص كان منحرفاً عن أمير المؤمنين. ويشير إلى ذلك ما ذكره الحاكم في مستدرکه ج ٣ ص ٤٩٩ من أن أبا سعيد قد دعا على من كان ينتقص علياً فاستجاب الله له.

استعر القتال كان النبي «صلى الله عليه وآله» مما يكون تحت راية الأنصار .

٨ - عن عامر: إن راية النبي «صلى الله عليه وآله» كانت تكون مع علي بن أبي طالب، وكانت في الأنصار حيثما تولوا .

وقد يقال: إن هذين النصين الواردين تحت رقم ٧ و ٨ لا يدلان على أن الراية كانت دائماً مع علي «عليه السلام» بصورة أكيدة وصريحة، وإن كان يمكن أن يقال: إن ظاهرهما هو ذلك.

٩ - عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المواطن كلها؛ فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب .

١٠ - قال ابن حمزة: «هل نقل أحد من أهل العلم: أن علياً كان في جيش إلا وهو أميره»؟! .

١١ - وفي حديث المناشدة: أن علياً «عليه السلام» قال: نشدكم الله، هل فيكم أحد صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» منذ

(١) المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٢٨٨ وراجع: فتح الباري ج ٦ ص ٨٩ عن أحمد عن ابن عباس بإسناد قوي.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٢٨٨.

(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ٢٠ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ١٠٦ لكن فيه: ميسرة العبسي بدل سعد بن عبادة.

(٤) الشافعي لابن حمزة ج ٤ ص ١٦٤.

يوم بعثه الله إلى يوم قبضه، غيري؟!
(١)
قالوا: اللهم لا .

ب: نصوص خاصة.

هناك من النصوص ما يؤكد هذا الأمر في خصوص غزوة حنين، وإن كان هذا الأمر لا يحتاج إلى التأكيد، فقد قال القمي «رحمه الله»:

«..فرغب الناس، وخرجوا على راياتهم، وعقد اللواء الأكبر، ودفعه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكل من دخل مكة براية أمره أن يحملها» .

رابعاً: إن هذه الرواية التي أوردها هذا البعض، وأرسلها إرسال المسلمات، وبني عليها استنتاجاته تقول: إن عمر وأبا بكر وأسامة بن زيد، وجماعة من أهل بيته وأصحابه.. قد ثبتوا يوم أحد.

ونقول:

إن ذلك لا يصح.. وذلك استناداً إلى الأمور التالية:

١ - قال الشيخ المفيد «رحمه الله» وغيره: «ومن ثبت معه من بني هاشم يومئذ، وهم ثمانية، أمير المؤمنين تاسعهم: العباس بن عبد

(١) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٥٧.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ٢٨٦ والبحار ج ٢١ ص ١٤٩ وتفسير البرهان ج ٢

ص ١١٣ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٩٩.

المطلب عن يمين رسول الله، والفضل بن العباس بن عبد المطلب عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند ثفر^(١) بغلته، وأمير المؤمنين «عليه السلام» بين يديه بالسيف، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة ومعتب^(٢) ابنا أبي لهب حوله. وقد وُلت الكافة مدبرين سوى من ذكرناه» .

٢ - قال مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبي غير بني ها	شم عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط	فهم يهتفون بالناس: أين
ثم قاموا مع النبي على المو	ت فأبوا زينا لنا غير شين
وثوي ^(٣) أيمن الأمين من القو	م شهيداً فاعتاض قرة
عين	

٣ - وقال العباس بن عبد المطلب؛ وكلامه هذا يؤيد صحة رواية

(١) الثفر: السير الذي في مؤخر السرج.

(٢) الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٤١ وعنه في مناقب آل أبي طالب

(ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٣٠ وراجع: البحار ج ٣٨ ص ٢٢٠ وج ٢١

ص ١٥٦.

وقريب منه ذكره الطبرسي في مجمع البيان ج ٣ ص ١٨ و ١٩.

(٣) الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ١٤١ وراجع مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣١

والبحار ج ٣٨ ص ٢٢٠ وج ٢١ ص ١٥٦.

المفيد:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرّ من قد فرّ عنه
فأقشعوا

وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه على القوم أخرى يا بني
ليرجعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا
يتوجع

٤ - وفي احتجاج المأمون على علماء عصره يقول المأمون حول
نزول السكينة في حنين: «إن الناس انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع
النبي «صلى الله عليه وآله» إلا سبعة من بني هاشم: علي «عليه
السلام» يضرب بسيفه، والعباس أخذ بلجام بغلة النبي «صلى الله
عليه وآله»، والخمسة محدقون بالنبي «صلى الله عليه وآله»، خوفاً
من أن يناله سلاح الكفار، حتى أعطى الله تبارك وتعالى رسوله
«عليه السلام» الظفر. عنى في هذا الموضع علياً، ومن حضر

(١) الإرشاد للمفيد ص ١٤١ و ١٤٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٦٤ والمعارف
لابن قتيبة ص ١٦٤ وفيه: سبعة، بدل: تسعة. وثامننا، بدل: وعاشرنا،
وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٠ والبحار ج ٣٨ ص ٢٢٠ وج ٢١
ص ١٥٦ ومجمع البيان ج ٣ ص ١٨ و ١٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥
ص ٣٤٩.

(٢) أي في قوله تعالى: (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [الآية

من بني هاشم، فمن كان أفضل، أمن كان مع النبي «صلى الله عليه وآله»، ونزلت السكينة على النبي «صلى الله عليه وآله» وعليه؟! أم من كان في الغار^(١) مع النبي «صلى الله عليه وآله» ولم يكن أهلاً لنزولها عليه؟! .

٥ - قال ابن قتيبة: «كان الذين ثبتوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حنين، بعد هزيمة الناس: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب - أخذ بحكمة بغلته - وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، وأيمن بن عبيد - وهو ابن أم أيمن مولاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» - وحاضنته، وقتل يومئذ هو وابن أبي سفيان - ولا عقب لابن أبي سفيان وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأسامة بن زيد بن حارثة..» .

فتجده لم يذكر أبا بكر وعمر في جملة من ثبت.

٦ - «وكانت نسيبة بنت كعب تحثو في وجوه المنهزمين التراب، وتقول: أين تفرون عن الله، وعن رسوله؟!»

٢٦ من سورة التوبة].

(١) البحار ج ٤٩ ص ١٩٩ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٩٣.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ١٦٤. وعنه في البحار ج ٣٨ ص ٢٢٠ بواسطة

المناقب ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص.

ومر بها عمر، فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت؟!
(١)
فقال لها: هذا أمر الله» .

٧ - عن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أنه كان يحدث الناس عن يوم حنين، قال:

«فر الناس جميعاً، وأعرؤا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يبق معه إلا سبعة نفر، من بني عبد المطلب: العباس، وابنه الفضل، وعلي، وأخوه عقيل، وأبو سفيان، وربيعه، ونوفل بنو الحارث بن عبد المطلب».

إلى أن قال: «التفت العباس يومئذٍ وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم، فلم ير علياً في من ثبت، فقال: شوهة بوهة، أفي مثل هذا الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو صاحب ما هو صاحبه؟! يعني المواطن المشهورة له.

فقلت: نقص قولك لابن أخيك يا أبة.

قال: ما ذاك يا فضل؟!!

قلت: أما تراه في الرعيل الأول؟! أما تراه في الرهج؟!!

قال: أشعره لي يا بني.

قلت: ذو كذا، ذو البردة.

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٢٨٧ والبحار ج ٢١ ص ١٥٠.

قال: فما تلك البرقة؟!

قلت: سيفه يزيل به بين الأقران.

قال: برّ، ابن برّ، فداه عم وخال.

قال: فضرب علي يومئذ أربعين^(١) مبارزاً كلهم يقده حتى أنفه وذكره. قال: وكانت ضرباته مبتكرة» .

٨ - وقال اليعقوبي: «فانهزم المسلمون عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بقي في عشرة من بني هاشم. وقيل: تسعة. وهم: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وعتبة، ومعتب ابنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب. وقيل: أيمن ابن أم أيمن» .

٩ - «..وفي رواية: لما فرّ الناس يوم حنين عن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبق معه إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم، ورجل من غيرهم: علي بن أبي طالب، والعباس - وهما بين يديه - وأبو سفيان بن الحرث أخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر. ولا يقبل أحد من المشركين جهته إلا قتل» .

١٠ - وقال الطبرسي: «الذين ثبتوا مع رسول الله «صلى الله

(١) البحار ج ٢١ ص ١٧٨ و ١٧٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٢.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٦٣.

عليه وآله» (١) علي والعباس، في نفر من بني هاشم. عن الضحاك بن مزاحم» .

١١ - روي عن البراء بن عازب: «ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله» إلا العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث» .

١٢ - وأخيراً.. فإن البعض يقول: «وانهزم المسلمون، فانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب، فقلت له: ما شأن الناس؟! قال: أمر الله.. ثم تراجع الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله» .

١٣ - قال المجلسي: «إن الإمام الباقر عليه السلام» قد احتج على الحروري: بأنهم كانوا تسعة فقط: علي، وأبو دجانة، وأيمن فبان أن أبا بكر لم يكن من المؤمنين» .

(١) مجمع البيان ج ٣ ص ١٧.

(٢) التفسير الكبير للرازي ج ١٦ ص ٢٢ والكشاف ج ٢ ص ٢٥٩ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٦٣ عن البخاري في الصحيح وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج ٣ ص ٣٩.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٦٢٤ وراجع ص ٦٢٣ عن البخاري وبقيّة الجماعة

إلا النسائي والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٠٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٢٣.

وخلاصة القول:

إن من يظهر نفسه للناس على أنه رجل علم وتحقيق، وأنه يلتزم خط أهل البيت.. وأنه يشترط الدليل اليقيني في كل ما عدا الحكم الشرعي ولا يكتفي بمطلق الحجة. لا يمكن أن يتحاشى مصادر الحديث والتاريخ التي ألفها علماء المذهب، والأمناء على هذا الدين، ويكتفي بما ذكره آخرون ممن يهتمون بالتسويق لمناوئي أهل البيت «عليهم السلام»، ويقدمه للناس على أنه هو الحقيقة الراهنة، التي تقبل بعجزها وبجرها.

١٠٢٠ - خالد بن الوليد ولي شرعي لعمار وللمسلمين.

١٠٢١ - تنزل الآية بإطاعة أولي الأمر في مورد معصيتهم لله.

١٠٢٢ - ولاية خالد هي في الدائرة الخاصة.

هناك رواية تتحدث عن شأن النزول لآية: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ..) ، وهي تتحدث عن مشكلة نشأت بين خالد بن الوليد وعمار بن ياسر في بعض الغزوات التي كان خالد بن الوليد أميراً على السرية فيها..

وقد ضعّف البعض هذه الرواية وردّها.. وقد أصاب في ذلك.. ولكنه عاد فاستدرك كلاماً آخر لا مجال لقبوله.. حيث قال هذا البعض:

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

«ومع ذلك كله، فإن المسألة المطروحة في الخط العام صحيحة لأن المفروض أن خالداً، على تقدير صحة الرواية - وهي ضعيفة - كان مكلفاً بالأمر القيادي من قبل النبي «صلى الله عليه وآله» مما جعله ولياً شرعياً في هذه الدائرة الخاصة، فليس لأتباعه إلا الطاعة والخضوع له في أوامره ونواهيه المتصلة بحركة المسؤولية، فلا يجوز لهم الاستقلال عنه بأي عمل (١) أو موقف، لأن معصيته معصية رسول الله «صلى الله عليه وآله»..» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

١ - إن هذا البعض إذا كان قد شكك في صحة الرواية، فكيف فرّع عليها هذه التفريعات، واعتبرها صحيحة في الخط العام.

٢ - إن هذا البعض قد خلط بين أمرين:

أحدهما: لزوم تنفيذ الأمر.

والثاني: الولاية الشرعية في الدائرة المحدودة..

ومن الواضح: أن لزوم تنفيذ الأمر، لا يعني جعل الأمر ولياً شرعياً، فقد يكون ذلك الأمر كافراً، ومع ذلك يجب عليك تنفيذ أمره لكي تدفع الضرر عن نفسك، أو لتصل إلى مطلوبك أو تحفظ مصالحك من خلاله..

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ٧ ص ٣٢٠.

فهل يصبح ذلك الكافر ولياً لك لمجرد أنه يجب عليك امتثال أوامره.

وقد أمرك الله حين تستأذن على أحد وهو في بيته بالرجوع، فقال: إن قيل لكم ارجعوا فارجعوا، فهل يصير صاحب البيت ولياً لك بذلك.

وكذلك الحال في كل موظف يريد تطبيق القانون، كقانون السير، وقانون الضمان، وقانون الأحوال الشخصية، والإحصاء، وما إلى ذلك.

٣ - قوله: «إن المسألة المطروحة في الخط العام صحيحة».

لا يمكن قبوله.. لأن الآية لا يمكن أن تنزل من عند الله لتأمرهم بإطاعة خالد باعتبار أنه ولي شرعي.. في الوقت الذي يطلب خالد منهم ما لا يحق له. بل هو يعصي الله في ذلك، فهل يمكن أن تأمرهم بإطاعته في مورد يعصي الله فيه؟! وقد جاء الحديث الصريح ليقول: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولو فرضنا أنه لم يكن عاصياً بل كان جاهلاً بالحكم الشرعي، فهل تجب طاعته في مثل هذا المورد أيضاً - فإن الرجل الذي أعطاه عمّار الأمان قد كان من المسلمين فلا يصح أن يسبى ولا يحتاج إلى إجازة عمّار، ولا إجازة خالد، بل لا يحتاج حتى إلى أمان من أحد، وإنما أمر خالد بمحاربة الكفار وسبيهم.. فعمار لم يخطئ في توجيه الرجل للبقاء في موطنه. وخالد هو الذي اخطأ حينما أسر الرجل وأخذ ماله وهو مسلم.

وأما لزوم أن تكون الإجازة والأمان بعلم الأمير.. فليس ثمة ما يثبت إلا ما يدّعيه خالد نفسه.. وإلا فإن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم، وأيما رجل من المسلمين أعطى لكافر أماناً ولو بإشارة منه، فإن أمانه ماض له. ولا يستطيع أحد أن يماري في ذلك..

١٠٢٣ - خير أمة أخرجت للناس نزلت في ابن مسعود.

١٠٢٤ - خير أمة أخرجت للناس نزلت في معاذ بن جبل.

١٠٢٥ - خير أمة أخرجت للناس نزلت في سالم مولى أبي

حذيفة.

وفي مناسبة تفسير قوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) يذكر البعض تحت عنوان: مناسبة النزول، ما يلي:

«جاء في أسباب النزول - للواحدي -: قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وذلك أن مالك بن الضيف، ووهب بن يهوذا اليهوديين، قالوا لهم: إن ديننا خير مما تدعوننا إليه، ونحن خير وأفضل منكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية» (٢).

وقفه قصيرة:

ونقول:

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ٦ ص ٢١٢.

١ - قد ورد عن أهل البيت «عليهم السلام»: (١) أن هذه الآية قد نزلت في آل محمد «صلى الله عليه وآله» فراجع . فلماذا يتجاهل البعض هذه الروايات؟!

٢ - إن معاذ بن جبل كما يقول سليم بن قيس: كان من الذين كتبوا الصحيفة في إزالة الإمامة عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

وفي رجال البرقي في حديث يذكر فيه أن جمعاً أنكروا على أبي بكر تقدمه على علي «عليه السلام» قال: «وسل عمر سيفه في الجمعة المقبلة، وقال: يضرب عنق من قال مثل مقالتهم. ثم مضى هو وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبو عبيدة شاهرين سيوفهم، حتى أخرجوا أبا بكر، وأصعدوه المنبر» .

كما أنهم يذكرون: أن معاذ بن جبل قد كان في جملة المهاجمين لبيت فاطمة الزهراء «عليها السلام» بعد وفاة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» .

٣ - أما بالنسبة لسالم مولى أبي حذيفة، فقد تقدم قولهم.. إنه قد سل سيفه وذهب مع عمر، واستخرج أبا بكر، وأصعدوه المنبر، وذلك لإسكات الأصوات التي ارتفعت بالإعتراض على خلافته..

(١) راجع تفسير البرهان ج ١ ص ٣٠٩.

(٢) راجع قاموس الرجال ج ٩ ص ١١ و ١٢.

(٣) مأساة الزهراء ج ١ ص ٢٢٦.

كما أن بعض الروايات تقول: إن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: إن آية: (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِفُوكَ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)!! . قد نزلت فيه.

على أن قول عمر: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لوليتّه، أو ما جعلتها شوري، يوضح مكانة هذا الرجل عند عمر: خصوصاً إذا علمنا مدى شدة عمر في أمر الموالي، وكره قريش لهم.. ومع إجماعهم على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «الأئمة من قريش».

وروي: أنه هاجر مع عمر، بل قيل: إن النبي «صلى الله عليه وآله» وأخى بينه وبين أبي بكر .

٤ - وأما بالنسبة لابن مسعود: فقد قالوا: إن الفضل بن شاذان قال عنه: إنه «خلط، ووالى القوم، ومال معهم، وقال بهم» .

وقد جاءت من اليمن أو مكة صحيفة فيها أحاديث حسان في أهل البيت «عليهم السلام» إلى عبد الله بن مسعود، فدعا بطست فيه ماء، فمحاها .

(١) الآية ٥١ من سورة القلم.

(٢) راجع: قاموس الرجال ج ٤ ص ٢٩٨.

(٣) راجع قاموس الرجال ج ٦ ص ١٣٦ - ١٤٢.

(٤) تقييد العلم ص ٥٤ والسنة قبل التدوين ص ٣١٢ وراجع: غريب الحديث

لابن سلام ج ٤ ص ٤٨ وليس فيه: أن الأحاديث في أهل البيت «عليهم

وقد تكلم التستري في كتابه: قاموس الرجال ج ٦ ص ١٣٦ - ١٤٢ بصورة مسهبة عن أمر ابن مسعود، ولم يرتض ما ذكره في مدحه، وردّه، وفنّده، فراجع.

١٠٢٦ - الإمام الصادق «عليه السلام» يقدم مخدته لمالك بن أنس ليجلس عليها.

١٠٢٧ - الإمام الصادق «عليه السلام» يعرف قدراً لمالك بن أنس.

١٠٢٨ - الإمام الصادق «عليه السلام» يفيض بمشاعر الحب لمالك بن أنس.

١٠٢٩ - علم مالك وخلقهما سبب حب الإمام «عليه السلام» له.

ويقول البعض، تحت عنوان:

«الإفاضة بمشاعر الحب: ونكتفي بشهادة أحد أئمة المذاهب آنذاك، وهو (مالك بن أنس) الذي كان يجلس إلى الإمام الصادق «عليه السلام»، وكان يتحدث عنه فيقول:

كنت أدخل إلى الصادق جعفر بن محمد: فيقدم لي مخدته، ويعرف لي قدراً - لأن مالك بن أنس كان من فقهاء السنة، ومن أئمة مذاهبهم - ويقول: (يا مالك، إني أحبك)، فكنت أسر بذلك - حيث كان

الإمام «عليه السلام» يفيض بمشاعر الحب، حتى للذي يختلف معه في الخط المذهبي، على أساس أنه يحب علمه وخلقه - وأحمد الله عليه»^(١).

وقفة قصيرة:

إننا نسجل بعض النقاط، ونترك بعضها الآخر لإفساح المجال أمام القاريء الكريم ليتلمس الحقيقة بنفسه، فنقول:

١ - إن هذا البعض لا يقبل في غير الأحكام الشرعية بالخبر الواحد، ولا المستفيض بل يشترط القطع واليقين في التاريخ والتفسير، وفي مواصفات الأشخاص.. وفي كل شيء..
فهل هذا الخبر الذي ينقله لنا متواتر؟! أو قطعي؟! وكيف؟! علماً أنه لا بد من حصول التواتر وتأكيد اليقين في جميع مراتب السند وطبقاته.

٢ - وتتأكد الشبهة والتهمة حول هذا الخبر إذا كان راوي الحديث يريد أن يثبت لنفسه فضلاً وامتيازاً، فإن شهادة الإنسان لنفسه غير مقبولة، كما هو معلوم، ولعله يريد من خلال ذلك أن يفتح نافذة على أصحاب الإمام لجذبهم إلى خطه..

٣ - إن من الواضح: أن الإمام الصادق «عليه السلام» كان يعتبر

(١) بيانات بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٤٢١هـ - الموافق ٢٣ حزيران ٢٠٠٠م نص خطبة الجمعة.

مالكاً وغيره من أئمة المذاهب مخطئين في خطهم المذهبي، ولا شك في أنه «عليه السلام» كان قد أقام الحجة عليهم في إمامته.. ولكنهم قد أصرّوا على الخلاف؛ فهل يمكن بعد هذا كله أن يحبهم، أو أن «يفيض بمشاعر الحب» لهم.

٤ - لنفترض صحة مقولة حبه «عليه السلام» لمالك بن أنس، فمن أين علم هذا البعض: أن حبه له كان لأجل علمه، ولأجل خلقه، فلعله أحبه لأجل موقف سياسي اتخذه أو لأجل حادثة جرت اتخذ فيها مالك جانب الحق لأكثر من سبب.

٥ - ومن الذي قال إن ما فعله أو قاله الإمام لو صح أنه فعله، أو قاله لم يأت على سبيل التقية والمداراة للسلطان وأعوانه، حيث كان مالك يعمل مع السلطان من دون أي تحفظ.

الفصل الثاني

إعتقادات.. لا مبرر لها..

ما في هذا الفصل؟!

ما نقدمه إلى القارئ في هذا الفصل ذو ألوان مختلفة، فبعضه يدخل في علوم القرآن، وبعضه تاريخي، وبعضه يرتبط بالعقائد، وبعضه أغلاط فاضحة وواضحة.. وغير ذلك، وهو على العموم يظهر أنه لا مجال للإعتداد بما يراد الترويج له، من أن ثمة درجة من الدقة والتحقيق والإطلاع وما إلى ذلك، ما دام أن ذلك لم يثبت بالأرقام وبالأدلة والشواهد.

فنقول:

١٠٣٠ - المعصوم يخطئ في الترجمة.

١٠٣١ - تعبير المعصوم ليس دقيقاً.

١٠٣٢ - الأحاديث القدسية مترجمة.

يقول البعض عن الأحاديث القدسية:

«لعلها هي الأحاديث تمثل ما كان ينزل على الأنبياء السابقين، ونقل عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وعن الأئمة «عليهم السلام»..»

ثم يقول عن الحديث القدسي: «عبدى أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون»:

«إن الأحاديث القدسية قد تكون منطلقة مما بقي لنا من الكتب السابقة، إمّا من الكتب التي بقي لنا بعضها، كالإنجيل، والتوراة، وإمّا من الكتب التي لم تبق لنا في كيانها الكتابي، مثل صحف إبراهيم «عليه السلام»، أو ما يقال عن صحف إدريس «عليه السلام»، وما إلى ذلك.

ومن الطبيعي أنّ هذه الأحاديث على تقدير صحتها، ترجمت من اللغة الأصلية التي نزلت بها إلى اللغة العربية، وقد لا تكون الترجمة دقيقة في الكثير من الحالات، لأن المترجم قد ينقل معنى الكلمة في اللغة، ولكن من الصعب أن ينقل أجواء اللغة، فكل لغة أجوائها، ولكل لغة إحياءاتها وطريقتها في التعبير، ولذلك من الصعب جدًا أن نجد ترجمة دقيقة لأي أثر فكري، سواء كان دينيا أو غير ديني.

معنى الحديث:

وفيما أفهمه من هذا الحديث، فإن الله، يقول للإنسان، أطعني، فأنت إذا أطعنتي، قربت إليّ، وإذا قربت إليّ كنت مهيبًا، لأن أعطيك ما تريد، فأنا على كل شيء قدير.. ومن الممكن أن أجعلك تقول

للشيء: كن فيكون، كما جعلت ذلك لعيسى «عليه السلام»، عندما أبرأ الأكمه، وشفى الأبرص، وأحى الميت، ولكن ليس معنى ذلك أن الطاعة تستلزم هذه القدرة وليس كل من أطاع الله حصل على هذه القدرة، ولكنها قد تكون كناية على أن الإنسان، إذا أطاع الله كما يجب أن يطيعه في قدرته، كان وليا لله، ومن كان وليا لله فإن الله يمكن أن يعطيه القدرة التي يستطيع من خلالها أن يقول للشيء: كن فيكون... وليس من الضروري أن يكون تعبير «مثلي» دقيقاً، لأن الإنسان - وحتى الأنبياء - عندما يمارسون القدرة، فإنما يمارسونها بإذن الله (١) (وَأَبْرَأُ الْاَكْمَةَ وَالْاَبْرَصَ وَأَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) ، فالله تعالى ليس كمثله شيء، لذلك كلمة «مثلي» ليست دقيقة، وأظن أنها تحمل خلافاً في الترجمة» .

ويقول عند سؤاله أيضاً:

س: ما هو رأيكم في الحديث القدسي المشهور: «عبدني أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون»؟!

ج: فيما أفهمه من هذا الحديث، فإن الله يقول للإنسان: أطعني، فإنك إذا أطعنتني قربت إلي، وإذا قربت إلي كنت مهيباً لأن أعطيك ما تريد، فأنا على كل شيء قدير، ومن الممكن أن أجعلك تقول للشيء

(١) الآية ٤٩ من سورة آل عمران.

(٢) الإنسان والحياة ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

كن فيكون، كما جعلت ذلك لعيسى «عليه السلام» عندما كان يبرئ الأكمه والأعمى بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله.. فمن الممكن جداً أن الطاعة تستلزم ذلك أي الحصول على هذه القدرة، ولكنها قد تكون كناية عن أن الإنسان يجب أن يطيع الله كما أطاعه بقدرته «كن ولياً لله» ومن كان ولياً فإن الله يمكن أن يعطيه القدرة التي يستطيع بواسطتها أن يقول للشيء كن فيكون، لكن ليس من الضروري أن يكون تعبير «مثلي» دقيقاً لأنه عندما يمارسون ذلك فانهم يمارسونه بإذن الله (وَأَبْرَأُ الْإِكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيِي الْمَوْتَى) بِإِذْنِ اللَّهِ ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ، لذلك فكلمة مثلي ليست دقيقة .

وواضح: أنه لا معنى لادعاء الخطأ في الترجمة إذا كان الحديث قد قاله المعصوم. لأن المعصوم إنما ينقل الحديث الصافي والمبرأ والسالم عن أي عيب أو خطأ. ولا ينقل الخطأ على أنه الحقيقة، ولأن المعصوم ليس صحفياً يأخذ من الكتب.

١٠٣٣ - الأحاديث القدسية هي ما كان ينزل على الأنبياء السابقين ونقلها المعصومون عنهم.

سئل البعض:

(١) الآية ٤٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى.

(٣) الندوة ج ١ ص ٣٥٣.

ما هي الأحاديث القدسية؟!

فأجاب:

«الأحاديث القدسية لعلها هي الأحاديث التي تمثل ما كان ينزل على الأنبياء السابقين، ونقل عن النبي (١) «صلى الله عليه وآله»، وعن الأئمة «عليهم السلام» الظاهر هكذا» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

١ - بل الأحاديث القدسية هي تلك التي رواها المعصوم على أنها من كلام الله سبحانه، ولكنها ليست من القرآن، وذلك مثل ما روي من قوله تعالى: «عبدني أطعني تكن مثلي، تقول للشيء كن، فيكون..» وليس بالضرورة أن تكون قد نزلت على نبي سابق.

٢ - ونذكر القاريء أن هذا البعض ذكر: «بأن الأحاديث القدسية هي ترجمات عن اللغات الأخرى، وقد احتمل أن تكون تلك الترجمات غير دقيقة» (٢) . فراجع ما تقدم.

١٠٣٤ - كذب الوقيتون: تشمل أحاديث الأئمة!!!

١٠٣٥ - كذب الوقيتون: تشمل مدة حياة الإمام «عليه السلام»

بعد خروجه.

(١) الموسم: العددان ٢١ و ٢٢ سنة ١٩٩٥ ص ٣١٥.

(٢) راجع: الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٢١٦.

ويسأل البعض عن مدة حياة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) بعد ظهوره:

وما رأيكم في الروايات، مثلاً تقول: يعيش ٤٠ سنة، أو ٧ سنوات؟!

فيجيب:

(١)

«كذب الوقتون» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

١ - الظاهر أن هذا البعض يستند إلى رواية كذب الوقتون، التي جاءت للرد على من يوقت خروج الإمام «عليهم السلام».

مع أن السؤال الموجه إليه هو عن الروايات التي تتحدث عن مدة بقائه «عليه السلام» بعد خروجه، ولا ارتباط لها بتوقيت الخروج..

٢ - أما لو كان لا يستند إلى هذه الرواية، فإن الأمر يصبح أقبح حيث إنه يبادر إلى تكذيب ما يروى عن أهل البيت «عليهم السلام» بهذه الطريقة الجافة، والمهينة.

ومن الواضح: أن السؤال هو عن الروايات التي تحدد الوقت، والروايات إذا كانت صادرة عنهم «عليهم السلام»، فإن كلامهم هو المعيار والميزان فلا يصح اعتبارهم من الذين يكذبون، العياذ بالله.

وأما رواية: «كذب الوقاتون» فهي موجهة لغيرهم ممن يقولون بغير علم، ويملاؤون أسماع الناس بما هو مجرد تخرّص ورجم بالغيب..

وبعبارة أوضح وأصرح: إذا كان الأئمة «عليهم السلام» قد ذكروا - بالفعل - مدة معينة يعيشها الإمام «عليه السلام» بعد خروجه، وفرض أن هذا من التوقيت، فهل يكون كلامهم «عليهم السلام» كذباً، ليقال كذب الوقاتون؟! أم أن اللازم هو البحث للتأكد من صدور الروايات عنهم، ومدى إمكان الإعتماد عليها؟!.

١٠٣٦ - لا فضل للملائكة في فعل الخير.

١٠٣٧ - الملائكة يمارسون الخير تكويناً.

١٠٣٨ - النوع الإنساني هو المستخلف.

يقول البعض:

«وبهذا انطلقت مسؤولية الإنسان للقيام بدوره بالإنسجام بين طبيعة الحياة وبين إرادة الله، وتسخير القوى التي بين يديه في سبيل الخير لا في سبيل الشر.

وهذا ما يرفعه إلى المستوى الكبير لدى الله، فيكون أفضل من الملائكة الذين يمارسون الخير بشكل تكويني، فلا فضل لهم في ذلك»^(١).

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١ ص ٢٣.

ثم يذكر أن الذي جعله الله خليفة في الأرض هو:

«النوع الإنساني، لأن آدم الشخص، محدود بفترة زمنية معينة، ينتهي عمره بانتهائها، فكيف يمكنه القيام بهذا الدور الكبير الذي يشمل الأرض كلها ويتسع لكل هذه المرحلة الممتدة. هذا أولاً.

وثانياً: إن الملائكة قد وصفوا هذا الخليفة بأنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء. وهذا الوصف لا ينطبق على آدم بل ينطبق على بعض الجماعات التي يتمثل فيها النوع الإنساني في مدى الحياة» .

وقفة قصيرة:

ونلاحظ هنا:

١ - إن كلامه يعني: أن الأنبياء والأوصياء لا فضل لهم فيما يمارسونه من فعل الخير.. لأن هذا البعض يقول: إن العصمة إجبارية.. إما مطلقاً، وإما في خصوص ترك المعاصي، حيث اختلفت أقاويله في هذا المجال..

ومن المعلوم: أنه حين تكون العصمة إجبارية، فإنهم يؤدون الواجبات، ويمتنعون عن المعاصي، بشكل تكويني، لأنهم لا يقدرّون على ترك تلك، ولا على فعل هذه، لأن ترك الواجب معصية لا يقدر عليها المعصوم، فلا فضل للمعصوم إذن لا في هذا ولا في ذاك، وفقاً لمقولات هذا البعض.

٢ - إن الملائكة، وإن كانوا لا يعيشون الشهوات، كما يعيشها الإنسان، ولكنهم لا يمارسون الخير بشكل تكويني، كما يقول هذا البعض بل هم خلق مختارون يمارسون الخير بملء إرادتهم.

وقد يختارون الاستزادة فيه، فترتفع بذلك مقاماتهم، ويزيد فضلهم، ولأجل ذلك كان بعضهم أفضل من بعض وأكرم، ولجبريل فضله العظيم فيهم، والمراجع للروايات الكثيرة جدا يجد صحة ما ذكرناه.

٣ - من أين علم هذا البعض أن الملائكة يمارسون الخير بشكل تكويني، فلا فضل لهم فيه.. إن ذلك يحتاج إلى القطع واليقين، لأنه يرتبط بحقائق المخلوقات.. وهذا البعض يشترط القطع واليقين في كل ما عدا الأحكام الشرعية..

ويزيد الأمر إلحاحاً في مثل هذا المورد، الذي لا يحصل إلا بالإخبار عن الله سبحانه عن طريق النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليه السلام».

٤ - أما بالنسبة لاستخلاف النوع الإنساني أو آدم. فإنه قد استظهر أنه النوع الإنساني.. رغم وجود روايات عن الأئمة الطاهرين «عليهم السلام» تصرح بأن المقصود هو خصوص آدم «عليه السلام»..

٥ - إن ما استدل به على أن المقصود هو النوع الإنساني لا يصلح لإثبات ذلك..

فأولاً: إن وصف الملائكة للخليفة بأنه يفسد في الأرض ويسفك

الدماء، إنما هو استنتاج منهم - فقد روى هذا البعض نفسه رواية عن العياشي تقول: «إنهم قاسوه على من سبقه من الذين استخلفهم الله في الأرض، فأفسدوا فيها»، ولم يكونوا على معرفة بنبوة آدم «عليه السلام»، لينزهوه عن الإفساد وسفك الدماء.. فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: «مَا عَلَّمَ الْمَلَائِكَةُ بِقَوْلِهِمْ: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) (١) لَوْلَا أَنَّهُمْ كَانُوا رَأَوْا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» (٢).

ثانياً: إن الله سبحانه لم يخبرهم بعدد من يستخلفه، فلم يقل لهم: هل هو واحد شخصي أو نوعي، أو جماعة أو غير ذلك.. وذلك يدل على أن الملائكة قد فهموا ما فهموه من عند انفسهم بحسب ما استخلصوه من أمور عرفوها سابقاً واستنبطوا منها أو قاسوا عليها.. وقد أظهر الله لهم أن ما فكروا فيه لم يكن صواباً..

ثالثاً: إن ما ذكره من أن آدم شخص محدود لا يمكنه القيام بهذا الدور الكبير إنما يدخل في دائرة الاستحسانات التي لا محل لها.. فإن الخليفة الحقيقي لله - إن كان المقصود بالخليفة - الخليفة لله - هو آدم «عليه السلام»، وليس أحداً من العصاة والكفرة والجبارين.. فإن هؤلاء يفسدون في الأرض ولا يمثلون خلافة الله..

(١) الآية ٣٠ من سورة البقرة.

(٢) من وحي القرآن ج ١ ص ٢٢٩.

إذ ليس المقصود بالخلافة هو التجارة والصناعة والزراعة وبناء القصور والدور.. وإنما معنى أسمى من ذلك وهو تجسيد إرادة الله سبحانه على الأرض، وإعمارها بالإيمان والتقوى والعمل الصالح. كما عمرها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعمرها سائر أنبياء الله وأوصيائه رسله..

رابعاً: لو كان المراد إعمار الأرض كلها كما ذكر هذا البعض، فالسؤال هو: متى تحقق هذا الإعمار للأرض كلها يا ترى، بالطريقة التي قررها هذا البعض؟! .

١٠٣٩ - مضاعفة الثواب تفضلاً دليل على أن أصل المثوبة تفضل أيضاً!

١٠٤٠ - البعض ينسب إلى العلماء ما لا يقولون به في موضوع الجزاء.

يقول البعض:

«هل الإحسان الإلهي تفضل أو استحقاق:

وقد أفاض علماء الكلام الحديث حول الإحسان الإلهي لعباده المؤمنين المتقين، هل هو تفضل أو استحقاق، ولكن هذا البحث غير دقيق لأن الذي يقول بالاستحقاق، يقصد به الاستحقاق من خلال تفضل الله عليهم بوعده لهم بالمثوبة والإحسان وقد جاء عن الإمام

علي «عليه السلام» لو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده، ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم^(١) عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله» .

وقفة قصيرة:

١ - إن الرواية التي استدلت بها على مقصوده - من كون أصل المثوبة تفضلاً - تقول: جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً الخ..

ومن الواضح: أن الثواب الذي يثبت بالاستحقاق هو الثواب المقرر من الأساس، فإذا ضاعف الله الثواب، وزاد فيه ؛ فإن هذه الزيادة تكون تفضلاً منه تعالى وكرماً.

وليس في الرواية أن أصل الاستحقاق، قد نشأ عن تفضل الله سبحانه وتعالى على العباد بجعل أصل المثوبة لهم، ووعدهم بها.

٢ - إن هذا الرجل قد نسب إلى علماء الكلام مقولة مفادها: أن مقصود القائل بالاستحقاق هو الاستحقاق من خلال تفضل الله عليهم بوعده لهم بالمثوبة والإحسان.

وهذه النسبة غير صحيحة قطعاً، ولعله استعار ذلك من البلخي

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٢١ ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

الذي يقول: إن الثواب على الطاعة إنما هو بالتفضل لا بالاستحقاق، و قد رد العلماء مقولة البلخي هذه بأن: الطاعة مشقة ألزم الله العبد بها؛ فإن لم يكن لغرض كان ظلماً وعبثاً، وهو قبيح لا يصدر من الحكيم، وإن كان لغرض، فإن كان عائداً إليه تعالى فهو باطل لغناه، وإن كان عائداً إلى المكلف، فإن كان هذا الغرض هو الإضرار به كان ظلماً قبيحاً، وإن كان هو النفع له، فإن كان يصح أن يبتدئ الله به العبد، فيكون التكليف حينئذ عبثاً، وإن كان لا يصح الابتداء به بل يحتاج إلى تكليف ليستحق أن يحصل على ذلك النفع فهو المطلوب. فالنتيجة إذن هي: أن الثواب بالاستحقاق لا بالتفضل.

وأما قول البلخي، فهو باطل من الأساس، لأنه يستند فيما ذهب إليه إلى أن التكاليف إنما وجبت شكراً للنعمة، فلا يستحق بسببها مثوبة، فالثواب تفضل منه تعالى.

ولا شك في عدم صحة هذا القول، إذ إن الكلام إنما هو في مرحلة الحسن والقبح، ويقبح عند العقلاء أن ينعم شخص على غيره، ثم يكلفه ويوجب عليه شكره من دون إيصال ثواب على هذا التكليف فإنهم يعدون ذلك نقصاً، وينسبونه إلى حب الجاه والرياسة، ونحو ذلك من المعاني القبيحة التي لا تصدر من الحكيم؛ فوجب القول باستحقاق الثواب.

غاية ما هناك أنه يمكن أن يقال، وإن كان ذلك لا يلائم كلام البلخي أيضاً بل هو أيضاً ينقضه ويدفعه: إنه وإن كانت مالكية الله

سبحانه لكل شيء تجعله، متفضلاً في تقرير أصل المثوبة لمملوكيه على أفعالهم، ولكنه بعد أن قرر لهم ذلك بعنوان الجزاء، وتفضل عليهم في زيادة مقاديره، حتى لقد جعل الحسنة بعشرة أمثالها، أو بسبع مائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء وبعد أن دخل ذلك في دائرة القرار، وأصبح قانوناً إلهياً مجعولاً، فقد دخل في دائرة الاستحقاق بعد أن لم يكن ولأجل ذلك لم يجز في حكم العقل أن يعطي الله للعاصي، ويمنع المطيع، ولو كانت المثوبة من باب التفضل لجاز ذلك.

وهذا نظير ما لو قرر رجل أن يجعل لولده جائزة على نجاحه في الامتحان في مدرسته، فإذا نجح الولد فسيطالب أباه بالجائزة ويرى أنه مظلوم ومهان لو لم يعطه إياها، فضلاً عن أن يعطيها لأخيه (١) الراسب .

١٠٤١ - آيات الخلود في النار تدل على الاستحقاق لا الفعلية.

١٠٤٢ - الإسلام قد يكون سبباً في العفو، فلا يخلد المسلم في

النار.

وحول تفسير قوله تعالى:

(وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا)

(١) راجع مأساة الزهراء ج ١ ص ٦٣ - ٦٤.

(١)

وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ .

يقول البعض:

«ربما توحى هذه الآية - كغيرها من الآيات التي تتحدث عن عذاب المتعدي لحدود الله في أجواء المعصية - بخلود العاصي في النار، وإن المسلم يمكن أن يخلد في النار بفعل معصيته.

وهذا ما استدل به القائلون بأن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة مخلد في النار، ومعاقب فيها لا محالة - كما جاء في مجمع البيان...».

وبعد أن ذكر بعض المناقشات في ذلك قال:

«ولكن من الممكن أن تكون هذه الآية، وأمثالها واردة على سبيل تحديد الاستحقاق للعذاب الخالد، لا على بيان الفعلية، فلا تنافي ما دل على عدم خلود المسلم في النار، لأن إسلامه قد يكون سبباً في العفو الإلهي عنه...» .

وقفة قصيرة:**ونقول:**

١ - لقد قال الله سبحانه في كتابه الكريم (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فِجْرَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) ، وهذا الحكم لا يختص بالكافر القاتل بل

(١) الآية ١٤ من سورة النساء.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ٧ ص ١٣١ و ١٣٢.

(٣) الآية ٩٣ من سورة النساء.

يشمل المسلم إذا قتل مؤمناً أيضاً.

٢ - إن الذي قتل علياً أمير المؤمنين «عليه السلام»، والذين قتلوا الحسين «عليه السلام» وأهل بيته وأطفاله، وأصحابه، كانوا يتظاهرون بالإسلام، فهل يحكم هذا البعض لهم وليزيد بعدم فعلية خلودهم في النار وأن إسلامهم قد يكون سبباً في العفو الإلهي عنهم؟! ١٠٤٣ - الصراط أمر رمزي.

١٠٤٤ - اللوح المحفوظ أيضاً قد يكون رمزيًا.

يقول البعض:

«والظاهر: أن الكلمة لا تعبر عن شيء مادي، فلم يرد في القرآن الحديث عن الصراط إلا بالطريق أو الخط الذي يعبر عن المنهج الذي يسلكه الإنسان إلى غاياته الخيرة أو الشريرة في الحياة، وبذلك يكون الحديث عن الدقة في تصوير الصراط في الآخرة كناية عن الدقة في التمييز بين خط الاستقامة وخط الانحراف، فمن استطاع أن يعرف الحدّ الفاصل بينهما وأخذ بالحق الخالص من الباطل سار إلى الجنة ومن اختلف عليه الأمر وأخذ بالباطل سار إلى النار، ومن خلال ذلك يطلق على الأنبياء والأولياء كلمة الصراط المستقيم باعتبار أن خطهم هو الخط المستقيم الذي أنعم الله على السائرين عليه في مقابل الخط المنحرف الذي غضب الله على السائرين عليه من المتمردين

(١)

والضالين» .

ويُسأل هذا البعض:

ما معنى قوله «صلى الله عليه وآله»: «الصراط أحد من السيف وأدق من الشعرة»؟! .

فيجيب:

«لو صحّ هذا الحديث فالمقصود قد لا يكون الجانب الماديّ طبعاً، فالإنسان عندما يمشي على الصراط المستقيم مع كل هذه الإلتواءات والانحرافات يكون مسيره دقيقاً جداً كدقة الشعرة وكحد السيف لأنه إذا لم يكن دقيقاً فلا يمكنه أن يعرف أو يتفهم الفرق بين الخط المنحرف والخط المستقيم فيقع في الهاوية وهذا كناية عن ذلك وهناك من يحمّله على الواقع المادي بحيث يكون هناك خيط طويل أحد من السيف وأدق من الشعرة فمن كان مؤمناً سار عليه بشكل طبيعي ومن لم يكن مؤمناً اهتز ووقع في النار، والله العالم» .

وقال في أجوبته على المرجع الديني الشيخ التبريزي:

«ليس القول بأن الصراط أمر رمزي قولاً بغير علم، بل هو ناشئ من الاستفادة من الآيات القرآنية، مع الأخذ بعين الاعتبار المقارنة مع الروايات التي ترد على نحو الاستعارة، لا على النحو

(١) المعارج المجلد السادس السنة الثامنة ص ٣٦٨.

(٢) الندوة ج ١ ص ٣٨٢.

(١)

المطابق، الذي يلحظ فيه المعنى الحقيقي» .

ويقول عن اللوح المحفوظ:

(٢)

«ربّما تكون الكلمة رمزاً لما عند الله سبحانه..» .

ونقول:

كنا نتمنى أن يذكر لنا تلك الآيات والروايات التي استفاد منها رمزيّة الصراط، وكيف؟!.. وكنا نتمنى أن لا يفتح باب الرمزيّة على مصراعيه، لأن ذلك قد يطال الكثير من المفردات الدينية والإيمانية، خصوصاً ما يتعلق منها بالغيب وكل ما هو غيبي، ومن جملة ذلك ما يرتبط بالآخرة.. والجنة والنار، وما إلى ذلك.

١٠٤٥ - المنطقة الجغرافية للعرش.

وحين يصل الأمر إلى ذكر (العرش) نجد أن البعض لا يبادر إلى اعتباره أمراً رمزيّاً كما فعل بالنسبة إلى الصراط المؤدي إلى الجنة يوم القيامة، بل اتخذ موقفاً آخر.. يقترب تارة، ويبتعد أخرى.. قد جاء في ضمن سؤال وجواب ما يلي:

«س: ما المقصود بالعرش، وأين هو؟!»

ج: طبعاً هناك قول بأن المراد من العرش هو منطقة من مناطق

(١) أجوبة البعض على فتاوى المرجع الديني الشيخ التبريزي، الجواب رقم

السماء، وهناك قول بان المراد من العرش إنما هو أعلى مرتبة، يعني له جانب معنوي أكثر من جانب مادي.

أما أين هو؟! طبعاً، ليس عندنا جغرافية السماء، حتى نعرف المنطقة الجغرافية التي يقع فيها العرش» .

ويقول عن العرش أيضاً:

(٢)

«هو منطقة من المناطق التي تمثل أعلى منطقة» .

فالعرش إذن هو منطقة جغرافية، فهل يمكن تفسير (استواء الله) في قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) .. بالجلوس، أو بالكينونة في تلك المنطقة، أو عليها؟!

مع أنه من الواضح عند علمائنا الأبرار كافة: أن المقصود بآية: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، مقام القدرة والهيمنة الإلهية.

١٠٤٦ - التأليه للملائكة بسبب الأحاديث الدينية عن أوضاعها وأسرارها.

١٠٤٧ - التأليه للملائكة بسبب الأحاديث الدينية عن طاقاتها وقدراتها.

يقول البعض:

«لقد حدث في التاريخ الديني القديم أن بعض الناس قد تطرفوا

(١) مجلة الموسم عدد ٢١ - ٢٢ ص ٢٥٠.

(٢) للإنسان والحياة ص ٣٠١.

في تعظيم الأنبياء الذين كانوا يملكون طاقات روحية كبيرة، وينطلقون في حياة الناس من خلال الدور العظيم الذي أوكل الله إليهم القيام به، مما استلزم صدور المعجزات على أيديهم لمواجهة التحدي الذي كان يواجه إليهم من قبل الكافرين، ولإثبات علاقتهم بالله من خلال النبوة فنشأ من بعدهم جماعة يؤلهونهم وينسبون إليهم صفات الربوبية من خلال ما يدّعون له من أسرار خفية في طاقاتهم ترتفع بهم إلى هذا المستوى، كما حدث ذلك بالنسبة إلى عيسى «عليه السلام» في ظاهرة التآليه والغلو التي امتدت إلى وقتنا هذا في ما يعتقد النصارى من فكر المسيح - الإله.

وقد حدثت ظاهرة أخرى للتآليه، وهي ما كان متعارفا لدى بعض العرب أو غيرهم من تأليه الملائكة، وذلك من خلال الأحاديث الدينية التي تتحدث عن طاقاتهم الخارقة، وقدراتهم الكبيرة في أوضاعهم وأشكالهم، وأسرارهم» .

ونقول:

١ - إن من غير المعقول أن يلقي اللوم على الأحاديث الدينية التي تتحدث عن الملائكة، وتبين للناس بعض الحقائق عنهم، واعتبارها هي سبب وقوع الناس في هذا الامر العظيم.

فإن بيان الحقيقة فيما يتعلق بالملائكة لا يمثل غلواً وإرتفاعاً إذ إن

حقيقة الملك، وإن كانت ربما يجد بعض الناس فيها نوعاً من الغرابة، ولكن ذلك لا يبرر لهم الغلو بهم وتأليههم وعبادتهم.

فإذا حصل وانحرف بعضهم في هذا الإتجاه، فإنه يكون بسبب تقصيره هو، ولا ربط لذلك بالدين.. إذ إن الدين حينما يتحدث عن هذه المخلوقات إنما يهدف إلى الإرتفاع بمستوى الوعي لدى الناس، وتحصينهم من الوقوع في أمثال هذه الإنحرافات وتعريفهم بالله وبقدرته وبمخلوقاته..

٢ - وهل يمكن أن نوجه اللوم إلى علي «عليه السلام» لأن بعض الناس قد غلوا فيه وألهوه؟!

الفصل الثالث

حتى لا يعتب إبليس..



١٠٤٨ - طبيعة التشريع لا تمنع من وجود سلبيات مع الإيجابيات.

١٠٤٩ - الإعتراف بسلبيات التشريع قوة لنا ومأزق للآخرين..

١٠٥٠ - الدعاة يخرجون حين يجدون صحة نقد الكافرين للتشريعات أو المفاهيم الإسلامية.

١٠٥١ - ليس هناك فعل يكون خيراً كله.

١٠٥٢ - ليس هناك خير لا شرّ فيه.

١٠٥٣ - لا بد من السلبيات على كل حال.

١٠٥٤ - لا يوجد شر لا خير فيه.

١٠٥٥ - إعترافنا بوجود سلبيات في التشريع لا يسقطه.

١٠٥٦ - إعترافنا بالسلبيات في المفهوم الإسلامي لا يسقطه.

١٠٥٧ - إذا تحدثنا عن السلبيات في التشريع نتفادى الكثير من المآزق.

١٠٥٨ - إعترافنا بالسلبيات نتفادى به ضعف الموقف.

يقول البعض:

«وهذه الآية توحى بفكرة عامة، وهي أنه ليس هناك إيجاب

مطلق أو سلب مطلق في الحياة، لأن كل ما في الكون من موجودات وأفعال هو محدود بحدوده الذاتية والزمانية والمكانية. والله - وحده - هو المطلق، لذلك ليس هناك خير لا شر فيه، ولا شر لا خير فيه فقد يختزن الخير بعض الشر في ذاته، وقد يختزن الشر بعض الخير في مورده، لأن طبيعة الحدود تفرض ذلك ؛ فتكون خيرية الشيء برجحان جانب الخير فيه كما تكون غلبة الشر برجحان جانب الشر فيه، ولا قيمة للعنصر المغلوب أو الضعيف هنا في مسألة التشريع.

إن هذه النقطة لا بد من التركيز عليها في ما يواجهه المسلمون من النقد، الذي قد يوجهه الكافرون من إثارة النقاط السلبية في بعض المفاهيم أو التشريعات الإسلامية، مما قد يجعل الدعاة والمبلغين في موقف حرج شديد الصعوبة، عندما يجدون صحة هذا النقد في واقع الإسلام في مفاهيمه وأحكامه، ولكننا - أمام الملاحظة المذكورة نجد أن اعترافنا بوجود السلبيات في التشريع أو في المفهوم الإسلامي، لا يعني سقوط التشريع أو خطأ المفهوم، لأن ذلك يمثل واقع الحياة في كل حقائقها الفكرية أو العملية؛ ولذلك فإن علينا مواجهة المسألة بالحديث عن الإيجابيات الكامنة في داخل الحقيقة الإسلامية، مع غلبة هذا الجانب الإيجابي السلبي. وبهذا نتفادى الكثير من المآزق الجدلية ومن ضعف الموقف، لنحوه إلى مآزق للآخرين، وإلى موقع قوة

يرتكز على النظرة العلمية الموضوعية للأشياء والمواقف» .

ويقول:

«لا بد أن نشير في هذا المجال إلى أن طبيعة التشريع لا تمنع من وجود سلبيات إلى جانب الإيجابيات، لأنه ليس هناك فعل يكون خيراً كله، أو شراً كله، بل هناك خير يصاحب بعض الشر أو شر يصاحب بعض الخير. مما يجعل القضية في جانب الوجوب أو الحلية خاضعة لزيادة جانب الخير على جانب الشر. أما في طرف التحريم، فيخضع للعكس وهو غلبة جانب الشر على جانب الخير.. فلا بد من السلبيات على كل حال، ولكنها تختلف شدة وضعفاً وزيادةً ونقيصة، تبعاً لطبيعة الموضوع في أجواء التشريع» .

وقفه قصيرة:

ونقول:

١ - إن هذا البعض يقول: إنه لا يوجد شر لا خير فيه.. فهل تراه يجد في قتل الانبياء، وفي الشرك والكفر، وقطيعة الرحم.. وفي الظلم وهو الذي لا شك في قبحه الذاتي، وما إلى ذلك.. هل يجد في ذلك كله شيئاً من الخير؟!!

وهل يجد في الإيمان بالله، وفي عبادته تعالى، وفي الصلاة،

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ٤ ص ٢٢٩.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٥ ص ١١٦ و ١١٧.

وإنقاذ الغريق. ومعونة الضعفاء ونشر دين الله، وتوحيد الله، وما إلى ذلك.. هل يجد في ذلك أثراً للشر؟!!

وأي شر يجده هذا البعض في حب الله، وفي طاعته، والإلتزام بأوامره، والإنزجار بزواجه؟!!

و في حب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفي طاعة الرسول، وفي حب الوصي، والإمام، وفي طاعة الوصي والإمام.. وفي حب الحق والإلتزام به.

٢ - إن ظاهر كلام هذا البعض يعطينا: أن الدافع له إلى إطلاق هذه المقولات هو أن الدعاة والمبلغين - على حد تعبيره - يجدون أنفسهم في موقف حرج شديد الصعوبة.. حين يعجزون عن الإجابة على النقد الموجه إلى الإسلام في مفاهيمه، وأحكامه..

فكانت هذه المقولات التي أطلقها هذا البعض هنا وهناك بمثابة إعلان الاستسلام، والعجز عن الإجابة على شبهات الكافرين والملحدين.. ولكن هذا البعض لا يريد أن يدفع من جيبه ولا من جيب بعض المبلغين والدعاة فاتورة قصورهم، وجهلهم، وعجزهم هذا.. فعدوا على الإسلام نفسه ليدفعوا هذه الفاتورة من جيب الإسلام، وليتحمل الإسلام هذه الخسارة العظمى لكي تحفظ شخصية ذلك المبلغ و الدّاعية العاجز والضعيف، ويبقى لها لمعانها ووهجها.. وتألقها.. وذلك حين يتفادى الكثير من المآزق الجدلية وضعف الموقف!! ويحوّله إلى مآزق للآخرين!!

يا سبحان الله!! ما هذه الدعوى يا هؤلاء الدعاة؟!

٣ - إن قول هذا البعض:

«لا بد من السلبيات على كل حال..».

وقوله:

«ليس هناك فعل يكون خيراً كله أو شراً كله الخ..».

نفي قاطع وشامل.. ومن الطبيعي أن هذا النفي يحتاج إلى دليل.
كما أن الإثبات - إثبات السلبيات على كل حال - يحتاج إلى دليل.. وفقاً
لما قرره هذا البعض نفسه، وقد أشرنا إليه أكثر من مرة..

ولم يثبت لدينا بعد، أن الله سبحانه قد أطلعه على غيبه، لكي نقبل
منه هذا النفي وذلك الإثبات بمجرد دعواه. ودون أن يقدم لنا أي دليل
على ما يقول. وأتى له ذلك.

١٠٥٩ - نظام الإسلام نفعه أكثر من ضرره.

١٠٦٠ - لا يستطيع الإنسان الوصول إلى نظام لا سلبيات فيه.

١٠٦١ - سلبيات الزنا تتقدم على سلبيات الزواج. «أو فقل:

إيجابيات الزواج تتفوق على إيجابيات الزنى».

١٠٦٢ - سلبيات نظام الزواج أقل من إيجابياته.

يقول البعض:

«..وإذا أردنا أن ندخل في المقارنة بين السلبيات و الإيجابيات،

فسنجد إيجابيات الزواج تتفوق كثيراً على إيجابيات الزنا، بينما تتقدم

سلبيات الزنا على سلبيات الزواج، وإذا كان الإنسان لا يستطيع الوصول إلى نظام لا سلبيات فيه، نظراً إلى محدودية الواقع الذي يتحرك فيه من حيث الشخص والساحة والأدوات والأجواء، فمن البديهي أن يختار النظام الذي يكون نفعه أكثر من ضرره لتستقيم له حياته في (١) الطريق الأقوم، في اتجاه التكامل والتوازن والاستقامة» .

وقفه قصيرة:

١ - ليت هذا البعض يدلنا على سلبيات الزواج التي تقل عن سلبيات الزنا؟! وهل إيجابيات الزنا التي ذكرها بقوله:

«..وإذا كان للزنا بعض إيجابياته القائمة على (٢) الاستجابة للنوازع العاطفية، والمشاعر الملهبة، والجوع الغريزي ، الذي قد يجد الإشباع في جهة، ولا يجدها لدى جهة أخرى، والانسجام مع (٣) الأجواء الحاملة التي يثيرها الجمال الجسدي، أو التناغم الروحي» .

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١٤ ص ١١٣.

(٢) قد تقدمت في الجزء الأول من هذا الكتاب أقواله حول جوع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى العاطفة.

وأقواله حول أن يوسف «عليه السلام» قد اندفع إلى امرأة العزيز كما يندفع الجائع إلى الطعام. فراجع و قارن.

(٣) من وحي القرآن ج ١٤ ص ١١٢.

هل هذه الإيجابيات، لا يجدها الإنسان لو تحول الزنا إلى علاقة شرعية من خلال العقد؟!

وهل هذه الأمور مفقودة في الحياة الزوجية لدى عامة الناس؟!

٢ - هل محدودية الواقع الذي يتحرك فيه من حيث الشخص والساحة والأدوات والأجواء تجعل الوصول إلى نظام لا سلبيات فيه أمراً ممتنعاً؟! .

وهل هذا يعني أن نظام الإسلام الذي يهدف إلى ضبط الحياة في الواقع المحدد ؛ هو نظام يشتمل على السلبيات؟!

ولنفرض جدلاً صحة ذلك، فهل هذه هي سلبيات الواقع؟! أم هي سلبيات النظام الإسلامي؟! فلماذا لا يلتفت إلى تعابيره، بل يلقي الكلام على عواهنه؟! وبلا حساب؟!

١٠٦٣ - لا مقدسات في الحوار.

١٠٦٤ - قد حاور الله تعالى إبليس.

سئل البعض:

أشرتكم إلى مسألة الحوار بين الأديان، والملاحظ ازدياد الحديث في هذا الموضوع في الآونة الأخيرة، فما رأيكم؟!

فأجاب:

«إن الله علمنا أن نحاور كل الناس، ولا توجد مقدسات في الحوار، فقد حاور الله تعالى إبليس، فهل هناك من الناس من هو مثل إبليس؟! كما أن القرآن هو كتاب حوار مع المشركين في توحيد الله،

ومع الكافرين في وجود الله وفي نبوة النبي، كما حاور المنافقين، لذلك نعتبر أن عظمة القرآن في أنه كتاب الحوار المقدس الذي يقول لك إن مسألة أن تؤمن هي أن تفكر وتفتتح، وبالتالي أن تحاور.. الخ» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

أولاً: هل حاور الله تعالى إبليس حقاً.. أم أنه ألقى الحجة عليه ثم طرده من رحمته، وأرسل عليه لعنته؟!!

إن الحوار يتمثل بتبادل الأفكار التي من شأنها أن تنبه الطرف الآخر إلى خطئه فيما يلتزمه من أفكار، وإلى صوابية الفكر المطروح عليه..

وليس من الحوار ما يكون من قبيل إلقاء الحجة على الطرف الآخر تمهيداً لإصدار القرار الحاسم عليه حتى وإن ظهر بصورة الخطاب مع الآخر ولا معنى، ولا مبرر للخلط بين ما هو خطاب، وبين ما هو حوار، فشأن بين الإثنين.

والملاحظ في قضية إبليس المذكورة في القرآن هو أنها تقتصر على بيان استكبار إبليس عن السجود لآدم لكونه قد خلق من تراب.. يقابله قرار إلهي بطرده، وإحلال اللعنة عليه إلى يوم الدين..

وقد وردت هذه القضية في أربعة مواضع في القرآن الكريم، هي

(١) حوارات في الفكر والسياسة والإجماع ص ٢٤٨.

التالية:

١ - في سورة الأعراف قال تعالى:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَاتِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ).

٢ - وفي سورة الحجر قال تعالى:

(..فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْعَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ .

٣ - وفي سورة الإسراء قال تعالى:

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطْعَتْ مِنْهُمْ بَصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا) .

٤ - وفي سورة «صلى الله عليه وآله» يقول سبحانه:

(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ قَالَ

(١) الآيات ٣٠ - ٤٤ من سورة الحجر.

(٢) الآيات ٦١ - ٦٥ سورة الإسراء.

فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لِلْمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) .

وبعد.. فإن هذا هو كل ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم عن تمرد إبليس ، وهو يتلخص في عدة نقاط هي:

استكبار وتمرد من قبل إبليس.

وطرد من قبل الله له من رحمته.

ثم طلب إبليس من الله أن ينظره إلى يوم القيامة.

واستجابة الله له.

ثم توعد إبليس بإضلال الناس كلهم.

ثم تهديد الله له ولمن تبعه بالعذاب في نار جهنم.

فأين هو الحوار يا ترى، وأين تجد تبادل الأفكار!؟

ثانياً: إن هذا البعض يتحدث عن قيمة الحوار في القرآن فيقول:

«إن قيمته هي في أنه لم يحدد موضوعات الحوار، ولم يحدد

(١) الآيات ٧٣ - ٨٥ من سورة ص.

(٢) لا يخفى على القارئ الكريم أن قصة عصيان إبليس أمر الله تعالى له

بالسجود لآدم «عليه السلام» قد أشير إليها في الآية ٣٤ من سورة البقرة.

إلا أننا لم نذكرها هنا لأنها ليست سوى آية واحدة تشير إلى القصة على

نحو الإجمال من دون الدخول في أية تفاصيل تنفع في توضيح ما نحن

بصدده، والآية هي قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [الآية ٦١ من سورة الإسراء].

الإنسان المحاور، فلا مشكلة في الحوار مع أي إنسان كان، لأن القضية هي أن هناك حقيقة لا بد أن نتعاون على اكتشافها، والوصول إليها، ليكون الحوار وسيلة تعاون لاكتشاف هذا المجهول، لا لتسجيل النقاط السلبية على بعضنا البعض» .

ويتحدث عن مهمة الحوار، وأنه ليس مجرد إيصال القضايا التي يختلفون فيها إلى وضوح الرؤية لإيجاد قناعة مشتركة حولها.

بل هو أيضاً يساهم في تبريد الأجواء النفسية لدى المتحاورين..
لالتقاءهم على المفاهيم المشتركة، أو المعاني المتقاربة مما يخلق مشاعر حميمة فيما بينهم.

كما أنه يخلق حركة فكرية تكون سبباً في تعميق الوعي، وشمولية النظرة.

كما أنه يمكن أن نجعل من الحوار منهج تربية في تكوين القناعات بشكل تدريجي.

ثم قال:

«إذا كان القرآن يتحدث بأسلوب العنف عن بعض هؤلاء الذين ينطلقون من موقع الفكرة المضادة لفكره، فلم يكن ذلك نتيجة للروح العدوانية التي ترفض الخلاف بالقوة، بل كان لامتناعهم عن الدخول

(١) راجع: الحوار في القرآن (مقدمة الطبعة الخامسة - ط سنة ١٩٩٦م)

في أجواء الحوار، وابتعادهم عن استعمال الأدوات التي أتاحها الله لهم للمعرفة وللتفكير.. وهذا ما نريد إثارته: الحوار لمن يريد الحوار. والعنف العقلاني لمن يتخذ العنف وسيلة لاضطهاد الفكر وإسقاطه (١) الخ..» .

وبعدما تقدم نقول:

هل ترى هذه المعايير، والفوائد التي ذكرها للحوار منطبقة على حديث القرآن عن حوار الله تعالى مع إبليس؟!!

الجواب: لا، فإن الله سبحانه إنما أقام الحجة على إبليس ثم طرده ولعنه.. إذن فخطابه سبحانه لإبليس لا يدخل في هذا الإطار بلا شك.

أو هل ترى أن الحوار المزعوم بين الله سبحانه وإبليس هو من مفردات وموارد العنف العقلاني، لمن يتخذ العنف وسيلة لاضطهاد الفكر الآخر وإسقاطه؟!!

والجواب أيضاً بلا.. لأن إبليس قد قدم عذره - الباطل - لامتناعه عن السجود لآدم، وهو أنه مخلوق من نار، وآدم مخلوق من طين، ولكن الله سبحانه بادره باللعة وبالطرد..

فكلا الحالتين لا تنطبقان على قضية إبليس وهكذا تتعقد المشكلة إذا أردنا أن نلتزم بما يقوله هذا البعض، ونقف عنده ولا نتعده..

ثالثاً: إن الحقيقة هي أن الله سبحانه لا يهادن الفكر المنحرف،

(١) راجع: الحوار في القرآن (مقدمة الطبعة الثالثة) ص ١٧ و ١٨ و ١٩.

الذي ينطلق من إرادة تبرير الإنحراف، وذر الرماد في العيون عن سابق معرفة وإدراك لحقيقة الخطأ، وتمييع القضايا بصورة وقحة، فإن هذا النوع لا يصح، بل لا يجوز الحوار معه، لأن حواراً كهذا لسوف يستبطن المماشة بل الإعتراف بهذا الفجور الإعلامي الذي يراد تسويقه على أنه فكر، ورأي واستدلال.. ولأجل ذلك كان القمع الإلهي لهذا الفجور الخبيث، ولم يكن ثمة من حوار مع إبليس، ما دام أن الحوار مع إبليس سقوط خطير، وانتصار لأطروحة إبليس، ومساعدة له على تحقيق مراميه الخطيرة والخبيثة.

بل هو كما قلنا - احتجاج من الله سبحانه عليه، وفيه من التأنيب والتقريع، والإنكار والتوبيخ ما لا يخفى على من له أدنى معرفة بلغة العرب، ثم كان الطرد، وكانت اللعنة، فهل يصح اعتبار ذلك حواراً بعد هذا كله؟!

١٠٦٥ - حوارات لا حقيقة لها بين الله وبين ما لا يعقل ولا ينطق من مخلوقاته.

١٠٦٦ - نستقرب كون حوار الله مع ملائكته ليس حقيقياً.

١٠٦٧ - الاستشارة محاولة للوصول إلى الرأي الأصوب الذي يعني الجهل فلا يستشير الله ملائكته.

يقول البعض:

«١ - ما معنى هذا الحوار.. هل هو قصة حقيقية دار الحوار فيها بين الله وبين ملائكته، أو هو أسلوب قرآني لتقريب الفكرة

بطريقة الحوار لأنه أقرب إلى فهم الفكرة من الأسلوب التقريري. فإن أسلوب الحوار متحرك يوحي بالحركة في الفكرة عندما تتوزع تفاصيلها على عدة أشخاص بين السؤال والجواب، بينما نشعر - في الأسلوب التقريري - بأن الفكرة تسير بشكل رتيب هادئ لا يثير في النفس أي شعور غير عادي إلا من خلال طبيعة الفكرة..

وليس هذا الأسلوب بدعاً في الأساليب القرآنية فنحن نجد في كثير من آيات القرآن حواراً يدور بين الله وبين ما لا يعقل ولا ينطق من مخلوقاته كما فيما حكاه الله سبحانه في خلق السموات والأرض إذ قال لهما (إِنِّيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (١). لتقريب فكرة خضوعهما للتكوين في الله بما أودعه فيهما من قوانين طبيعية تسير بهما وفق إرادته وحكمته ولا بد لنا في الجواب عن هذا التساؤل من الحديث عن موقفنا حيال الظواهر القرآنية، فهل لنا أن نتصرف فيها فنحملها على غير ما يفهم من مدلولها الحرفي أو لا؟!

إن الطريقة العقلانية في التفاهم تقضي بأن الظواهر الكلامية حجة ما لم يكن هناك دليل عقلي يمنعنا من الأخذ بها وقد جرى القرآن على هذه الطريقة في أسلوبه.. فلا بد لنا من السير عليها فيما نأخذ منه أو ندع، فإذا أخبرنا بوجود حوار ضمن قصة ولم يكن هناك مانع عقلي من الإقرار به واعتباره حقيقة واقعة.. أمّا إذا كان هناك مانع

عقلي فلا بد من حملته على ما ينسجم معه على أساس قواعد المجاز والكناية والاستعارة.. كما في الآيات التي تحدثت عن وجه الله (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (١) « .

ويقول أيضاً:

«..كيف نفهم الحوار كحقيقة موضوعية؟! هل كان الله سبحانه في مقام استشارة للملائكة فيما يريده من خلق الخليفة؟! أو كان في مقام إخبارهم بذلك؟! لا بد من رفض الشق الأول من السؤال، لأن الاستشارة تنطلق من محاولة الوصول إلى الرأي الأصوب الذي يستتبع الجهل بالواقع مما يستحيل نسبته إليه تعالى.. فإذا كانت القضية إخبار عما يريد الله فعله، فكيف نفسر اعتراض الملائكة عليه، مع أننا نعرف من خلال القرآن الكريم، أنهم (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) . وهنا يعود السؤال من جديد كيف نفسر الحوار؟!»

ونقول: ربما تكون القضية واردة مورد التساؤل أمام الإخبار، وليس هناك ما يوجب اعتبار السؤال اعتراضاً، فإن طبيعة الموضوع تدفع للتساؤل عن سر الحكمة فيه.. وتثير الدهشة والاستغراب.. فكيف يخلق الله مخلوقاً ليكون خليفته في الأرض، في الوقت الذي تتمثل

(١) الآية ٨٨ من سورة القصص.

(٢) من وحي القرآن ج ١ ص ١٥٠ - ١٥١.

(٣) الآيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الأنبياء.

حياته في التمرد على الله بالفساد وسفك الدماء؟!!

إن القضية تشبه اللغز بحسب طبيعتها.. وفي هذا الإطار يمكن أن تكون القضية جواباً عن سؤال أثاره الملائكة لكشف الموضوع، ويمكن أن تكون جواباً عن سؤال تفرضه طبيعة القضية، بعيداً عن أجواء الحوار الحقيقي.. وقد نستطيع أن نتبنى الفقرة الثانية، لأن الآيات بمجموعها توحى بأن في القضية نوعاً من التحدي الذي يوجه نحو الملائكة، بإثارة محدودية علمهم من جهة، وبتوجيه السؤال إليهم لإظهار عجزهم وتكليف آدم بالإجابة عنه.. وقد يقرب هذه الفكرة.. أننا لا نفهم الوجه في إدارة هذا الحوار مع الملائكة.. فإن حوار الله مع مخلوقاته ينطلق غالباً من القضايا التي تتعلق بمسؤولياتهم وتكاليفهم، أما أن يكون متمثلاً في الأمور التكوينية التي يريد إيجادها فهذا ما لا نعرف له وجهاً.. ومن الطبيعي أن هذا لا يعتبر مانعاً عقلياً عن حمل اللفظ على ظاهره، لا سيما أننا لا نملك الكثير من المعرفة لعالم ما وراء الطبيعة، فنحن لا نعرف كيف يقولون، وكيف هم، وما هي العلاقة بينهم، وبين الله سبحانه، وما هو الجو الذي يمكن أن يعيش فيه هذا الحوار.. كل هذا لا نملك له سبيلاً للمعرفة، فإن هذه القضايا مما نعرف وجودها بشكل ضبابي لأننا لا نجد وسائل الإيضاح التي تجعلنا نتمثل الفكرة بوضوح..

إننا نستقرب اعتبار الموضوع أسلوباً قرآنياً لتوضيح الفكرة ولكننا لا نجزم بذلك، لأن المعطيات التي قدمناها لا تدع مجالاً

للجزم.. بل ربما نلتقي ببعض الأحاديث الماثورة التي تدعم الفرضية الأولى.. فيما يأتينا من حديث..»^(١)

وقفه قصيرة:

إننا نشير هنا إلى أمرين:

الأول: أن هذا البعض يستقرب أن يكون ما جرى من حوار بين الله وملائكته ليس حواراً حقيقياً، بل هو أسلوب قرآني لتوضيح الفكرة على حدّ تعبيره.

ونقول:

يرد عليه:

أولاً: إن الدليل الذي استدل به يوجب كون الحوار حقيقياً، فهو يقول: إن في القضية نوعاً من التحدي للملائكة بتوجيه السؤال إليهم لإظهار عجزهم، وذلك يعني أن يكون ثمة سؤال وجّه إليهم بالفعل.

ثانياً: إن ما ذكره من عدم معرفته للوجه في إدارة الحوار، لا يبرر اعتباره الحوار خيالياً فرضياً.

ثالثاً: إنه تارة يقول: إنه لا يعرف سبب الحوار بين الله وملائكته، وتارة يقول: إن السبب هو أنه تعالى أراد تحدي الملائكة لإظهار عجزهم!

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٤.

رابعاً: إن عدم معرفته بالسبب لا يبرر رفض الأحاديث المأثورة التي تدعم مقولة كون الحوار حقيقياً، فإنه إذا كان لا يعرف السبب، ولا يملك وسائل الإيضاح ليتمثل الفكرة بوضوح، كما يقول..

فإن أهل بيت العصمة «عليهم السلام» يعرفون، وقد أخبرونا بالحقيقة، فلماذا يتجاهل الأحاديث المأثورة عنهم «عليهم السلام» التي اعترف هذا البعض بوجودها، واعترف بأنها تدعم القول بعدم كون الحوار فرضياً؟!!

خامساً: إنه يقول أيضاً: إن الظواهر الكلامية حجة ما لم يكن دليل عقلي يمنع من الأخذ بها. وقد جرى القرآن على هذه الطريقة في أسلوبه، ثم هو يقول: إنه لا يوجد مانع عقلي من حمل اللفظ على ظاهره.

ونقول:

أولاً: فإذا كان يجب حمل اللفظ على ظاهره في مثل هذه الموارد فلماذا استقرب هنا ما يخالف هذه القاعدة يا ترى؟! ويا ليت التزم بمثل ما التزم به هنا حين تحدث عن رؤية موسى «عليه السلام» لربه سبحانه وتعالى وغيرها من الموارد!!

ثانياً: إن هذا البعض قال:

«.. نجد في كثير من آيات القرآن حواراً يدور بين الله وبين ما لا يعقل، ولا ينطق من مخلوقاته، كما فيما حكاه الله سبحانه في خلق السموات والأرض؛ إذ قال لهما: (اٰتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

(١)

طائِعِينَ) ، لتقريب فكرة خضوعهما التكويني لله..». انتهى كلامه.

ونقول:

إننا لا نوافق على أن ما يجده في كثير من حوارات جرت بين الله وبين ما لا يعقل، ولا ينطق من مخلوقاته هو من موارد الحوارات الفرضية التي لا حقيقة لها.. بل جاءت لتقريب فكرة الخضوع التكويني له تعالى كما يزعم.. إذ إن حملها على ذلك خلاف ظاهر كثير من الموارد، فقد دلت الآيات على أن السمع والبصر والجلود تشهد، وعلى أن الجلود تنطق وعلى أن الأيدي تتكلم.

قال تعالى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

وقال تعالى: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) .

(١) الآية ١١ من سورة فصلت.

(٢) الآية ٦٥ من سورة يس.

(٣) الآيات ١٩ - ٢٢ سورة فصلت.

ولا ننسى هنا حكاية النملة مع سليمان «عليه السلام»، وحكاية الهدد معه أيضاً، مع أنهما مما لا يعقل ولا ينطق حسب تقدير هذا البعض.

قال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأَعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قَالَ سَتُنظرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ).

هذا بالنسبة لعالم الطير، وغيره من الكائنات الحية.

أما بالنسبة لعالم الجماد ، فهناك آيات كثيرة، نختار منها قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) .

وقال تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) .

ومن الواضح: أن سجود الموجودات المذكور في الآية الأولى ليس سجودا تكوينيا قهريا، وإنما هو اختياري كالناس الذين يختار بعضهم السجود، ويختار بعض آخرون العصيان، فيحق عليه العذاب ولو كان تكوينيا لم يكن ثمة مجال لامتناع كثير من الناس عنه.

كما أنه لو كان التسبيح الذي تحدثت عنه الآية الثانية تكوينياً، فهو أمر معروف وظاهر يعرفه الناس كلهم، فلا يبقى معنى لقوله تعالى: (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).

ومما يشير إلى ذلك أيضاً: قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

(١) الآية ١٨ من سورة الحج.

(٢) الآية ٤٤ من سورة الإسراء.

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) .

وقال تعالى: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) .

وقال سبحانه: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَاقَاتٍ كَلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) .

والآيات التي تدخل في هذا السياق كثيرة. ولا مجال لإثبات خلاف ذلك في تلك الموارد.

(١) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٢١ من سورة الحشر.

(٣) الآية ٤١ من سورة النور.

الفصل الرابع

مخالفات في كل اتجاه..

١٠٦٨ - لا يثق برواية البعثة في رجب.

ويقول البعض:

بعد أن ذكر أن نزول القرآن قد كان في شهر رمضان المبارك حسبما نص عليه قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) ، - يقول - ما يلي:

«وعلى ضوء ذلك فإن هذا الظهور القرآني البين يجعلنا لا ننق بالروايات التي توقفت البعثة في رجب، أو تعين الآيات النازلة في سورة اقرأ الخ..» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

١ - إن نزول القرآن في شهر رمضان المبارك لا يلزم كون البعثة فيه، إذ قد تكون البعثة في رجب، ثم ينزل القرآن أو يبدأ نزوله بعد سنة أو شهر من ذلك أو أكثر أو أقل لأن معنى البعثة هو أن يخبر

(١) الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ٤ ص ٢٨.

الله نبيه بواسطة الوحي أنه مبعوث إلى الناس..

والرواية التي نتحدث عن أن البعثة كانت مقارنة لنزول آيات: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) لا يمكن أن تصح.. وقد قرر نفس هذا البعض أنفاً أنه لا يثق بالروايات التي تعين أول الآيات النازلة في سورة (اقرأ).

وقد تحدثنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ما يفيد في توضيح هذا الأمر وتأكيد، فراجع .

٢ - إن الله سبحانه قد أرسل رسلاً وبعث أنبياء إلى الناس منذ آدم «عليه السلام». وليس ثمة ما يثبت أو يدل على اقتران بعثتهم والوحي إليهم بإنزال كتب أو نصوص إلهية بعينها.. فلا ملازمة بين بعثة النبي «صلى الله عليه وآله»، وبين وجود كتاب يأتي به حين بعثته.

٣ - على أن هناك من الروايات ما يدل على أن القرآن قد نزل أولاً على قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم صار يبلغه وقت استحقاق الخطاب.

ولعل النزول الدفعي هو الذي حصل ليلة القدر، فيكون المراد

(١) الآية ١ من سورة العلق.

(٢) راجع: الصحيح من سيرة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٢

ص ٢٩٢ ٣١٤.

بأنه «صلى الله عليه وآله» كان في بعض الوقائع ينتظر الوحي: أنه كان ينتظر الإذن بالإبلاغ لما كان قد نزل عليه من آيات.

٤ - إن المروي عن أهل البيت «عليهم السلام»:

أن البعثة كانت في السابع والعشرين من شهر رجب، وأهل البيت أدري بما فيه من كل أحد. وهم أقرب إلى معرفة شؤون النبي «صلى الله عليه وآله» وحالاته، وقد روي هذا الأمر حتى عن غير الشيعة (٢) أيضاً .

(٢)

بل لقد ادعى المجلسي إجماع الشيعة على هذا الأمر .

فما بال هذا البعض يترك ذلك كله، استناداً إلى ظنون وترجيحات لا مبرر لها؟! لا مبرر لها؟!

١٠٦٩ - لا حقيقة للألفاظ بذاتها يمكن أن يترتب عليها أثر.

١٠٧٠ - إذابة اسم الله في الماء لا يحدث الشفاء.

١٠٧١ - إذا ذاب الاسم في الماء لا تعود له حقيقته.

١٠٧٢ - الذي يذوب في الماء هو الحبر وليس هو الاسم.

١٠٧٣ - نسبة أي فاعلية للاسم ستعود للحبر وإلى ما ليس له

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٣٨ عن أبي هريرة، وسيرة مغلطاي

ص ١٤ عن كتاب العتقي عن الحسين، ومنتخب كنز العمال (مطبوع

بهامش مسند أحمد) ج ٣ ص ٣٦٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٣.

(٢) البحار ج ١٨ ص ٢٠٤ و ١٩٠.

حقيقة وجود وهذا محال..

يقول البعض:

«يا من اسمه دواء وذكره شفاء.

علي «عليه السلام» في هذه الكلمات يقدم لنا حقيقتين مهمتين:

الأولى: أن اسم الله دواء.

والثانية: أن ذكر الله شفاء.

وليس المراد بالإسم هنا لفظ كلمة الله سبحانه وتعالى، فإن الألفاظ لا قيمة لها بنفسها، ولا حقيقة لها بذاتها يمكن أن يترتب عليها أثر، وإنما حقيقة اللفظ وقيمه، بما يحكي عنه ويدل عليه.

فالأسماء إنما توضع لتشير إلى المسمى، وهي إن استحقت قيمة ما، فإن ذلك لا يعود إليها نفسها، وإنما تعود إلى المسمى الذي تدل، أو تشير أو تكشف، وتحكي عنه.

من هنا يتبين لنا أن الإسم - كاسم - لا حقيقة ذاتية له يمكن أن تترتب عليها الآثار. إذًا، كيف يمكن أن نفسر قول علي بأن اسم الله تعالى تترتب عليه آثار كأثار الدواء أي كما أن الدواء له حقيقة ذاتية تتمثل في إشفاء الناس من بعض الأمراض التي هي في الأصل، موضوع لها، فهل اسم الله كاسم من قبيل هذا الدواء، أم أن الأمر مختلف؟! بالتأكيد، إن الأمر مختلف فإذا كان تناول جرعة من الدواء مع الماء يمكن أن يحدث الشفاء من المرض فإن إذابة اسم الله في كوب من الماء لا يمكن أن يحدث الشفاء، لأن الإسم متى ذاب لا تعود

له حقيقة حتى حقيقة اللفظ المكتوب، كما ان الذي يذوب هو الحبر، وليس الإسم، وبالتالي إذا نسبنا أي فاعلية للإسم في هذه الحالة، إنما ستعود حقيقة وواقعاً إلى الحبر، وإلى ما ليس له حقيقة ووجود وهذا (١) محال» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

١ - إن مما لا ريب فيه: أن المعوذتين نزلتا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان «صلى الله عليه وآله» يعوذ بهما الحسن والحسين «عليهما السلام»، فللكلام الملفوظ تأثيره.. رغم أنه مجرد أصوات تصدر عن اللفظ، كما أن الصلاة هي مجرد ألفاظ وأصوات فلماذا لا بد من الإلتزام بهذه الألفاظ لكي تتحقق المعراجية للمؤمن، ولكي يسقط واجب الصلاة عن المكلف؟!!

٢ - إن من الواضح أيضاً: أن رسم القرآن في المصحف هو عبارة عن حبر وضع على الورق على طريقة معينة، فلماذا يحرم تنجيسه، ويحرم وضعه في مواضع المهانة، ويحرم الوطء عليه بالأقدام؟! ما دام أنه ليس ثمة إلا ورق وحبر؟!!

٣ - ولا يشك أحد ممن له أدنى اطلاع على الأحاديث، والآثار إذا لاحظ كثرتها الكاثرة وتنوعها المفيد لليقين الجازم لا يشك: بأن منها

(١) في رحاب دعاء كميل ص ٢٧٠.

ما هو صادر قطعاً عن الرسول «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته الطاهرين «عليهم السلام» مما يتضمن أوامر بقراءة أو كتابة آيات، أو أدعية، أو عوذات بعينها.. ليحصل الشفاء للحالة الفلانية، أو ليتحقق الأمر الفلاني..

وتكذيب ذلك بأجمعه مجازفة كبرى لا يمكن الإقدام عليها من قبل أي مسلم مهما كانت ثقافته، أو موقعه.

٤ - إن هذا البعض نفسه قد قرر في بعض الموارد أنه:

«... قد يحصل الشفاء لبعض المرضى نتيجة التوسل لله، بنبي أو ولي أو بسبب دعاء أو عمل عبادي في جو نفسي معين قد لا ينسجم مع التفسير النفسي العلمي» .

فلماذا يناقض نفسه، ويقرر خلاف ذلك هنا؟!

٥ - قوله:

«إن نسبة أي فاعلية للإسم ستعود حقيقة وواقعاً إلى الحبر...».

لا يمكن قبوله.. فإن الفاعلية إنما هي لما يرمز إليه الإسم الذي جسد الحبر له رمزاً كما يجسد اللفظ له رمزاً أيضاً، أي أن الذي يشفي هو المسمى الذي تجسد حضوره بالرموز والأشكال الدالة عليه بواسطة الحبر..

ولا يدعي أحد أبداً أن الحبر بذاته ولذاته هو المؤثر في الشفاء أو

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١ ص ٢٣.

في غيره..

١٠٧٤ - لا مانع من أن تكون فواتح السور من كلام النبي «صلى الله عليه وآله».

١٠٧٥ - فواتح السور ليس لها مدلول معين ولا مضمون واضح.

١٠٧٦ - كون الحروف المقطعة مزيدة في القرآن رأي معقول..

١٠٧٧ - الرأي بزيادة الحروف المقطعة منسجم مع أجواء

العداء.

١٠٧٨ - المانع من تبني هذا الرأي هو: كون غالب السور مدنية.

يقول البعض وهو يتحدث عن الآراء المطروحة حول الحروف المقطعة الواردة في أوائل العديد من السور القرآنية:

«الرأي الثاني: أنها من كلام النبي «صلى الله عليه وآله» لإثارة انتباه الناس إلى الآيات التي يريد أن يقرأها عليهم.

فقد كان المشركون - في ذلك الوقت - يعملون على إثارة الضوضاء واللغو عند قراءة النبي للقرآن، ليمنعوا الآخرين من الاستماع إليه فجاءت هذه الكلمات غير المألوفة لديهم لتؤدي دورها في إثارة الإنتباه من خلال غرابتها على أسماعهم لأنها ليست من نوع الكلمات التي تعارفوا عليها، فليس لها مدلول معين ومضمون واضح، ومن هنا يبدأ التساؤل الداخلي الذي يهيء النفس لانتظار ما بعدها لتستوضح معناها من خلال ذلك.. وتتحقق الغاية من ذلك في سماعهم لآيات الله.

ونحن لا نمانع في معقولية هذا الرأي وانسجامه مع الأجواء العدائية التي كان المشركون يثيرونها أمام النبي «صلى الله عليه وآله» مما حدثنا القرآن الكريم عنه ^(١) في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) .

ولكن ذلك كان موقف المشركين في مكة، بينما يغلب على السور التي اشتملت على هذه الكلمات الطابع المدني في نزولها على النبي «صلى الله عليه وآله»، ونحن نعلم أن هذه الأجواء لم تكن مثارة في المدينة لأن المشكلة لم تكن مطروحة هناك، فلا يصلح هذا الرأي لتفسير هذه الكلمات»

وقفة قصيرة:

ونقول:

١ - إن هذا البعض لا يمانع في معقولية الرأي الثاني القائل بأن تكون الكلمات المعروفة الواقعة في أوائل السور مثل:

(ألم، كهيعص، المر، المص، حم، عسق، الر، ق، ن) ونحو ذلك.. من كلام النبي «صلى الله عليه وآله» وقد وضعها وزادها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليثير انتباه الناس إلى الآيات التي يريد أن يقرأها عليهم..

(١) الآية ٢٦ من سورة فصلت.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١ ص ٢٢ و ٢٣.

فالنبي إذن، قد زاد في هذا القرآن العظيم من عند نفسه ما ليس منه.. وبالتالي، فإن هذا البعض لا يمانع في معقولية هذه الزيادة، ووقوع التحريف بالزيادة في هذا القرآن.

ويرى: أن هذا الرأي ينسجم مع الأجواء العدائية التي كان المشركون يثيرونها أمام النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

٢ - إن هذا البعض يقول:

«إنه يغلب على السور التي اشتملت على هذه الكلمات الطابع المدني في نزولها على النبي «صلى الله عليه وآله»..».

وهذا هو الذي يمنعه من التأكيد على هذا الرأي الثاني وتبنيه.

فلو أن الأمر كان على عكس ذلك بأن كان الطابع الذي يغلب على السور التي اشتملت على هذه الكلمات في نزولها هو المكي، لكان هذا الرأي هو المعقول - بنظره - لتفسير هذه الكلمات، إذ إنه لا يمانع في معقولية هذا الرأي، لأنه حينئذ يكون منسجماً مع الأجواء العدائية، التي كان المشركون يثيرونها أمام النبي - على حد تعبير هذا البعض -.

وقد راجعنا تلك السور التي توجد هذه الكلمات في فواتحها، فوجدنا:

أن هذه الحروف قد وردت في تسع وعشرين سورة، ست وعشرون منها نزلت في مكة، وثلاث منها نزلت في المدينة وحتى هذه السور التي نزلت في المدينة يلاحظ أن اثنتين منها وهما سورتا

البقرة، وآل عمران قد نزلتا في أوائل الهجرة، وحيث كان الوضع الديني والإيماني فيها لا يختلف كثيراً عنه في مكة، ولا سيما مع وجود اليهود وشبهاتهم، ومؤامراتهم إلى جانب المشركين فيها.

وواحدة منها، وهي سورة الرعد قد نزلت بعد أن كثرت الدخول في الإسلام رغباً أو رهباً، وكثر المنافقون حتى ليرجع ابن أبي بثلث الجيش في غزوة أحد عدا من بقي منهم في الجيش ولم يرجع معه.. وأصبح اليهود وغيرهم ممن وترهم الإسلام يهتمون بالكيد للإسلام من الداخل، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكرياً وفكرياً، وعقائدياً بشكل سافر.. فجاءت سورة الرعد لتكرر التحدي بهذه المعجزة: القرآن، كأسلوب أمثل لبعث عمق عقيدي وإيماني جديد في المسلمين، ومواجهة غيرهم بالواقع الذي لا يجدون لمواجهة سبيل إلا بالتسليم والبخوع والإنقياد له.

وهذا يفسر لنا السر في أننا نجد أسلوب وأجواء سورة الرعد لا تختلف كثيراً عن أجواء وأسلوب غيرها من السور المكية، وأن هنالك توافقاً فيما بينها في إدانة وضرب كل أساليب التضليل أو التزوير، والصدود عن الحق.

٣ - إن هناك إجماعاً من المسلمين على عدم وقوع الزيادة في كتاب الله سبحانه بأي وجه..

وقد ذكر هذا الإجماع عدد من العلماء كالطوسي

(١)

والطبرسي.. .

(٢)

أما النقيصة فالشيعة مجمعون على عدمها أيضاً ، ولا يعتد بمخالفة بعض الحشوية، وبعض أهل الحديث، لنقلهم أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها.

بل لقد قال ابن حزم عن الشريف المرتضى - «رحمه الله» -: إنه «يكفر من زعم أن القرآن بطل، أو زيد فيه أو نقص منه، وكذا كان صاحبه: أبو القاسم الرازي، وأبو يعلى الطوسي» .

(٣)

وعدا ذلك فإن الأدلة على سلامة القرآن من التحريف سواء من ناحية الزيادة، أو من ناحية النقيصة كثيرة، وقد استوفينا شطراً منها

(١) راجع: مجمع البيان ج ١ ص ١٥ وتفسير الصافي ج ١ ص ٥٥ عن الشيخ الطوسي، ونقل في أعيان الشيعة (ط دار التعارف) ج ١ ص ٥١ و ٤٦ إجماع الشيعة على عدم الزيادة، وراجع إظهار الحق ج ٢ ص ١٢٨.

(٢) راجع: الإيضاح لابن شاذان، والإعتقادات للصدوق، وجواب المسائل الطرابلسيات للسيد المرتضى، ومجمع البيان ج ١ ص ١٥ وسعد السعود ص ١٤٤ و ١٤٥ و ١٩٢ و ١٩٣ وآلاء الرحمن ص ٢٥ و ٢٦ عن مصائب النواصب، وإظهار الحق ج ٢ ص ١٢٩ والشيعة في الميزان ص ٣١٤ وبرهان روشن ص ١١٣ (فارسي) وكشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء.

(٣) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٢٣ والفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٢.

في كتابنا المعروف: «حقائق هامة حول القرآن الكريم»، فليراجعه من يريد ذلك..

٥ - وقد يعتذر البعض بأن مراده: أن الله قد حكى قول النبي «صلى الله عليه وآله» في القرآن، فتكون هذه الحروف من كلام النبي، ومن القرآن معاً.

وجوابه: أنه كلام لا يصح إذ إن الحروف قد نزلت على النبي «صلى الله عليه وآله» قبل أن يبدأ بقراءتها، وقد حضر ليلغهم إياها، لا أنه تفوه بها ليسكتهم، ثم شرع الوحي ينزل عليه حاكياً كلامه هذا..
١٠٧٩ - كلمة (المؤمن) في القرآن لا يقصد بها الإثنا عشري.

وسئل البعض:

ما رأيكم فيما يقال من أن كلمة «المؤمن» في القرآن الكريم يراد بها المؤمن الإثنا عشري؟!!

فأجاب:

«هذا غير صحيح، لأنها وضعت في مقابل الكافر في أكثر من موضع، كما وضعت في مقابل الإسلام في سورة (الحجرات) وفي مقابل الكفر، وقد صرح بذلك السيد الخوئي «رحمه الله» في تقارير^(١) بحثه» .

(١) فكر وثقافة: بتاريخ ١٩٩٨/١/٢م. والمسائل الفقهية ج ١ ص ٣١٢.

وقفه قصيرة:

ونقول:

الملاحظ: أن هذا البعض يريد أن يقول: إن كلمة «المؤمن» في القرآن الكريم تشمل الشيعي وغيره. ولعله ليرتب على ذلك أحكاماً كثيرة، مثل جواز الصلاة خلف غير الشيعي الإمامي، وجواز إشهاده على الطلاق، وعدم جواز غيبته.. وما إلى ذلك.

مع أن الأمر هو على عكس ما يقوله تماماً، فإن الذي كان في زمن الرسول هو الإسلام الصافي الصحيح، الذي هو حقيقة التشيع، فلم يكن يتصور سوى الإيمان، والكفر، والنفاق، والفسق.

ولا يوجد سني وشيعي بالمعنى المصطلح للتسنن في هذه الأيام، بل كان المسلمون يأخذون عين الإسلام في عقيدته وشريعته، وسائر تعاليمه من المنبع الأصل والصادق.. ولم يكن ثمة مذهب للأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك، وأبي حنيفة، وابن حنبل، والشافعي، والظاهري.. وما إلى ذلك، بل كان هناك مذهب أهل البيت «عليهم السلام» الذي هو حقيقة الإسلام، ويقابله الكفر أو النفاق، ولم يكن هناك شيء آخر، فالقضية معكوسة ولعل هذا هو مقصود السيد الخوئي «رحمه الله».

وإذا كان كذلك فلا يمكن إلا أن يكون المقصود هو المؤمن الصحيح الإيمان المعتقد بحقيقة الإسلام الذي جاء به الرسول.. كما أن الرسول قد أبلغ أصحابه بالأئمة الإثني عشر، فلا بد أن يقبلوا منه ذلك،

ويعتقدوه.

ويقابله الكافر، والمنافق.. وكلاهما لا يصح أن يكون مقصوداً،
لأن المنافق كافر في واقع الأمر..

١٠٨٠ - الإسلام لم يعتبر مناسبة الميلاد قيمة في الخط التربوي
ولا في الواقع الاجتماعي.

١٠٨١ - هذه التقاليد ليست تقاليدنا.

١٠٨٢ - تاريخ الإنسان يبدأ من دوره لا من ولادته.

١٠٨٣ - الإسلام بشكل عام لا يهتم بمناسبة المولد.

سئل البعض:

ذكرتم أنه ليس هناك في الإسلام احتفال منصوص عليه بمولد
أحد حتى برسول الله «صلى الله عليه وآله»، والسؤال: هل هناك
حرمة أو كراهية للاحتفال في مواليد أولادنا؟!

فأجاب:

«قلنا: إن الإسلام لم يعتبر مناسبة الميلاد قيمة يمكن أن يحتفل
بها، لكن هذه التقاليد ليست تقاليدنا»^(١).

وبعد أن ذكر البعض: أنه قد تحدث عن ميلاد موسى، وعن ميلاد
عيسى لبيان بعض الأمور، ككونها مظهراً لقدرة الله تعالى، وغير
ذلك.

(١) فكر وثقافة: عدد ٦ بتاريخ ٢٧/٧/١٩٩٦م.

قال:

«وإلا فإن الإسلام بشكل عام لا يهتم بمناسبات المولد».

وقال:

«إن الإحتفال بالمولد النبوي كتقليد جاءنا من الغرب كمرور مائة سنة على ولادة فلان، أما في الإسلام فليس لدينا مثل هذا التقليد. ومن خلال ذلك فإن أعياد الميلاد لا تمثل قيمة في خط الإسلام التربوي وفي واقع الإسلام الإجتماعي...».

إلى أن قال:

(١)

«فتاريخ الإنسان يبدأ من دوره لا من ولادته» .

وقفة قصيرة:

ونقول:

١ - قوله: «إن الإحتفال بالمولد النبوي - كتقليد - جاء من الغرب».

غير صحيح، إذ إنهم يقولون: إن أول من احتفل بالمولد النبوي هو الأمير أبو سعيد مظفر الدين الإربلي، المتوفي في سنة ٦٣٠ هـ. (٢) ق .

(١) المصدر السابق.

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢٩٩ عن الزرقاني ج ١ ص ١٦٤ وراجع: التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين ص ١١٥ ورسالة

وكان يفد إلى هذا العيد طوائف من الناس من بغداد، والموصل، والجزيرة، وسنجار، ونصيبين، بل ومن فارس، منهم: العلماء، والمتصوفون، والوعاظ، والقراء، والشعراء، وهناك يقضون في إربل من المحرم إلى أوائل ربيع الأول.

وكان الأمير يقيم في الشارع الأعظم مناضد عظيمة من الخشب، ذات طبقات كثيرة، بعضها فوق بعض تبلغ الأربع والخمس، ويزينها، ويجلس^(١) عليها المغنون، والموسيقيون، ولاعبوا الخيال حتى أعلاها .

حسن المقصد (مطبوع مع النعمة الكبرى على العالم) ص ٨٠ و ٧٥ و ٧٧
والبداية والنهاية ج ١٣ ص ١٣٧ و ١٣٦ ولم يصرح بالأولية، والسيرة
النبوية لدحلان ج ١ ص ٢٤ ومنهاج الفرقة الناجية ص ١١٠ والإنصاف
فيما قيل في المولد ص ٤٥ و ٤٦ و ٥٠ و ٥٧ وتاريخ ابن الوردي ج ٢
ص ٢٢٨ وجواهر البحار ج ٣ ص ٣٣٧ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٨٣ و
٨٤.

(١) وفيات الأعيان (ط سنة ١٣١٠هـ. ق) ج ١ ص ٤٣٦ و ٤٣٧ وشذرات
الذهب ج ٥ ص ١٣٩ و ١٤٠ عنه، وعن ابن شهبة، وراجع: السيرة النبوية
لدحلان ج ١ ص ٢٤ و ٢٥ والتوسل بالنبي وجهلة الوهابيين ص ١٦ عن
مرآة الزمان، وحسن المقصد (مطبوع مع النعمة الكبرى) ص ٧٦ والبداية
والنهاية ج ١٣ ص ١٣٧ وجواهر البحار ج ٣ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ والإنصاف
فيما قيل في المولد ص ٥٠ و ٥١ عن الحاوي للسيوطي.

(١)

وقيل: إن الخلفاء الفاطميين هم الذين أبدعوها .

(٢)

وقيل: غير ذلك .

والنصوص حول هذا الأمر كثيرة جداً لا مجال لاستقصائها، وقد ذكرنا طرفاً منها في كتابنا المواسم والمراسم فراجع:

٢ - بالنسبة لما ذكره حول:

«أن الإسلام لا يعتبر المولد قيمة في الخط التربوي ولا في الواقع الاجتماعي، ولا يهتم لهذه المناسبة».

فنقول:

لا يصح أيضاً، فقد قال ابن أبي الحديد المعتزلي:

«..وقد روي أن السنة التي ولد فيها علي «عليه السلام» هي السنة التي بدئ فيها برسالة رسول الله - «صلى الله عليه وآله» - فأسمع الهتاف من الأحجار، والأشجار وكشف عن بصره، فشاهد

(١) القول الفصل ص ١٨ و ٦٨ عن كتاب أحسن الكلام للشيخ محمد بخيت المطيعي ص ٤٤ و ٤٥ وعن المحاضرات الفكرية - المحاضرة العاشرة ص ٨٤ وعن الإبداع في مضار الإبتداع ص ١٢٦ وعن كتاب المعز لدين الله ص ٢٨٤ وراجع: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢٩٩. وراجع: الخطط للمقريزي ج ١ ص ٤٩٠ ومنهاج الفرقة الناجية ص ١١٠.

(٢) القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ص ٢٠٥ عن الفتاوى ص ٤.

أنواراً و أشخاصاً، ولم يخاطب فيها بشيء.
وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتل والإنقطاع، والعزلة
في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، وأنزل عليه
الوحي.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتيمن بتلك السنة،
وبولادة علي «عليه السلام» فيها، ويسمياها سنة الخير والبركة» .
(١)

٣ - ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أشار إلى ذلك حيث
سئل عن صوم يوم الإثنين، فقال «صلى الله عليه وآله» له: «ذلك يوم
ولدت فيه» (٢) ، وذلك يشير إلى رجحان الصيام فيه لأجل هذه النقطة
بالذات .
(٣)

٤ - إنه لا شك في أن أيام المواليد لها ميزتها وأهميتها في
الإسلام، إذ إن من يراجع كتب الزيارات المأثورة، وكذلك الأحاديث
التي تتحدث عن مفردات العبادات في الأيام المختلفة يجد تركيزاً
خاصاً، ومميزاً على الأيام التي روي أن النبي «صلى الله عليه وآله»
والأئمة «عليهم السلام» قد ولدوا فيها فنلاحظ:

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١١٥.

(٢) راجع: مسند أحمد ج ٥ ص ٢٩٧ و ٢٩٩ والمنتقى ج ٢ ص ١٩٥ عن أحمد،
ومسلم، وأبي داود، وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٦٦ والمدخل لابن الحاج ج ٢
ص ٢٩.

(٣) وإن كان لنا كلام حول استحباب صوم يوم الإثنين لا مجال له هنا.

ألف: أن هناك زيارات مأثورة لأُمير المؤمنين «عليه السلام» في السابع عشر من ربيع الأول و هو يوم مولد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد روى المفيد والشهيد في مزاريهما، والسيد ابن طاووس في الإقبال: أن الإمام الصادق «عليه السلام» قد زار أُمير المؤمنين «عليه السلام» يوم السابع عشر من ربيع الأول بزيارة خاصة، وقد علمها «عليه السلام» لمحمد بن مسلم الثقفي.

وقد قال المجلسي في زاد المعاد عن هذه الزيارة: إنها من أحسن الزيارات لفظاً ومعنى، وهي منقولة بسند في غاية الاعتبار.

ب: وهناك الأعمال والزيارات المشروعة والمستحبة في ليلة النصف من شعبان وهو يوم ولادة الإمام الحجة قائم آل محمد «صلوات الله وسلامه عليه وعليهم».

وفي فضل هذه الليلة أحاديث كثيرة جداً تبين أهميتها وعظمتها، ومن جملة ما يستحب فيها دعاء ذكره الشيخ والسيد، جاء فيه: «اللهم بحق ليلتنا هذه، ومولودها، وحجتك وموعودها، التي قرنت إلى فضلها فضلاً..

إلى أن قال: الغائب المستور، جل مولده، وكرم محتده، والملائكة شُهِدَ، والله ناصره ومؤيده».

ج: ما ورد في الأحاديث الشريفة، وكتب الأدعية، والزيارات فيما يرتبط بالثالث من شهر شعبان يوم ولادة الإمام الحسين «صلوات الله وسلامه عليه»، وقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه

كان يدعو في هذا اليوم بهذا الدعاء:

«اللهم إني أسألك بحق المولود في هذا اليوم، الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته، بكته السماء، ومن فيها الخ..

إلى أن قال:

اللهم وهب لنا في هذا اليوم خير موهبة، وأنجح لنا فيه كل طلبه، كما وهبت الحسين لمحمد جده، وعاذ فطرس بمهده، فنحن عائدون بقبره من بعده الخ..».

وراجع ما روي ليلة ويوم ميلاد الإمام الحسن «عليه السلام» في الخامس عشر من شهر رمضان.. وغير ذلك.

وبعد ما تقدم فلا يصح قول ذلك البعض:

«الإسلام بشكل عام لا يهتم بمناسبات المولد».

٥ - وأما قوله:

«إن تاريخ الإنسان يبدأ من دوره لا من ولادته..».

فهو كلام غير سليم، فإن تاريخ الأنبياء يبدأ حتى قبل أن يولدوا، وكذلك الأئمة «عليهم السلام»، فإن إرهابات بعثتهم، وما يظهر لهم من كرامات أثناء الحمل، وحين الولادة وفي أيام الطفولة هو جزء من تاريخهم المشرق الذي تستفيد الأمة من التعرف عليه أعظم العبر. وأبلغ العظات.. وله الدور الأكيد في ترسيخ الإيمان، وفي حقيقة الإنقياد لهم «عليهم السلام»، والتأسي بهم، والتفاعل العميق مع كل ما يصدر عنهم.

١٠٨٤ - لا يوجد دليل قطعي على حياة الخضر «عليه السلام».

١٠٨٥ - لا كبير فائدة في تحقيق أمر حياة الخضر «عليه السلام».

١٠٨٦ - إثبات حياته لا يتصل بالعقيدة ولا بالحياة.

ويقول:

«..والتقيا بهذا العبد الصالح الذي لم يرد له ذكر في القرآن إلا في هذه القصة.. وتحدث الروايات عنه أنه الخضر، وفي حديث أئمة أهل البيت «عليهم السلام» فيما رواه محمد بن عمار عن الإمام جعفر الصادق: أن الخضر كان نبياً مرسلأ بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه، فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه.. وقد تذكر بعض الأحاديث: أنه حيّ لم يمت بعد، وليس هناك دليل قطعي يثبت ذلك، كما أنه ليس هناك دليل عقلي يمنع من ذلك من خلال قدرة الله المطلقة على ذلك وعلى أكثر منه.

ولا نجد هناك كبير فائدة في تحقيق الأمر في شخصيته^(١) وفي خصوصيته.. لأن ذلك لا يتصل بأي جانب في العقيدة والحياة» .

وقفه قصيرة:

قوله: «لا كبير فائدة في تحقيق الأمر في شخصية الخضر «عليه السلام»، ولا في خصوصيته..».

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٤ ص ٣٨٥.

مما لا مجال لقبوله منه؛ فإن حديث النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» المستفيض والكثير جداً، عن بقاء حياته «عليه السلام» يشير إلى عظيم الفائدة في ذلك.. وفي كتاب (بحار الأنوار) من الحديث الشريف عشرات الأحاديث التي تحدثت عن الخضر «عليه السلام»، وذكرت له دوراً في كثير من الأحداث، فراجع فهرسه.

قوله: «إن ذلك لا يتصل بأي جانب في العقيدة والحياة».

هو الآخر قول غير مقبول: لأن ذلك يعتبر شاهداً حياً على طول عمر الإمام الحجة قائم آل محمد «عليهم الصلاة والسلام». وأما بالنسبة لقوله: «إنه لا يوجد دليل قطعي يثبت حياة الخضر».

فإننا نقول:

إن الدليل القطعي هو الروايات الكثيرة جداً والمتواترة، التي تحدثت عن ذلك، والتي لا مجال لإحصائها غير أننا نذكر للقارئ الكريم هنا بعض موارد وجودها في خصوص الكتاب الشريف: بحار الأنوار، وإذا أراد الوقوف على المزيد فعليه بمراجعة فهرسه ليجد موارد كثيرة سوى ما اخترناه تقنعه أن هذا الأمر هو فوق حد التواتر.. المفيد للقطع؛ والموارد المختارة هي التالية:

الجزء	الصفحات	الجزء	الصفحات

٣٠-٢٩٩	٦	٢٩٧ - ٣٠٠ و ٣١٩ ٣٢٠ و	٣
١٧٥	١٢	١٥٩-١١٩	١٠
١٤٥-٣٧ ٣٨-٣٦١	٤٦	٥١٥-٥٠٥	٢٢
٢١-١٣٨	٤٧	١٣٠-٤١٥	٣٦
٣٦	٦١	١٣١-١٣٢	٣٩
٨	٧٠	٣٠٣-٤٥-٩	٤٢
٣٥٦	٧٧	٢٥٤	٤٤
٩٧	٨٢	١٥٢	٥٢
٤٤٣-٣٩٢-٣٥٥	١٠٠	١٤٣-١٢٣	٧١
		٢٠٤	٩٩

وراجع إحقاق الحق ج ٩ ص ٣٩٧ - ٤٠١ وج ٨ ص ٧١.

وبالمناسبة نشير إلى أن هذا البعض قد استدل على عدم بقاء
الخضر «عليه السلام» إلى آخر الزمان بقوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا
لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) .

(١) الآية ٣٤ من سورة الأنبياء. والاستدلال المذكور مأخوذ من شريط مسجل

ونقول:

١ - إذا كان هذا البعض يرفض بقاء الخضر «عليه السلام» على قيد الحياة إلى آخر الزمان، ويقيم على ذلك الأدلة والشواهد، فكيف يقول:

«..قد تذكر بعض الأحاديث أنه حي لم يمّت بعد. وليس هناك دليل قطعي يثبت ذلك».

إلى أن قال:

«ولا نجد كبير فائدة في تحقيق الأمر في شخصيته وفي خصوصيته، لأن ذلك لا يتصل بأي جانب في العقيدة والحياة»؟!
فها هو قد أقام الدليل على أنه لا يبقى حياً إلى آخر الزمان. كما أنه لم يزل هو نفسه يتصدى لتحقيق الأمر في خصوصية هذا النبي الكريم.. مع أن ذلك - بزعمه - لا فائدة فيه.

٢ - إن دليله هذا الذي أقامه - لو صح - فهو يدل أيضاً على عدم صحة القول ببقاء صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه) هذه المدة الطويلة، لأنه فسر الخلد بامتداد الحياة.؟!

٣ - وللتذكير نقول: إن المراد بالآية هو رد دعوى الخلود. والخلود ليس هو بقاء الحياة إلى آخر الزمان، كما هو الحال بالنسبة لقائم آل محمد (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وللخضر «عليه

السلام».. فعدم الخلود لأحد لا يدل على أنه لا يعيش إلى آخر الزمان..

١٠٨٧ - نظرية داروين لا تنافي الفكر الديني.

١٠٨٨ - نظرية داروين قد تنافي بعض ما يفهم من التاريخ الديني.

قال البعض:

«من الخطأ جداً أن يطرح الفكر الديني على أساس أن قاعدة هذا الفكر، هو أن الله خلق الكون بشكل مباشر من دون أن يكون خاضعاً لقوانين في عمق تكوينه، إننا نؤمن من خلال صفتنا الإسلامية، من دون أن نحيد قيد شعرة عن التفكير الإسلامي. نؤمن بأن هناك في الكون سنناً كونية، وهي ما تمثلها قوانين الكون الطبيعية في الكون، وفي الحيوان وفي الإنسان. حتى أننا من وجهة النظر الإسلامية نؤمن بأن هلاك المجتمعات ونمو المجتمعات تخضع لقوانين موجودة في حركة الكون بحيث إنها تتحرك ضمن نطاق خاص. ومسيرة خاصة، فنحن مثلاً، نجد أن النظرية (الداروينية) التي تقول إن جد الإنسان، والقرود من أصل واحد. هذه النظرية لا تنافي أساس الفكر الديني. لأن هذه تقول إن الإنسان تطور بفعل عوامل معينة موجودة في الكون، من قرد إلى هذه الصورة الحالية.

والدين عندما يريد أن يتدخل في هذه المسألة يسأل من أين جاء هذا التطور؟! هل التطور حالة ذاتية في الجماد؟! هل هو حالة

حتمية؟! إذا كان حالة غير حتمية فكيف نشأ وما هي القوة التي دفعته؟! هنا يأتي الحديث عن الخالق. نعم.. إنه ينافي التاريخ الديني. نظرية داروين لا تنافي الفكر الديني، يعني أصل ارتباط الأشياء بالله؟! بل هي قد تنافي بعض ما يفهم من التاريخ الديني، الذي يقول: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين». وهذا يدل على أن الإنسان كان إنساناً في صورته الأولى ولم يكن قرداً» .

وقفه قصيرة:

١ - ونحن نبادر إلى تسجيل تحفظ على هذا القول: وهو أننا من ناحيتنا الشخصية نرفض ولا نعترف بأن القرد جدنا، فإننا من نسل أشرف الكائنات محمد وآله الطاهرين، ونرى: أن النظرية الإسلامية، التي مصدرها الوحي تقرر: أن الله قد خلق محمداً «صلى الله عليه وآله» من نسل الإنسان الأول وهو آدم «عليه السلام»، وقد خلق آدم من تراب، وخلق بيديه في أحسن تقويم.

٢ - ولا ندري، لماذا قال البعض: (قد تنافي)؟! فأتى بكلمة (قد) التي تفيد التقليل، في درجة الإحتمال.. فهل تجده يحتمل عدم منافاتها لذلك أيضاً؟!

ولماذا قال: «بعض ما يفهم»، فهل هو يرى: أن هذا الفهم قد

يكون خاطئاً، أو أنه فكر بشري لا يصح نسبته إلى الله سبحانه؟! (١)

٣ - إذا كانت الآية: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ) ،
دالة على أن الإنسان في صورته الأولى لم يكن قرداً، فكيف لا تتنافى
هذه المقولة مع الفكر الديني، بل كيف لا تتنافى مع بعض ما يفهم من
التاريخ الديني، لو أردنا التدقيق في عباراته وفي مرامي كلامه.

(١) الآية ٤ من سورة التين.

الفصل الخامس

التناقضات..

بداية الحديث:

قد عرفنا في هذا الكتاب:

أن هذا البعض يقول:

«إنه يتحمل مسؤولية أفكاره مائة بالمائة».

ويقول أيضاً:

«إن أفكاره ما تزال أفكاره ولم يتغيّر..».

وهذا مما يصعب معه دفع الإتهام الذي قد يوجه لهذا البعض بأنه لا يتكامل في علمه من ناحية الكيف.. خصوصاً وأن الله سبحانه لم يكشف لأحد من الناس عن اللوح المحفوظ.. أما من ناحية الكم، فقد تتراكم المعلومات دون أن تكون هناك أية قدرة على التصرف بها..

وربما يؤيد هؤلاء نظرتهم هذه، بأن هذا البعض يقول:

«إن جميع ما في كتابه من وحي القرآن بطبعتيه القديمة والجديدة

صحيح».

وإن التناقض والاختلاف الكثير والكبير في أفكاره.. بل وفي موارد كثيرة في كتابه المشار إليه آنفاً، هو الآخر دليل على صحة مقولتهم تلك.

إلا أن يدعي هذا البعض: أن منشأ هذه التناقضات هو وجود ارتباك فكري لديه، أو أن سببه هو أنه يريد امتصاص الغضب الذي واجهه في شريحة كبيرة من الناس يصعب عليه التخلي عنها، مع تخوفه من انتشار ظاهرة النقد له، والإبتعاد عنه بسبب ما ظهر من آرائه..

أو أنه قد فهم: أن الناس حيث أحبّوه، فإنما أحبّوه من خلال حبهم لدينهم، لا لأجل شخصه، فحين يظهر لهم أنه قد أخل بشروط الاعتماد على أقواله، وأنه قد بلغ به الأمر إلى حدّ أنه أصبح يسعى لاقتحام المسلمات، فإن الناس لا بد أن يحفظوا دينهم ومسلماته التي لا يوجد أحد أعز عليهم منها.

ومهما يكن من أمر، فإننا سنذكر هنا نماذج من التناقضات التي ظهرت في كلماته.. والتي نخشى أن يعتذر عنها في المستقبل بأنها لا تمثل آراءه لأنها صدرت تحت ضغوط مواقف العلماء، وفي أجواء النقد القوي، والصحيح، والمخرج، وقد تأكد ذلك حينما صدرت فتاوي المراجع بالحكم عليه بالضلال، وبالخروج من مذهب أهل البيت «عليهم الصلاة والسلام».. وأن الذي يمثل آراءه الحقيقية: هو - فقط - ذلك الذي كتبه بقلمه أو ما نشر من كلماته وخطبه، ولا سيّما في كتابه من وحي القرآن، الذي لم يرض إلى هذه اللحظة بالتخلي عنها، أو بتغيير وتعديل شيء منها.

ونحن لا نسعى إلى استقصاء تناقضاته هنا، بل نقتصر على

موارد يسيرة جداً، ونكل أمر الإستقصاء إلى القارئ الكريم إن أحب ذلك..

والموارد التي اخترناها هي التالية:

١٠٨٩ - التناقض الأول:

وهو تناقض لجأ إلى إيقاع نفسه فيه فراراً من إشكال لم يجد إلى دفعه سبيلاً، ولكن ظهر أن ما جاء به لا يدفع الاشكال، ولا يحل العقدة، فهو يقول:

الف: يونس تهرب من مسؤولياته - يقابله.

ب : قد لا يكون ذلك تهرباً.

ج : لم يهرب ذو النون من المسؤولية.

إن ذلك كله قد ورد في كلمات هذا البعض، وبيان ذلك كما يلي:

١ - إننا في حين نجد البعض الذي يصر على أن جميع ما في الطبعة الأولى من كتابه «من وحي القرآن» صحيح.. يقول في الطبعة الأولى من كتابه المشار إليه عن يونس «عليه السلام»:

«..ولكن الله اعتبرها نوعاً من الهروب، فيما يمثله ذلك من معنى الإباق، تماماً كما هو إباق العبد من مولاه..» (١).

ويقول في مقام إستيحائه من قصة يونس:

«إن الله قد يبتلي الدعاة المؤمنين من عباده ورسله، فيما يمكن أن

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١٩ ص ٢٤١.

(١)

يكونوا قد قصروا فيه، أو تهربوا منه من مسؤوليات» .

وحين أجمل ذلك قال:

(٢)

«الدعاة والرسل قد يتهربون من مسؤولياتهم» .

٢ - ولكنه في الطبعة الجديدة من كتابه المشار إليه قال:

«وفي هذا الجو كان خروجه السريع، سرعة إنفعالية في اتخاذ

القرار. وقد لا يكون ذلك تهرباً من المسؤولية» .

فهناك قد جزم بالتهرب، وتردد فيه هنا.. فأيهما هو الصحيح؟! .

وإن كنا نعتبر أنه لم يزل في دائرة الطعن في مقام نبي من الأنبياء وفي عصمته، إذ لا يجوز لأحد أن يحتمل في حق الأنبياء أمراً من هذا القبيل، ومع وجود هذا الاحتمال لا يكون ثمة يقين بالعصمة.

٣ - ثم عاد لينفي التهرب من المسؤولية من الأساس، حيث سئل:

(٤)

ما هو تفسير الآية الكريمة (وَدَا الثُّونَ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا)؟! .

وهل من حق الأنبياء أن يهربوا من المسؤولية؟! .

فأجاب:

(١) المصدر السابق (الطبعة الأولى) ج ١٥ ص ٢٨٤.

(٢) من وحي القرآن حين الكلام عن قضية يونس.

(٣) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ص ١٥ ص ٢٥٨.

(٤) الآية ٨٧ من سورة الأنبياء.

«لم يهرب ذا النون من المسؤولية. ولكنه اعتقد أن مسؤوليته (١) انتهت عندما تمرد عليه قومه» .

غير أننا نخشى أن يكون قوله:

«ولكنه اعتقد أن مسؤوليته انتهت الخ..».

يريد به توجيه اتهام لهذا النبي المعصوم: بأنه قد أخطأ في تقدير الأمور، فإن خطأ الأنبياء في تقدير الأمور جائز عليهم عنده، كما صرح به، وذكرناه في هذا الكتاب فراجع ما ذكرناه حول قضية النبيين موسى وهارون «عليهما السلام»..

فيكون - والحالة هذه - قد هرب من أمر ليقع فيما هو أشد منه..

١٠٩٠ - تناقض آخر:

ألف: خلود مرتكب الكبيرة في النار..

ب : المغفرة لمرتكب الكبيرة.

ج : هناك مدة معينة للمكوث في النار.

سئل البعض:

ما رأي الشيعة في مرتكب الكبيرة هل هو مخلد في النار أم لا؟!

وما هو البديل للخلود إذا كان الجواب لا؟!

فأجاب:

«بعض الآيات الكريمة تقول: إنه مخلد في النار بالنسبة إلى

(١) فكر وثقافة عدد ١٨٠ بتاريخ ٢٠ / ٤ / ١٤٢١ هـ.

بعض (١) الكبائر (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) . ولكن ربما تأتيه المغفرة (٢) من الله بعد ذلك. والله تعالى يقول في سورة النبأ: (لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا) . أي أن هناك مدة معينة علمها عند الله (٣) ولكن المهم هنا هو أن لا نرتكب الكبيرة حتى لا ندخل النار .

فهو يقول في أول هذا النص:

«إن الآيات تقول: إنه مخلد في النار بالنسبة لبعض الكبائر».

ثم يقول في آخره:

«إن هناك مدة معينة للبقاء في النار علمها عند الله..».

فأيها هو الصحيح؟!

أو فقل: أيهما هو الجواب؟!

هل الجواب هو ما جاء في صدر كلامه؟!

وهو الخلود؟!

أم الجواب هو ما جاء في آخره، وهو عدم الخلود؟!

أم أنه يريد أن يقول: إن القرآن نفسه هو الذي يشتمل على

التناقض؟!

(١) الآية ٩٣ من سورة النساء.

(٢) الآية ٢٣ من سورة النبأ.

(٣) الندوة ج ٦ ص ٤٦٥ و ٤٦٦.

نعوذ بالله من الزلل في الفكر، وفي القول، وفي العمل.
 بقي أن نشير إلى أن الاستدلال بآية: (لَا يَثْنِي فِيهَا أَحْقَابًا).. لا يدل
 على عدم الخلود، إذ إنها تقول: إن الطاغين لا يثنون في جهنم حقياً بعد
 حقب، بلا تحديد، ولا جعل نهاية، فلا تنافي ما دل عليه القرآن من
 خلود الكفار في النار.

وإنما جاء التعبير بهذا النحو ليجسد لذلك الطاغية الكافر عذاب
 جهنم بصورة تفصيلية، الأمر الذي من شأنه أن يثير مشاعر الرهبة
 والخوف لديه بصورة أعمق وأشد..

على أن هناك من قال: إن قوله تعالى بعد هذه الآية: (لَا يَذُوقُونَ
 فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا) صفة لكلمة أحقاباً والمعنى: أنهم يلبثون فيها
 أحقاباً على هذه الصفة، وهي أنهم لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا
 حميماً وغساقاً، ثم يكونون على غير هذه الصفة.. إلى ما لا نهاية..

قال السيد الطباطبائي «رحمه الله»: «وهو حسن لو ساعد
 (٢) السياق» .

وينبغي الالتفات أخيراً إلى أن الكلام في هذه الآيات إنما هو عن
 الكفار الطغاة، الذين يقول الله عنهم: (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)

(١) الآية ٢٤ من سورة النبأ.

(٢) تفسير الميزان ج ٢٠ ص ١٦٨.

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا).

١٠٩١ - تناقض آخر..

ألف: يحتمل أن موسى قد ارتكب جريمة دينية في مستوى الخطيئة.

ب: إن المقتول كان يستحق القتل.

يقول البعض: عن موسى:

«هل كان يشعر بالذنب لقتله القبطي، باعتبار أن ذلك يمثل جريمة دينية في مستوى الخطيئة التي يطلب فيها المغفرة من الله؟! أو أن المسألة هي أنه يشعر بالخطأ غير المقصود، الذي كان لا يجب أن يؤدي إلى ما انتهى إليه، مما يجعله يعيش الألم الذاتي تجاه عملية القتل؟! [إلى أن قال:] إننا نرجح الاحتمال الثاني» .

مما يعني: أن الاحتمال الأول لا يزال وارداً، لكنه ليس هو الراجح عنده..

لكنه عاد ليقول:

«وكذلك عندما نقول: إنَّ موسى «عليه السلام» قاتل، نحن لم نقل ذلك من عندنا، الله سبحانه وتعالى قال ذلك: (فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنَّي

(١) الآيتان ٢٧ - ٢٨ من سورة النبأ.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ٣١.

ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا
 أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا
 يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ
 لَعَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى
 أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا
 فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١) . غاية ما هناك:
 أنني في كتب التفسير أبرر هذا الموضوع لموسى وأقول: إنَّ هذا
 الرجل كان معتدياً. وكان يستحق القتل، ولكنَّ موسى «عليه السلام»
 قال: (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)، باعتبار أنه كان يخلق له المشاكل.
 (٢)
 هذا الكلام مسجل في هذا الموضوع» .

ونقول:

أولاً: أي كلامي هذا البعض هو الصحيح؟!

ثانياً: وما معنى قوله:

«أبرر لموسى وأقول: إن هذا الرجل كان معتدياً، وكان يستحق
 القتل. ولكن موسى «عليه السلام» قال: هذا من عمل الشيطان».
 فهل يريد أن يقول: إن تبريره ليس واقعياً، لأن موسى ينكره، ولا
 يقبله؟!

(١) الآيات ١٥ - ١٩ من سورة القصص.

(٢) الزهراء المعصومة ص ٥٢.

لا ندري! ولعل الفطن الذكي يدري!!

١٠٩٢ - تناقض آخر:

ألف: لا يفيد إمساك الحديد لضريح الرسول «صلى الله عليه وآله».. والتبرك بالمقام صنمية.

ب: التبرك ليس صنمية.

١ - ويقول البعض:

«ما الفائدة التي نستفيدها من أن نمسك الشباك، أو نمسك الحديد.. فكما قلنا، هذا ليس حراماً، كما يقول الآخرون. وليس ضرورياً، فيمكن ترك ذلك» .

ويقول:

«ليس من الضروري أن يذهب إلى قرب الضريح، ولا يعني إن مسك الضريح أنه يمسك جسد النبي. يكفي الزيارة من المسجد، وأن يتصور الإنسان حياته» .

٢ - ويقول:

«نجد أن الناس تتجه إلى القبر قبر النبي أو الولي، لتقبل الضريح، لتتمسك به، لتخاطب صاحب القبر بطريقة مادية، لتصوره وجوداً مادياً تخاطبه، من دون أن يخطر في بال أحد البدء برحلة في

(١) مجلة الموسم العددان ٢١ - ٢٢ ص ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق ص ٧٤.

أجواء صاحب التمثال، أو صاحب القبر.

إن هذا يمثل نوعاً من تجميد الشخصية المقدسة أو الشخصية المعظمة في هذا التمثال أو في القبر، بحيث يتعبد الناس لا شعورياً للتمثال».

إلى أن قال:

«لذا أنا أتصور أن هناك نوعاً من الصنمية اللاشعورية الموجودة لدى المؤمنين الخ..» .

٣ - لكن هذا البعض قد عاد فناقض نفسه وأنكر أن يكون قد نفى إمكانية التبرك بالمقامات كما أنه أنكر أن يكون قد اعتبر ذلك صنمية لكنه عاد بعد أسطر يسيرة ليقرر مرة ثالثة: أن بعض الناس يصل في ذلك إلى حدود الصنمية، فاستمع إليه، حيث يقول:

«أيضاً في موضوع التعلق في قضبان قبر الرسول «صلى الله عليه وآله»، لم أتحدث عن الموضوع في إطار أنه لا يمكن التبرك من المقام، بل كل ما في الأمر أنني اعتبرت أن تقبيل القضبان غير ضروري إلا من قبيل المحبة. لكن لم أقل إنَّ في ذلك صنمية كما يحلو للبعض أن ينسب لي ذلك في هذا الموضوع.

مختصر القول: أن تقبيل الضريح ليس ضرورياً، لكن إذا وجد أي من الناس أنه يرغب بذلك، فيجب أن يكون بنية التعبير عن المحبة

والإجلال والاحترام، كما نفعل ذلك مع جلد القرآن الكريم، فإننا إذا قبلنا جلد القرآن، فهل يعني ذلك أننا نعبد القرآن، طبعاً لا، فنحن نقبل القرآن تعبيراً عن إجلالنا لله عز وجل ومحبتنا له.

نحن نقوم بتوضيح هذا الأمر، لأنَّ بعض النَّاس قد يستغرق في تقبيل القفص إلى الحدِّ الذي يخرج فيه عن إطار التعبير عن المحبة والاحترام، ويصل إلى حدود الصنميّة.

هذا ولكلِّ مقام مقال، فمرة تريد أن نتحدث عن الحلال والحرام، ومرة أخرى نتحدث عن مفهوم إسلامي معين» .

فلماذا كل هذا الأخذ والرد، والإيجاب والسلب، والاعتراف مرة والإنكار أخرى.

١٠٩٣ - تناقض آخر:

ألف: ضرب الأبوين يجوز بل يجب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه برٌّ بهما.

ب: على الولد أن يكون باراً بأبيه الذي يحمل أفكاراً إلحادية.

قد عرفنا أن البعض قد قرر:

«أنه يجوز أو يجب على الولد أن يغلظ في القول لأبويه، وأن يضربهما، ويحبسهما، لأن ذلك من مصاديق البر بهما» .

(١) الزهراء المعصومة ص ٥٣.

(٢) المسائل الفقهية ج ٢ ص ٣٠٥.

ولكنه عاد فناقض نفسه حين سئل:

ما رأيكم فيما إذا كانت أفكار الأب إلحادية، فهل يجب على الأبناء البرّ به وكسب رضاه؟!

فأجاب:

«نعم، فإله يقول: (وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) فلو طلبا منك الشرك فلا تشرك (١) (وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ) ، فإن لا بدّ من المصاحبة بالمعروف، والإحسان إلى الوالدين، حتى لو كانا كافرين، ولكن من دون اتباعهما في خطيئتهما الذي يؤدي إلى الإشراك بالله أو إلى معصية الله، ف (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

وقد قلنا مراراً: إن المطلوب في الشريعة الإسلامية هو الإحسان إلى الوالدين لا طاعة الوالدين، فالوالد ليس مشرعاً. وهذا ما أفتى به السيد الخوئي (رحمه الله) «.

فتجده هنا يلزم الولد بالبر بوالده الذي يحمل أفكاراً إلحادية، ولم يطلب منه أن ينافره ولا أشار إلى جواز أو وجوب ضرب والده أو حبسه. مع أن شركه من أعظم المنكرات، فلماذا لا يجوز له ضربه للنهي عن هذا المنكر؟!

(١) الآية ١٥ من سورة لقمان.

(٢) الندوة ج ٢ ص ٥٠٠ و ٥٠١.

إلا أن يكون مقصوده بالبر به هو ضربه وحبسه كما تقدم في عبارته(!!)

١٠٩٤ - تناقض آخر:

ألف: الغاية تنظف الوسيلة.

ب: الوسيلة جزء من الغاية فلا بد من توفر عنصر الحق فيها.

قد عرفنا أن البعض يقول:

«إن الغاية تبرر الوسيلة المحرمة بمعنى أنها تجردها، وتنظفها». وقد ذكرنا تفصيل ذلك في أول الكتاب في مقصد (المنهج الفكري والإستنباطي).

ولكنه عاد وتكلم بما يقتضي نقض هذه المقولة حين قال:

«إن الدعوة إلى الحق تفترض أن تعتبر الحق هو العنصر الأساس في الوسيلة، والعنصر الأساس في النتيجة» .

إلا إذا رفض ظهور كلامه هذا في ما ذكرناه، وفسره بأن الوسيلة إذا نظفت فإنما تصير كذلك بنظافة الغاية. وفي هذه الحالة.. تكون من الحق أيضاً..

ولكننا لن نقبل منه هذا التأويل، لأنه في مقام بيان رفض التوسل بأساليب الباطل من أجل إحقاق الحق، أو إقناع الآخرين به.

١٠٩٥ - تناقض آخر: يقول البعض تارة:

ألف: الولاية التكوينية شرك.

ب: كل القرآن دليل على عدم الولاية التكوينية..

ج: اعتقاد جعل الولاية التكوينية مستغرب.

ونصوص كثيرة أخرى سلفت في الأجزاء السابقة.

ثم يناقض نفسه، فيقول:

د: «من الممكن أن أجعلك تقول للشيء كن فيكون كما جعلت ذلك

لعيسى».

هـ: «من الممكن أن تكون الطاعة تستلزم الحصول على هذه

القدرة».

فإذا كان كل القرآن دليلاً على عدم الولاية فمن أين جاء هذا

الإمكان؟!

ثم يقول:

و: «ليس معنى ذلك: أن الطاعة تستلزم هذه القدرة».

فأي ذلك هو الصحيح يا ترى؟! وقد تحدثنا عن هذه النصوص

المختلفة في هذا الكتاب في مقصد (التشيع) في فصل خاص بالولاية

التكوينية، ونزيد هنا النص التالي، الذي يظهر هذا التناقض في

كلامه، وهو:

ز: سئل البعض: في الحديث القدسي: «عبدني أطعني تكن مثلي

تقل للشيء كن فيكون» فما معنى هذا الحديث؟!

فأجاب:

«إن صح الحديث فليس معناه أن من أطاع الله يكون مثل الله إذ ليس ذلك ممكناً. لكن معناه: إذا أطاع الله عبداً، وقرب من الله، ورضي الله عنه، فإن الله قد يعطيه بعض القدرات التي يستطيع من خلالها أن يقوم بها كما أعطى الله عيسى «عليه السلام» ذلك (أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) وكما أعطى الله (آصف بن برخيا) القدرة وهو الذي عنده علم من الكتاب، حيث قال لسليمان: (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) ، وكما أعطى بعض أنبيائه القدرات والكرامات التي ملكوا بها الكثير من أعمال الغيب.. فمعنى ذلك: أن الله يريد أن يقول للإنسان: إذا أطعنتي وصرت مرضياً عندي، وصرت قريباً إليّ فإنني أعطيك بعض القدرات التي تستطيع من خلالها أن تقول للشيء: كن فيكون. وليس ذلك في كل شيء، بل أن تقول لبعض الأشياء، بحسب ما يعطي الله من قدرته» .

١٠٩٦ - يضاف هنا تناقض آخر.

وهو أنه حسبما تقدم في بحث الولاية التكوينية قد نفى أن يكون عيسى «عليه السلام» هو الذي فعل إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص. بل الله هو الذي فعله، وعيسى لا مدخلية له في ذلك، بل هو كالألة.

(١) الآية ٤٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٤٠ من سورة النمل.

(٣) الندوة ج ٢ ص ٥٥٤ و ٥٥٥.

ولكنه هنا عاد، فقرر: أن عيسى «عليه السلام» هو الذي فعل ذلك، فتبارك الله احسن الخالقين.

تناقض آخر:

ثم هو قد نفى إعطاء الله نبيه القدرة على فعل شيء. ولكنه هنا قبل بأن يعطي الله نبيه قدرة يستطيع من خلالها أن يقول للشيء كن فيكون!!

١٠٩٧ - تناقض آخر:

- ألف: لا دليل على عدم نسيان النبي للأمر الحياتية الصغيرة..
- ب: نقاط ضعف في التكوين تصنع أكثر من وضع سلبي على مستوى التصور والممارسة لدى الأنبياء.
- ج: ثم هو ينسب إلى الأنبياء مما لا يليق بشأنهم الشيء الكثير، كما ذكرناه في فصول هذا الكتاب.
- د: إن النبي معصوم بالإجبار.
- هـ: إن عصمة النبي شاملة لكل شيء.

يقول البعض:

- ١ - «هناك أكثر من نقطة ضعف خاضعة للتكوين الإنساني في طبيعة الروح والجسد، ويمكن أن تتحرك لتتصرف أكثر من وضع سلبي على مستوى التصور والممارسة» (١).

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١٥ ص ١٧١ و ١٧٢.

ويقول:

لا نجد هناك أي دليل عقلي أو نقلي يفرض امتناع نسيان النبي
لمثل هذه الأمور الحياتية الصغيرة، لأن ذلك لا يسيء إلى نبوته، لا
من قريب ولا من بعيد .

ويقول:

«هناك من يقول: إن السهو ليس منافياً للعصمة في القضايا
الحياتية. ونحن نقول بذلك» .

ثم هو يعتبر:

«أن آدم قد عصى الله كما عصاه إبليس، لكن الفرق: أن إبليس
ظل مصرّاً على المعصية، ولم يتب فلم يغفر له، أما آدم فقد تاب فغفر
الله له» .

ثم احتمل أن يكون إبراهيم «عليه السلام» قد عبد الشمس،
والقمر، والكوكب على الحقيقة، واحتمل أن موسى «عليه السلام» قد
قتل نفساً بريئة وارتكب جريمة دينية، وصرح أيضاً بأن يونس قد
تهرب من مسؤولياته.. إلى غير ذلك مما ذكرناه من موارد كثيرة جداً
في هذا الكتاب..

(١) المصدر السابق ج ١٤ ص ٣٨٤.

(٢) نشرة فكر وثقافة عدد ١ تاريخ المحاضرة ١٩٩٦/٦/٢٩.

(٣) من وحي القرآن (الطبعة الثانية - دار الملاك) ج ١٠ ص ٣٤.

٢ - ولكنه.. عاد وقرر:

«أن العصمة عن المعاصي إلهية مفروضة على الأنبياء بالجبر والإكراه، لكن مختارون في فعل الطاعات» .

٣ - ثم نقض كلامه مرة أخرى حين قال:

«لذلك لا يمكن أن نقول إن رسول الله كان مجتهداً كبقية المجتهدين الذين قد يخطئون وقد يصيبون، إنما كان معصوماً بكّله، حتى إننا لا نوافق من يقول: إنه كان معصوماً في التبليغ وحسب، ولم يكن معصوماً في أمور الحياة، بل نقول إنه معصوم بكّله، إن في التبليغ، وإن في شؤون الحياة المختلفة، لأن عمله كله وحركته في الحياة كلها هي رسالة.

ولذلك فلا تجزيئية في شخصية النبي بحيث نقول: إنه معصوم بهذا الجانب وليس معصوماً بذاك الجانب، فالعصمة سرّ عقله وقلبه وإحساسه، وشعوره وحركته في الحياة. وما نقوله عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقوله أيضاً عن خلفاء رسول الله الأئمة «عليهم السلام»..» .

١٠٩٨ - تناقض آخر:

ألف: تأييد العمل بالقياس..

(١) قد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب حين الكلام حول العصمة.

(٢) الندوة ج ٦ ص ٤٦٠.

ب: رفض العمل بالقياس.

يقول البعض:

«يقطع النظر عن هذا الحديث وصحته، فلقد قلنا مراراً بأن القياس ليس حجة، حتى لو لم يرد هناك دليل خاص على عدم حجّيته، وذلك باعتبار أنه يركز على الظن^(١)، ولا دليل على حجّية الظن (إنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) .

فيكون القياس مشمولاً بالأدلة العامة الناهية على العمل بالظن، فنحن نعمل بالظن إذا جاء دليل من الكتاب أو السنة على حجّيته، وأما إذا لم يدل دليل على حجّيته فلا يكون العمل به مشروعاً، ولما كان القياس معتمداً على الظن - بالملاك الذي يوحد بين الموضوعين - والظن لا حجّية له، فلا حجّية للقياس» .

ولكنه في كتاب: تأملات في آفاق الإمام الكاظم «عليه السلام» قد نقض هذا الكلام حين استفاد من بعض الأحاديث:

«أن رفض القياس كان بسبب عدم الحاجة إليه».

فلو «كانت هناك حاجة ملحة إلى معرفة الحكم الشرعي لبعض الأمور، ولم يكن لدينا طريق إلى معرفته من الكتاب أو السنة، فإن من الممكن أن نلجأ إلى القياس أو نحوه من الطرق الظنية في حال

(١) الآية ٣٦ من سورة يونس.

(٢) الندوة ج ٥ ص ٦١٨.

(١)

الإسداد» .

ويقول:

«إننا نستطيع في حال استنطاق الحكم الشرعي الوارد في هذا المورد نستطيع أن نصل إلى اطمئنان في كثير من الحالات من خلال دراستنا لعمق الموضوع الذي نحيط به من جميع جهاته، مقارنة بموضوع آخر مشابه له في جميع الحالات، مما يجعل احتمال اختلافهما في الحكم احتمالاً ضعيفاً، بحيث لا تكون المسألة ظنية بالمعنى المصطلح عليه للظن^(٢) بل قد تكون المسألة تقترب من الاطمئنان، إن لم تكن اطمئناناً» .

١٠٩٩ - تناقض آخر:

الف: المسيحيون كفار بالمصطلح القرآني.

ب: المسيحيون ليسوا كفاراً في المصطلح القرآني.

يقول البعض:

«القرآن أكد أن المسيحيين يلتقون مع المسلمين في توحيد الله (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ، فالمسلم لا يعتبر المسيحي كافراً في مسألة الإيمان

(١) راجع: تأملات في آفاق الإمام الكاظم ص ٤٠ - ٤٤ .

(٢) مجلة المنطلق عدد ١١١ ص ٧٦ .

(٣) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت .

بالله، وإن كان يناقشه في تفاصيل هذا الإيمان» .

ويقول:

«ليس معنى أن القرآن يقول عن أهل الكتاب إنهم كافرون: أنه الكفر الذي يخرجهم عن الإيمان بالله وعن توحيده. ولكن معناه الكفر بالرسول» .

ولكنه عاد فنناقض نفسه حين قال:

«أهل الكتاب كافرون لأنهم يكفرون بصفة الله: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) . (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) . فهو كفر باعتبار أن الإيمان يفرض التوحيد والإخلاص» (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) .

فكل من لم يلتزم بهذه الوجدانية فهو كافر بهذه العقيدة. وهم كافرون بالرسول وبالقرآن أيضاً، ولا يعتبرونه كتاب الله. (٦) لكنهم بحسب المصطلح القرآني ليسوا مشركين الخ..» .

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي ٣٢١.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٤.

(٣) الآية ١٧ من سورة المائدة.

(٤) الآية ٧٣ من سورة المائدة.

(٥) الآيات ١ - ٤ من سورة الإخلاص.

(٦) فكر وثقافة عدد ١٧٠ ص ٣ بتاريخ ١٤٢١/٢/٩ هـ.

١١٠٠ - تناقض آخر:

ألف: إطمئنان العوام حجة يصح العمل به في التقليد.

ب: إذا لم يكن مجتهداً فلا يحق له الإعتماد على الإطمئنان.

ج: من لا خبرة له بشيء ليس له أن يقول اطمئن أو لا أطمئن.

قد أفتى البعض بإمكان الاستغناء عن شهادة أهل الخبرة في مرجع التقليد وقال:

«إن اطمئنان الشخص العامي بأن فلاناً مجتهد (١) جامع لسائر الشرائط، يكفي في جواز رجوعه إليه، وتقليده له..» .

ولكنه عاد فنقض نفسه حين سئل:

هل يستطيع المكلف أن يقول: إني لا أطمئن إلى من يعتمد على الكتاب والسنة، والعقل، والإجماع؟!

فأجاب:

«..إذا كان مجتهداً بحيث يقدر أن يقول ذلك، فهذا من حقه كمجتهد. أما إذا لم يكن مجتهداً فما دخله في ذلك؟!

فالشخص الذي ليس عنده خبرة بشيء ليس له أن يقول: أطمئن، أو لا أطمئن بهذا الشيء، وإلا يكون كمن يقول: أنا لا أطمئن للذي يصف العملية الجراحية للمرض الفلاني، فالإنسان الذي يحترم علمه

(١) قد أعلن ذلك في أكثر من مناسبة وراجع على سبيل المثال المسائل الفقهية

وعلم الآخرين يقول بالإطمئنان وعدمه. أما الأمر الذي يجهله، ولا يملك رأياً يعتد به فيه فما شغله في ذلك؟!» .

ونقول:

فإذا صح كلامه هذا.. فكيف أفتى للناس بجواز الاعتماد على اطمئنانهم في مرجع التقليد، وهم لا يملكون خبرة في الإجتهد، ولا في غيره؟!.

١١٠١ - تناقض آخر:

الف: لا يثبت بخبر الواحد غير الشرعيات.

ب: تثبت الأمور الشرعية وغير الشرعية بخبر الواحد.

قد ذكرنا في هذا الكتاب نصوصاً صريحة في أن هذا البعض يصر على عدم كفاية الظن، ولزوم تحصيل اليقين في غير الأمور الشرعية، مثل الكونيات، والتاريخ والتفسير، وصفات الأشخاص والعقائد إلخ..

ولكنه في محاولاته الرد على ما ذكره آية الله العظمى الشيخ التبريزي حفظه الله، قال في الجواب رقم ١٥ وهو يتحدث عن ثبوت حديث الأنوار، حول حجية خبر الواحد:

«..لكن بناءً على رأينا في ثبوت الحجية ببناء العقلاء، فإن مقتضاه ثبوت الأمور الشرعية، وغير الشرعية بالخبر الموثوق به

(١) فكر وثقافة عدد ١٨١ ص ٤ بتاريخ ١٤٢١/٤/٢٨ هـ.

نوعاً».

وفي الإجابة رقم ١٦ في محاولاته الرد على كلام آية الله التبريزي يحاول أن يبرر مقولته بأن فاطمة «عليها السلام» أول مؤلفة في الإسلام فيقول:

«ولكن ما ينافي حجية الخبر هو حجية الخبر الموثوق به نوعاً، ويكفي في الوثوق عدم وجود ما يدعو إلى الكذب فيه. وعلى ضوء هذا، فإن نسبة الكتاب إلى فاطمة «عليها السلام» يدل على أنها صاحبة الكتاب، كما أن نسبة الكتاب إلى علي «عليه السلام» فيما ورد من الأئمة «عليهم السلام» عن كتاب علي، يتبادر منه: أن صاحبه علي «عليه السلام».

وخلاصة ذلك: أنه لا مانع من القول: أنها أول مؤلفة في الإسلام، كما أن علياً «عليه السلام» أول مؤلف في الإسلام».

١١٠٢ - من تناقضاته في المنهج:

يقول البعض:

ألف: إن العنوان القرآني هو الأصل، في موضوعات الأحكام.

ب: يجب ردّ الموضوعات التي في السنة إلى العنوان القرآني.

ج: السنة لا تخصص ولا تعمم القرآن.

د: الحديث الموثوق يخص القرآن ويعممه.

وإليك كلماته:

«إننا نرى أن العنوان القرآني في موضوعات الأحكام هو

الأصل فلا بد من رد الموضوعات الموجودة في السنة إليه، إذا اختلفت المسألة فيها سعة وضيقاً، ونحو ذلك» .

ومعنى ذلك: أن الحديث لا يخص ولا يعمم القرآن.. بل القرآن هو الذي يؤثر ذلك في الحديث حين يختلفان سعة وضيقاً، لكنه يعود فيناقض نفسه من جديد.

فهو يقول:

«لا بدّ لنا أن ندرس الكتاب والسنة، فالله عز وجل يقول: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، فالأساس هو أن نعتمد على ظواهر القرآن، ولكن إذا ورد ما يخص عموم القرآن، وبقيد إطلاقه، ويعطينا فكرة تتناسب مع السياق، فلا مانع من الأخذ بالرواية، خصوصاً إذا كانت بأعلى درجات الوثاقة بحيث يمكن لنا أن نرفع اليد عن ظاهر القرآن لحسابها» .

فكلامه هذا يفيد: أن السنة يمكن أن تقيد، وأن تخصص القرآن، خصوصاً إذا كانت من الوثاقة بحيث يمكن لنا أن نرفع اليد عن ظاهر القرآن لحسابها.

(١) فقه الحياة ص ٣٧.

(٢) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٣) الندوة ج ٥ ص ٤٥٢.

